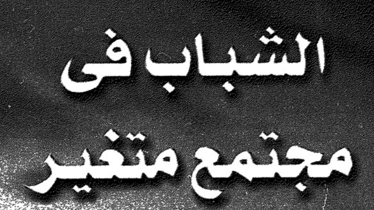


الشباب فى مجتمع متغير

تأليف : فرد ميلسون

ترجمة وتقديم
دكتور
يحي مرسى عيد بدر
كلية الآداب - جامعة حلوان

الطبعة الأولى ٢٠٠٠

دار الهدى للمطبوعات

الشـبـاب فى مجتمع متغير

تأليف/ فرِدْ ميلسـون Fred Milson

ترجمــة وتقــديم

الدكتور\ يحيى مرسى عيد بدر

كلية الآداب – جامعــة حلــوان

دار الهدى للمطبوعات

ش عمرو بن العاص خلف طريق جمال عبد الناصر

ميامى – إسكندرية

ت: ٥٥٧٤٧٧٢

الطبعة الأولى ٢٠٠٠



إهـــــداء

إلى أبنائى الأعـزاء

نهـى ، أدهـم ، عـُلا

أطفال يقفون على أعتاب مرحلة الشباب

مع أفضل أمنيـــاتى القلبية

بمســـتقبل ومشـــوار حـــياة أفضل مـــنى،

المترجم

تقديم

بقلم المترجم

(١)

من هم الشباب

إن الفعل من الشباب هو شب والجمع شباب وشبان وشبيبه والمؤنث شابة والجمع شابات وشاب وشواتب من كان فى سن الشباب.[١]

والشاب هو مرحلة من مراحل العمر تقع بين الطفولة والشيخوخة وهى تتميز من الناحية البيولوجية بالاكتمال العضوى ونضوج القوة، كما تتميز من الناحية الاجتماعية بأنها المرحلة التى يتحدد فيها مستقبل الإنسان سواء مستقبله المهنى أو مستقبله العائلى.[٢]

إن مرحلة الشباب هى مشكلة كبيرة لأننا لا نستطيع تحديد فتراتها تحديداً واضح المعالم ولا يمكننا القول من أين تبدأ وأين تنتهى ولا يمكن الجزم بأخطر فتراتها وأهمها فهى لا تقتصر على ما بين العشرة والثلاثين كما يزعم البعض، ولا تنحصر فيما بين الثامنة والأربعين كما يزعم البعض الآخر وهى ليست عملية رتيبة متزنة تسير وفق نظام معلوم موقوت لأن نمو الكائن الحي عملية معقدة فى ذاتها لا تسير على وتيرة واحدة ولا تتبع نظاماً معيناً وليس لها أسلوب واضح كما أنها تستمر من المهد إلى اللحد وتتداخل فترات العمر فيها بعضها مع بعض وتؤثر كل مرحلة منها وتتأثر بما يسبقها من مراحل.[٣]

وترى بعض الكتابات أن مرحلة الشباب Youth أو المراهقة Adolescence كما تسمى فى بعض الكتابات – تبدأ بتخطى مرحلة بلوغ الحلم Puberty أو اكتمال النضج الجنسي، و هو بلوغ القدرة على التناسل وتيقظ الحاجة الجنسية، ويحدث ذلك عند سن الخامسة عشر أو قبلها بقليل. فمصطلح بلوغ الحلم يشير إلى الناحية الجنسية من النضوج أو الارتقاء development التى تتمثل فى اكتساب القدرة على القذف عند الذكر والحيض menstruation عند الأنثى

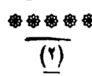
بالإضافة إلى الخصائص الجنسية الثانوية ... أما مصطلح المراهقة أو بدايات النضوج البدنى والعقلى والنفسى والاجتماعى فمعناه أشمل من البلوغ وتبدأ مرحلة المراهقة التى تغطى بضع سنوات حول سن الخامسة عشرة، بالبلوغ.(٤)

وتفضل بعض الكتابات الوقوف بمرحلة الشباب عند سن الخامسة والعشرين أو ما حولها لأن هذه هى السن التى تحدث عندها تحولات هامة فى حيات الفرد: فعندها يترك التعليم بعد استكماله ويلتحق بعمل دائم ويتزوج أو يسعى إلى تحقيق ذلك، ومن ثم فهو يترك فترة الطلب إلى فترة العطاء ويبدأ حياة الراشدين Adulthood.(٥)

وقد حدد مؤتمر وزراء الشباب الأول بجامعة الدول العربية بالقاهرة عام ١٩٦٩ من خلال الاتجاهات المتفق عليها فى العالم، حدد تلك المرحلة بمن تتراوح أعمارهم ما بين ١٥- ٢٥ سنة انسجاما مع المفهوم الدولى المتفق عليه، ولكن ظروف الوطن العربى وطبيعة الشخصية الشابة فيه تستوجب رعاية مرحلة الطلائع التى تسبق سن الخامسة عشرة، وتمتد تلك الرعاية إلى ما بعد الخامسة والعشرين وفق متطلبات الشاب فى كل قطر عربى، ومن ثم فهذه المرحلة تشمل الطلاب فى المراحل الإعدادية والثانوية والجامعية الدنيا والعليا ومن مثلهم فى قطاعات المجتمع العاملة.(٦)

ولكننا نعترض على تحديد هذه المرحلة فى مدة عشر سنوات، ما بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين، فقد ذهبنا فى دراستنا للماجستير(٧) "أنه من منطلق اختلاف سن البلوغ من بيئة إلى أخرى، ومن فرد إلى أخر، ومن منطلق أن الشباب يحدد دخوله إلى تلك المرحلة بمقدار تخلصه من لوازم الطفولة وتحوله من فرد مستهلك إلى فرد منتج، ومن فرد يتعلم إلى فرد عامل ومن فرد معول إلى فرد عائل... ونتيجة للظروف الخاصة التى يمر بها مجتمعنا وما يستتبع ذلك من تغير القيم ناحية التعليم والعمل وغيره، واتساع الفترة التى يقتضيها الشباب فى التعليم مع عدم توفر العمل بسهولة ومن ثم الزواج بعد ذلك، وتغير الوضع فى القرية لذا، نرى أن الشباب هم تلك الفئة من السكان الذين تتراوح أعمارهم ما بين الثامنة عشر والثلاثين.

وعلى الرغم من كل ذلك فنحن نرى صعوبة الفصل الدقيق بين مراحل عمر لإنسان من الطفولة إلى المراهقة إلى الشباب إلى الرشد إلى الشيخوخة إلى الكهولة، فمراحل عمر الإنسان متداخل بعضها فى البعض الأخر وهى مثل مجرى النهر المتدفق كل مرحلة تمهد للمرحلة التى تليها بل تتداخل معها فى بعض الخصائص، ولكن أهم ما يميز دخول الشخص إلى مرحلة البلوغ ومن ثم الشباب هى تلك التغيرات الفسيولوجية والسيكولوجية التى تعتريه كما سنوضح بعد قليل .. كما أن الإحساس بخطورة تلك المشكلة رأى المراهقة والشباب – ومن ثم إحساس الشباب بذاته وتفرده وربما ثورته على المجتمع، كل ذلك يختلف من ثقافة إلى أخرى وتلعب التنشئة الاجتماعية دوراً عظيماً فى ذلك كما سنحدد فى حينه.



(٢)

أهمية دراسة الشباب

الشباب هو رأسمال الأمة وعدتها وعتاده وحاضرها ومستقبلها، وهو ثروة الأمة التى تفوق ثروتها ومواردها كلها، فإذا أدركت الأمة كيف تحافظ على أغلى ثرواتها وكيف تنميها وكيف توجهها وتستفيد منها وتغيرها استطاعت أن تؤدى رسالتها فى الحياة.[٨] والشباب هو المستقبل والرجاء .. هو أمل الأمة وعماد قوتها .. هو رمز عزتها وعنوان منعتها ... على أكتافه تلقى تبعات المستقبل وفى ذمته تتلاقى مسئوليات الأيام. والشباب قوة وفتوة وسند وثورة، هو كنز ورأسمال، إن استثمر بحكمة وأعد بفطنة ووجه التوجيه الطيب أفلح وأنتج وحقق الأصل المعقود عليه.[٩]

ويشكل التفكير فى مشكلات الشباب أو "أزماته" ومحاولة إيجاد الصيغة الملائمة لتوجيهه إجتماعياً وتربويا وأخلاقياً محاولة قديمة تصدى لها الفلاسفة منذ عهد سقراط والكتاب والأدباء وعلماء النفس والتربية والساسة والمصلحون الاجتماعيون ورجال الإعلام، الأمر الذى يعكس الاهتمام الجدى بهذه الشريحة المجتمعية عبر المراحل التاريخية التى مرت بها البشرية.[١٠] ولكن لم يسجل

التاريخ لنا عصراً من العصور زاد فيه الاهتمام بالشباب فى أى بلد من بلدان العالم مثل عصرنا الحالى. إذ تفيض حاليا الصحف والمجالات السيارة والعلمية والحوليات والكتب بتناول الشباب بالدراسة والتحليل. فالشباب حاليا محور اهتمام كثير من الكتاب. وبين العدد الكبير من المؤلفات التى تدور حول مرحلة الشباب الاتجاهات والآراء المختلفة. لقد أصبح للشباب فى كثير من الدول دوره السياسى الفعال وتنبئ الدراسات بأن أهمية الشباب الحالية سوف تزداد فى المستقبل. وبينما نجد البالغين مرغمين على إيجاد التوافق بين أنفسهم والعالم الذى يتغير من حولهم تغيرا سريعا، نجد أن الشباب يمتاز بأنه ليس فى حاجة إلى ذلك لأنهم يسايرون العالم المتغير فى نموهم دون إدراك للجديد الذى يراه الكبار ملزماً لهم لتغيير عاداتهم وأساليب حياتهم، بل وطرق تفكيرهم للتوافق معه وتحتم التغيرات التكنولوجية تغييرا فى النظم، ويعرف الشباب دوره فى المساعدة على تغيير هذه النظم حتى تتفق وواقع التحول والتغير. ولولا ضغوط الكبار على الشباب ما حدث الصراع بين القديم والجديد. ويظهر دور الشباب وأهميته حاليا فى البلاد النامية التى تتطلع إلى التقدم والتى تتمسك حالياً بحتمية التغير نحو مستقبل أحسن.(١١)

وليس أدل على مدى الاهتمام بقضايا الشباب –على الصعيد الدولى– من الجهود الكبيرة للأمم المتحدة ومنظماتها فى هذا الصدد، وذلك بغية تقويه السلام العالمى والتوصل إلى دعم الحقوق الإنسانية. ويظهر اهتمام الأمم المتحدة بالشباب فى تقرير سكرتيرها العام الذى يوضح أن الأطفال والشباب هم الدوافع الأساسية للبرامج الاقتصادية والاجتماعية التى تعنى بها الأمم المتحدة. فمنذ الاجتماع الأول للمجلس الاقتصادى الاجتماعى وجهت الأنظار إلى واجبات الأمم المتحدة بالنسبة للشباب وبضرورة التعاون مع بعض الوكالات المتخصصة مثل منظمة العمل الدولية ومنظمة الأغذية والزراعة وهيئة اليونسكو ومنظمة الصحة العالمية كجزء هام من عمل الأمم المتحدة فى المجالات الاجتماعية والتخطيط، فان اهتمامها بالشباب هو بند هام من بنود برنامج طويل يشمل الصحة والتعليم والتدريب المهنى عن طريق تحقيق نظرة شاملة ودراسة كاملة عن المظاهر المختلفة لموقف الشباب ودورهم فى التطور الاقتصادى والاجتماعى.(١٢)

وقد وجهت عناية خاصة، فى نشاط الأمم المتحدة فى مجال الدعاية الاجتماعية إلى إنشاء و توسيع خدمات رعاية الشباب تحت إشراف حكومى وأهلى كجزء لا يتجزأ من برامج شاملة للنهوض بالأسرة والمجتمع: كما أكد نشاط الأمم المتحدة أهمية الإمدادات والخدمات الاجتماعية المختلفة لحماية حقوق الشباب، وتنمية الرعاية الاجتماعية لهم سواء كانوا يعيشون مع عائلاتهم أو مع مجموعات أخرى من الشباب، كما توجه الأمم المتحدة اهتماماً بالشباب فى سن المدرسة والذين فى خارج المدرسة خلال عطلاتهم وأجازاتهم وللشباب بعد سن المدرسة، كما تمنحهم الفرصة للاشتراك فى العمل المحلى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، كما تهتم بهم فى مجال التخطيط والتطوير الاجتماعى والاقتصادى ولكل وكالة من الوكالات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة مجالها الخاص فى النواحى التربوية والنشاط الفنى.[١٣]

وفى هذا الصدد، هناك العديد من الهيئات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة لها أدوار هامه فى توجيه الشباب ومنها:-[١٤]

١-**هيئة اليونيسيف:** وأنشئت عام ١٩٤٦ وهى هيئة تحمى الأطفال والشباب ولذلك فهى تعمل على تذكير العالم بحاجات الشباب وآماله وحقوقه، وهى تسعى إلى خدمة الشباب والأطفال فى الدول النامية خاصة عن طريق التعاون بينها وبين الحكومات.

٢-**هيئة اليونسكو:** وهى منظمة خاصة تابعة للأمم المتحدة مهمتها زيادة تبادل المعرفة والعلم والثقافة ويستطيع الناس بواسطة الجهود التى تبذلها أن يحصلوا على الفهم اللازم ليسايروا التطورات التى حدثت فى الحياة الحديثة ومن ثم وضعت نصب أعينها فئة الشباب من حيث توسيع نشاط الشباب وإجراء الدراسات التى تستهدف تحديد أهدافه وتسهم فى تربيته خارج نطاق المدرسة.

٣-**مكتب العمل الدولى:** عندما أنشئ مكتب العمل الدولى بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة كانت أحوال المعيشة والعمل للأطفال وللشباب سيئة فى بعض الدول، ولذلك كانت أولى واجبات المنظمة حماية مستويات المعيشة وحماية

الأفراد ضد العمل غير الصحى أو التوظيف فى سن مبكرة، ومنذ ذلك الوقت يوجه مكتب العمل اهتمامه المتواصل بالشباب وزيادة مجال عمله بحيث غطى مجالات حماية الشباب وكذلك تدريبهم وإرشادهم المهنى وتمكينه من حماية صحته ورفاهيته فى عمله.

٤-**منظمة الأغذية والزراعة (FAO)** : وتأسست عام ١٩٤٥، ومن أغراضها رفع مستويات التغذية والمعيشة للشعوب وزيادة القدرة على الإنتاج وتحسين أحوال سكان الريف.

قامت المنظمة بتنفيذ أعمالها فى ميدان الشباب الريفى كجزء لا يتجزأ من برنامجها التوسيعى واهتمت بمشاكله فى جميع ندواتها واجتماعاتها وتولى عدة خبراء متخصصين فى المنظمة توسيع وتدعيم نشاط وبرامج النشاط الريفى، هذا بالإضافة إلى التعاون مع منظمات الشباب العالمية الأخرى إلى جانب برامج التدريب المهنى التى تنظمها للشباب الريفى.

وفى ٧ ديسمبر ١٩٦٥ أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالاجماع بياناً موجها إلى شباب العالم، أقر ستة مبادئ وهى: ضرورة تربية جيل الشباب فىّ ظل روح السلام والعدل، وتربية النشىء تربية سليمة يقوم بها الأباء والأسر ووسائل الأعلام، وتربية النشىء تربية أساسها كرامة الناس والمساواة دون تمييز فى الجنس او اللون أو السلالة أو الدين، وتشجيع الرحلات والسياحة والمقابلات ودراسة اللغات دون تمييز، وتشجيع جماعات الشباب على بلوغ أهداف الأمم المتمثلة فى السلام والأمن والعلاقات الودية، وأخيراً تنمية قدرات الشباب وتأهيل الأشخاص المتميزين.

ولكل ذلك لا بد من استثمار طاقات الشباب والاستفادة بهم من جهتين من المجتمع: الأولى فى دور العلم من خلال النشاط الرياضى وتوفير الملاعب والأدوات، والنشاط الكشفى من خلال تكوين فرق الأشبال والكشافة والجوالة، والنشاط الصحى من خلال تعويد التلاميذ العادات الصحية والاهتمام بالصحة الشخصية والاجتماعية، والنشاط الثقافى من خلال الاهتمام بمكتبة المدرسة

وتزويدها بالمؤلفات والمطبوعات، والنشاط الفنى والعلمى من خلال رعاية التلاميذ الذين تتكشف ميولهم الفنية ومواهبهم الذهنية وتشجيعهم علــى الاشــتراك فــى الجمعيات المدرسية وفقاً لميولهم واستعداداتهم، والنشاط الاجتماعى وذلك بغية بث روح خدمه الآخرين وتحقيق الترابط وتنظيم العلاقات الاجتماعية من خلال الأندية المدرسية وجمعيــات الرحــلات والمخيمـات والمعسـكرات والمسـرح المدرسـى ... إلخ.

والجهة الثانية التى يمكن من خلالها الاستفادة من الشباب واستثمار طاقاتهم، هى مـن خـارج دوز العلـم مـن خـلال إنشـاء المتنزهـات والحدائـق العامـة وإنشـاء الساحات الشعبية ومؤسسات الثقافة الشعبية وقصـور الثقافـة والمصـايف المشـاتى، بالإضافة إلى إنشاء الأندية وبيوت الشباب والمعسكرات العامة.(١٥)

.. وكل ذلك أضحى الاهتمام بالشباب قضيــة عالميـة ومحليـة علـى السـواء، وأجريت فى هذا الصدد العديد مـن البحـوث فـى مختلـف مجـالات العلـم وبخاصـة العلـوم الاجتماعيـة مثـل علـم النفس وعلـم الاجتمـاع والانثروبولوجيا ولكـل علـم منظوره الخاص وأساليبه البحثية الهامة فى رصد كل ما يتعلـق بفئـة الشـباب بغيـة الاستفادة من تلك الفئة الاستفادة القصوى ودمجهم فــى المجتمـع لدورهـم الهـام فـى عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية على السواء.



(٣)

خصائص الشباب وسماتهم

تمثل مرحلة الشباب فترة التحول الكبرى فى حياة الإنسان مـن حالـة طفولـة واعتماد على غيره إلى حال يتم فيها الاعتماد على النفس واكتمـال النمـو الجسـمى والعقلى والعاطفى.(١٦) ومن الناحية الجسمية تشـهد بدايـة مرحلـة الشـباب اقتراب شكل الجسم ووظائفه من آخر درجات النضج. وفيها تشهد تحولات واسعة وعميقة وسـريعة فـى ملامـح جسـم الشـباب، وإذ تتلاشـى الرهافـة ودقـة القسـمات المميـزة للطفولة وتحل محلها حالة من الفظاظة النسبية الناتجة مـن اختـلاف نسـب أعضـاء

الجسم وأطرافه وبخاصة نسب اليدين والساقين والأنف، كما يسبق النمو العظمى النمو العضلى ولذلك يشعر الشاب بتوتر بالعظام وتزداد سعة القلب بشكل يزيد على سعة الشرايين وقوتها مما يؤدى إلى زيادة ضغط الدم ويظهر آثار ذلك فى الشعور بالصداع والإعياء وتنمو المعدة مما يترتب عليه زيادة شهية الشباب للطعام... كما تظهر الخصائص الجنسية الأولية والثانوية ويصبح الشاب قادراً على التناسل - بحدوث الطمث عند الأنثى وإمكانية القذف بعد تكون الحيوان المنوى عند الذكر، ثم تنتظم هاتان العمليتان وينمو صدر الفتاة وتصبح ناهداً، ويتسع الحوض وتمتلئ الأرداف وتميل إلى الاستدارة ويظهر شعر العانة ويتغير صوت الذكر فيصبح خشناً عميقاً وينمو شعر شاربه وذقنه وشعر العانة. ويستتبع هذه التغيرات تحولات فى ميول الفرد.

ويتباين الشباب من حيث السن الذى يبدأ عنده التحول من ملامح الطفولة وفى أى الجوانب يبدأ فيها النمو ويتباينون فى معدلات نموهم العامة، وفى معدلات نمو كل من هذه الجوانب فبعضهم يبدأ مبكراً بعد سن العاشرة بقليل وبعضهم يتأخر حتى الثالثة عشر مثلاً، ومنهم من يبدأ النمو عنده بنمو الهيكل العظمى ومنهم من يبدأ نموه بالنضج الجنسى، و من ثم يمر الشاب عادة بفترات يكون فيها شكل جسمه وطرق أدائه لوظائفه غريبة ومثيرة للقلق مما تسبب العديد من القلق البالغ ولكن بعد فترة يتحقق شئ من التناسق بين مختلف أعضاء جسم الشاب ووظائفها. ويتوقف خط سير النضوج الجنسى على عوامل كثيرة من أهمها الجنس والمستوى الاقتصادى الاجتماعى إذ تصل الأنثى إلى مرحلة النضج الجنسى مبكرة عن الذكر بمدة تتراوح بين سنة وسنتين فى المتوسط، كما أن النضج الجنسى أسرع فى المستويات الاقتصادية الاجتماعية العليا عنه بين الطبقات الدنيا. وتتجه القدرات العقلية للشاب نحو الاكتمال ويقترب نموه العقلى من أعلى مستوياته (حول سن السادسة عشرة) وتبدأ القدرات والهوايات والميول الخاصة فى الظهور بوضوح، كما ينمو الانتباه والتذكر والتخيل وتختلف عن مثيلاتها لدى الطفل ويعيش الشاب فى عالم من أحلام اليقظة ومن ثم قد يدفعه ذلك إلى قراءة القصص والرغبة فى الأسفار والرحلات. كما يتوقف الشاب عن تقبل الأفكار والمبادئ

والقيم والأشياء التى يقدمها له الكبار على علاتها ويفكر فيها ويناقشها مناقشة منطقية.(١٧)

كما تتميز مرحله الشباب بالتوتر والقلق ويشوبها الكثير من المشكلات سواء بالنسبة للشباب أو أهله أو المجتمع. فبعد فترة طويلة. نسبياً من النمو الهادئ غير الملحوظ والاستقرار الإنفعالى مرحلة الطفولة- يصبح الفرد غير متزن وغير مستقر ولا يمكن التنبؤ باتجاهات تصرفاته، فهو غير قابل للانصياع، متمرد على طلبات الأسرة يرفض تحريماتها غير متأكد من حقيقة ذاته، يتعامل مع الكبار بشئ من الحساسية وقدر واضح من العناد.(١٨)

ولكننا نرى أن هذه القضية ليست عامة ولا تنطبق على كل المجتمعات والثقافات البشرية، فالثقافة السائدة فى المجتمع وأساليب التنشئة الاجتماعية هى الى تعطى وتبلور الإحساس بالمشاكل المترتبة على مرحله البلوغ ومن ثم الدخول إلى عالم الشباب وهذا ما سوف نناقشه بعد قليل.

وعموماً نجد أنه نتيجة للتحولات الفسيولوجية والجنسية والعقلية التى يمر بها الشباب والأوضاع التى يترتب عليها، تظهر حاجات جديدة لدى الشاب، فقد أصبح شخصاً آخر مختلفاً عما كان عليه منذ سنوات قليلة ومختلفاً عن كثير من رفاق سنه، كما تضايقه بعض الأفكار والخواطر والرغبات الجديدة التى خلقها فيه النمو، ومن ثم يسعى الى الحصول على تقبل الآخرين له فى وضعه الجديد. ويترتب على كل ذلك -على الأقل فى مجتمعاتنا المعاصرة- وجود أزمة لدى الشباب، وهذه الأزمة تكون أكثر حدة بالنسبة للذين ينضجون مبكراً لأن النمو الجسمى والجنسى قد لا يوازيه نمو عقلى واجتماعى، بالإضافة لأن ذلك يدفعهم الى الابتعاد عن أترابهم والانسحاب ومحاولة الانتماء إلى جماعات الكبار الذين لا يبدون -عادة - ترحيباً بالقادمين الجدد. وتدفع هذه التحولات الخطيرة أحياناً فى نفوس الشباب انفعالات الخوف من الذات بعد أن أصبحت غير مألوفة لهم وللآخرين وبخاصة الآباء نتيجة للخلافات معهم والمستقبل الذى يبدو غامضاً مليئاً بالاحتمالات ويصاحب ذلك القلق والتوتر وسهولة الاستثارة وقضم الأظافر وبعض

اللوازم العصبية أو العصابية Psychoneurosis ، كما يغلب على الشباب تقلب الحالة المزاجية، وأخطر ما فى أزمة المراهقة أو بداية الشباب هى ما يعرف باسم أزمة الهوية Identity-Crisis التى تنشأ من عدم قدرة الشاب على فهم ذاته "الجديدة " وتقبلها والتعامل معها وهى أزمة يتوقف على حلها استمرار نضوج الشخص.(١٩)



(٤)
ثقافة الشباب

من كل ما سبق ونتيجة للتحولات الفسيولوجية والسيكولوجية التى يتعرض لها الشباب، ينتج عن ذلك وجود ثقافة خاصة بالشباب تميزهم عن غيرهم من الجماعات العمرية الأخرى، بل وقد يترتب عليها الكثير من مظاهر الصراع بينهم وبين غيرهم.

ومفهوم الثقافة الفرعية Sub-Culture للشباب، هو مصطلح واسع الانتشار فى أوروبا والولايات المتحدة لدراسة خصائص الشباب: مقتنياتهم وقيمهم واتجاهاتهم وتوقعاتهم وأنماط تصرفاتهم.(٢٠)

كما يشير إلى أسلوب حياة مستقل عن عالم الكبار سواء كان معهم أو بعيداً عنهم لا يخضع لمعاييرهم وقيمهم ومعتقداتهم وأساليب سلوكهم، بل يقوم على نسق من القيم والمعايير والأفكار وأساليب السلوك غير الملتزمة بما ينادى به الكبار. ومن ثم فان ثقافة الشباب هى نوع من اللغة والقيم الخاصة والتصرفات المتميزة التى تغلب عليها روح التمرد والعناد والفطرية والغطرسة تجاه الكبار ولذلك تسميها بعض الكتابات : الثقافية المضادة أو المعادية Counter-Culture.(٢١)

لقد ترتب على الفروق الثقافية بين طوائف السن فى كثير من المجتمعات بما فيها النامية، أن فئة الكبار تبدع صوراً ثقافية تستهدف طوائف السن الأخرى. كما أن البالغون يكتبون كتباً ويخرجون أفلاماً وبرامج تلفزيونية للأطفال والمراهقين

ويخلقون عالماً من القصص يرى فيه الشباب أنفسهم، ولما كان النجاح الاقتصادى للأفلام والتسجيلات والمطبوعات تعتمد على الزبون الشاب، فان المسئولين وإن كانوا ليسو شباباً، يجب عليهم أن يسايروا أذواق الزبائن كما يساير صناع اللعب فى لعبهم أذواق الأطفال.(٢٢)

وقد تعددت المنظورات التى تفسر هذه الظاهرة، ومنها المنظور البيولوجى النفسى الذى يفسرها فى حدود "المرحلة العمرية التى يمر بها الشباب "والتى نتيجة للتغيرات الجسمية والمزاجية والعقلية والانفعالية تلزم أن تكون مقومات ثقافة الشباب بما تتسم به من رفض أو تحرر نتاجاً طبيعيا لمرحلة انتقالية ... ومنهم من يرجع الظاهرة إلى الفجوة الثقافية بين الأجيال وتباعد الشباب عن جيل الكبار، ومنهم من يرجع ذلك إلى الظروف التاريخية والسياسية والاقتصادية التى مر بها المجتمع الغربى ومن ثم تأخذ الظاهرة فى نظره أساليب مختلفة للتعبير/(٢٣) وترتب على كل ذلك ظهور ما يسمى بصراع الأجيال generations Conflict هذا الاختلاف بين جيل الأباء والأبناء فى القيم والاتجاهات وأنماط السلوك وطرق التفكير والتصرفات ...الخ.

- وقد أرجعت الدراسات(٢٤) هذا الصراع بين الآباء والأبناء إلى العديد من العوامل وهى:

١-الفروق بينها والبطء فى عملية التطبيع الاجتماعى.

٢-الفروق الفسيولوجية خاصة التغيرات الجسمية السريعة عند المراهقين.

٣-الفروق النفسية الاجتماعية والتى تظهر فى واقعية الكبار ومثالية الشباب، والميل إلى المحافظة على القديم لدى الكبار والميل للتجديد لدى الشباب.

٤-الفروق السوسيولوجية، فالآباء لديهم سلطة أبويه على أبنائهم ولكن تلك السلطة تتقلص مع النمو التدريجى للأبناء، وسرعان ما يتمثل مستقبل الآباء فى نمو أبنائهم كما لو كان الأبناء يحققون ما عجز الأباء عنه بسبب عامل السن وهنا ينشأ التعارض بين الأباء والشباب .. وتحاول المجتمعات تجنب هذا الموقف

بالتأكيد على احترام كبار السن والاهتمام بالحياة بعد الموت.

ويثور تساؤل حول بداية ظهور ثقافة الشباب. وفى هذا الإطار فقد عرض لنا دان سوليفان[٢٥] Dan O'sullivan ثلاث مراحل لظهور هذه الثقافة وهى:

١-يرجع مؤرخو موسيقى البوب ظهور ثقافة الشباب إلى منتصف الخمسينات من هذا القرن. ففى عام ١٩٥٤ قدم بيلهالى Billhaley سجلاً أسماه "موسيقى الروك" فى ظل الوقت Rock around the Clock وباع هذا المؤلف ١٥ مليون نسخة ودفع ذلك كثيرا من الشباب إلى الرقص والاهتمام بالموسيقى وطور نوعاً جديدا من الموسيقى الشعبية التى تسمى "روك أند رول "Rock and Roll وهو نمط جديد من الموسيقى على الغرب وهى مستعارة أساساً من الإيقاع الزنجى.

٢-البعض الأخر يرى أن ثقافة الشباب ظهرت فى وقت متأخر من منتصف الخمسينات ومن أدلتهم على ذلك ظهور وتطور حركة الاحتجاج السياسى فى نهاية الخمسينات والتى كانت تنادى أساساً بنزع السلاح النووى وهى حركة ليبرالية ارتبطت بالطبقة الوسطى وتعمل على محاربة امتلاك بريطانيا للقنبلة الذرية.

٣-مرحلة ظهور العقاقير -المرتبطة بالشباب Drugs والمجتمع المتساهل The permissive Society وظهور الصحف السرية Underground Newspapers ولكن انتهت تلك المحاولة بصعوبة تأريخ وبلورت شكل تلك الثقافة.

وهناك العديد من العوامل التى أدت إلى ظهور ثقافة الشباب وهى.[٢٦]

١- كثرة المال، فالشباب أكثر من أسلافهم امتلاكاً للمال ويرجع ذلك إلى زيادة الطلب على عمالة الشباب منذ الخمسينات ولكن عادة ما ينفق الشباب أموالهم على القليل من السلع والملابس والتسجيلات والسيارات وهذا أدى إلى الاهتمام بأذواق الشباب كقوة شرائية.

٢- نمو التعليم العالى وزيادته، فقد وصلت نسبة الشباب الآن الذين يلتحقون

بالتعليم العالى أكثر من ١٢٪ وهنـاك عشرات الجامعات ومئات الكليات فى مختلف التخصصات، ومعظم هؤلاء الطلاب لديهم نفس الاهتمامات والسمات و الطموحات والقيم والأذواق.

٣- طرق التنشئة الاجتماعية Socialization للأطفال والشباب فأساليب التربية الحديثة تعتبر سبباً مباشراً لنشأة وتكوين جماعات المراهقين الساخطين على قيم المجتمع، ومن ثم فان الأساليب المختلفة والمتعارضة أحيانا لتربية الأطفال والشباب والتى تؤكد على التطور الحر للشخصية الفردية هو ما يؤدى بالشباب إلى الشعور بالاغتراب Alienation.

٤-متاعب ومشاكل المجتمع والعالم حسبما يراها الشاب أو الفتاة حيث ينتقدون المجتمع بكل نظمه بقائمة من الانتقادات الحادة، ومهما تكن الاختلافات بين الشباب فهم يشتركون فى نقطتين:

أ-الاهتمام بعالم الكبار وهو عالم يرون أنفسهم غير مسئولين عنه.

ب-انتقادهم لكل المجتمعات التكنولوجية دون استثناء، فقد عارض اليسار فى الثلاثينات المجتمع الرأسمالى ولم يدرك سلبيات روسيا فى عهد ستالين Stalin. وقد هاجم الفاشيون Fascists عيوب الديمقراطية البرلمانية وتطلعوا إلى ألمانيا فى عهد هتلر كأمل مستقبلى لهم. ولكن يجمع الشباب فى احتجاجهم على كيفية عمليات التكيف السيكولوجى الشائعة فى كل المجتمعات المتقدمة القائمة على المادية والأنانية التى تشجع الخبراء المتخصصين على أن يتحكموا فيهم تحت اسم العلم.



(٥)
مشكلات الشباب

تواجه الشباب مشكلات عديدة منها ما يتصل بصحته أو نفسيته أو ما يتصل بموقفه فى أسرته أو مدرسته أو بيئته، ومنها مشكلاته الاجتماعية والثقافية والمادية

ومنها ما يتعلق بظروف تحصيله وعمله أو وقته الحر، ومنها مشكلات قيادته وتوجيهه والنقص فى ذلك كما وكيفاً أو غير ذلك من المشاكل التى تؤثر فى حياة الناشئين وتحدد موقفهم من المجتمع كما تحدد المستقبل الذى ينتظرونه أو ينتظرهم.[٢٧]

وهناك العديد من الرؤى لتحديد أبعاد ومظاهر ونتائج هذه المشكلات، بعضها استند إلى التفسيرات العلمية وبعضها الأخر -خاصة فى عالمنا العربى- استند إلى التفسيرات الدينية والتى تعلل أصحابها بالبعد عن دين الله وتعليماته وتقليد الغرب... إلخ. وفى هذا الإطار يرى عباس محجوب[٢٨] أن أسباب مشكلات الشباب فى عالمنا العربى متمثل فى الآتى:

١-التناقض بين القيم والمجتمع، أى بين ما يجب أن يكون وبين الممارسة الفعلية.

٢-افتقاد الهوية الذاتية:وسبب ذلك البعد عن ثقافة الأمة وتراثها وتقاليدها وعقيدتها.

٣-مشكلة الجنس وصعوبة تكيف الشباب مع هذه المشكلة وعدم وجود التربية الجنسية الصحيحة. وترجع هذه المشكلة إلى: الغزو المرتبط بالاحتلال، والمفهومات المغلوطة عن الجنس ووظيفته فى الحياة، والمثيرات الخارجية، والعقبات التى توضع أمام الشباب فى الزواج المبكر، والفراغ الفكرى والعقلى والعاطفى والرياضى، وتوفر أسباب الانحراف لدى الشباب، وأخيراً عجز منتديات الشباب عن أداء دورها.

٤-ضعف التعليم والثقافة والتخلف العلمى.

ومن ناحية أخرى تعتبر مشكلة المخدرات من المشكلات الخطيرة نظراً لارتباطها بالشباب ومن ثم الآثار السلبية الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والصحية المدمرة عليهم.

وقد أجريت العديد من الدراسات على المستوى العالمى والمحلى - لتحديد أسباب وأبعاد ونتائج هذه المشكلة على الشباب، ومن أمثلة هذه الدراسات تلك التى أجراها المعهد القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة[٢٩] لتلقى الضوء على

مدى انتشار تعاطى المخدرات أو المـواد النفسية بين الطـلاب وبخاصـة قطاعـات طلاب المدارس الثانوية والجامعات من الذكور.

وقد أجريت ثلاث بحوث على أعداد كبيرة من الطـلاب بلغت ٥٥٣٠ تلميذاً من المدارس الثانوية العامة و ٣٦٨٦ تلميذاً من المـدارس الثانويـة الفنيـة و ٢٧١١ طالباً بالجامعات وبلغت نسبتها حوالى ٦٪ و٣٪ و٢,٥٪ على التوالى من جماهير الطلاب المعنية ومن ثم يمكن تعميم نتائج الدراسة على جمهور الطلاب فى القاهرة الكبرى.

ومن نتائج هذه الدراسة:

١-أن هناك ارتباطاً إيجابياً بين التعرض لما يسمى "ثقافة المخدرات" وبين احتمال الاقبال على التعـاطى وأن أعداداً كبيرة مـن الشـباب يتعرضـون لهـذه الثقافـة تنصب عليهم من قنوات اجتماعية مختلفة من أهمها وسائل الإعلام.

٢-أن هناك جماعات كبيرة من الشباب لا يتعاطون المخدر ولكنهم علـى استعداد نفسى لأن يتعاطوا إذا أتيحت لهم الفرصة.

٣-أن سن السادسة عشر بين تلاميذ المدارس الثانوية والتاسعة عشر بيـن طـلاب الجامعات هى السن التى يبلغ عندها اكبر احتمال لأن يقوم الشاب على تجربـة التعاطى وأن هذا الاحتمال يتراجع بعد ذلـك بـالتدريج ويبلـغ أقصـى مستويات التضاؤل فى أواخر العشرينات من العمر.

٤-أن أعداداً كبـيرة نسـبياً تقبل علـى تجربـة التعـاطى بدافـع حـب الاسـتطلاع أو دوافع أخرى ولكـن ثلاثـة أربـاع هـذه الأعـداد تتوقـف بينمـا يبقـى الربـع فقط تتعاطى.

٥-وعموماً انتهت الدراسة إلى خطورة هذه المشـكلة بصفـة عامـة وأن حلهـا يبدأ بتقدير وزنها أى معرفة حجمها وشكلها أو تنظيمهما، ويقدر حجمها مـن خـلال حجم المضبوطات وأعداد قضايـا المخـدرات وأعـداد المتهميـن بالإضافـة إلـى نتائج التقارير السرية المخابراتية.

بالإضافة إلى أن هذه المشكلة معقدة جداً ولها أوجه متعددة الطبى والنفسى والاجتماعى والاقتصادى والتاريخى والقانونى والكيميائى والبيولوجى وقد ترتب على ذلك عدم إمكانية تخصص علمى واحد على معالجتها المعالجة السليمة وإنما لابد من اشتراك مجموعة باحثين من مختلف التخصصات.

ومن ناحية ثالثة يحتل التعليم وقضاياه مكانة هامة جداً من القضايا التى تهم الشباب، وفى هذا الصدد فقد اجريت العديد من الدراسات لرصد هذه المشكلة وتحديد أسبابها والطرق المثلى لعلاجها، فقد انتهت احدى دراسات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية فى هذا الصدد إلى النتائج الآتية.(٣٠)

بالنسبة للمقررات الدراسية:

١-ضرورة مسايرة المواد الدراسية لتطور المجتمع.

٢-عدم وضوح الهدف من دراسة كل مادة من المواد الدراسية وظهور قيمتها بالنسبة للطلاب.

وبالنسبة لنظام الدراسة وأساليب التدريس:

١-ضرورة النظر فى أسلوب المحاضرات الجامعية وجعل الطلاب يشعرون بالايجابية من خلال البعد عن الأسلوب الإملائى وأن يصاحب المحاضرات عقد حلقات مناقشة لتبادل الآراء بين الطلاب وضرورة ارتباط الشرح النظرى بالعملى فى الكليات العملية.

٢-زيادة فاعلية التدريس من خلال إعداد الأساتذة وتلقى المعيدين دورات تربوية وتنظيم توزيع المحاضرات فى الجدول الدراسى وتوفير الكتب الرخيصة للطلاب والعناية بالمكتبات الجامعية وتزويدها بالكتب اللازمة وزيادة المعامل والورش والمدرجات.

٣-اعتماد الأساليب الموضوعية لتقويم الطلاب وأن تتسم الامتحانات بالموضوعية لتقدير الطلاب تقديراً عادلاً من خلال عدم اقتصار عملية التقويم على امتحان واحد بل يجب أن تكون مستمرة طوال العام وأن يشمل الامتحان جميع أجزاء المنهج.

ومن ناحية رابعة يعتبر العمل والمشاكل الاقتصادية من أهم المشكلات التى تواجه الشباب العالمى عموماً ومصر على وجه الخصوص، وفى هذا الإطار فقد انتهت دراستنا[٣١] إلى العديد من النتائج مثل:

١-الإحساس العام بوجود مشكلة اقتصادية عامة فى مصر، وأكثر فئات الشباب إحساساً بتلك المشكلة هى الفئات ذات الدخل المنخفض مثل الموظفين ولكن فئة الحرفين هى أقل تلك الفئات، وأهم المشاكل الاقتصادية من وجهة نظر الشباب هى مشكلة ارتفاع الأسعار وبخاصة رغيف الخبز.

٢-أن الشباب الحرفى هو أكثر الفئات التى أوضحت أن هناك فرصاً عديدة للعمل والكسب فى مصر عموماً وكذلك فى مجتمع الدراسة ويأتى بعد ذلك الشباب المهنى ثم الشباب الطلابى وأن الأعمال الحرفية هى التى تدر دخلاً اعلى.

٣-أكد الشباب على قيمة العمل وأهميته عموماً فى حياتهم وأن العمل إثبات للذات ووسيلة كسب العيش.

٤-هناك اتجاه متزايد من جانب الشباب نحو العمل اليدوى وأن كثيراً من الشباب الطلابى قد تعلم إحدى الحرف وعمل بها بدلاً من العمل المكتبى -قليل الدخل- كما تعلم كثير من الموظفين حرفاً يدوية يزاولونها فى أوقات فراغهم بعد الظهر.

٥-أن غالبية الشباب لا يفضلون تغيير أعمالهم الحالية نظراً لارتفاع معدلات البطالة عموماً وأن كانت فئة الموظفين هى أكثر الفئات سخطاً وتمرداً على أعمالهم.

٦-أن الوظيفة الجيدة من وجهة نظر الشباب هى تلك التى يشعرون فيها بالأمان والراحة النفسية ويلى ذلك الدخل المرتفع.

ومن ناحية خامسة يعتبر الزواج من المشكلات الملحة عموماً وبخاصة فى مصر نظراً لارتفاع الزواج وعدم توفر الشقق السكنية وارتفاع نسبة البطالة وزيادة المعروض على سوق العمل من الاحتياجات الفعلية للسوق والركود الاقتصادى

والتحول إلى إقتصاد السوق وترتب على ذلك ارتفاع معدلات سن الزواج، بل وارتبطت التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع بزيادة المشاكل الزوجية ومن ثم زيادة معدلات الطلاق.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٦)

الشباب فى المجتمعات والثقافات المختلفة

فى البداية يثور تساؤل مؤداه: هل انتقال الفرد من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب تتماثل فى الجنس البشرى بعامة؟ وهل هناك خطوات معينة يسير فيها الفرد لكى يعد ناضجاً ويدخل فى فئة الراشدين والناضجين Adulthood فى المجتمع ومن ثم يترك فترة الطلب ويبدأ فترة العطاء للمجتمع؟ وإذا كان هناك مثل هذه الطقوس فهل تتماثل فى الأنماط المجتمعية المختلفة؟

تدل المشاهدات على أن هذا يختلف باختلاف الأنماط المجتمعية المختلفة وإن كانت هناك بعض المراحل الهامة فى حياة الشخص التى تنطوى على تغيرات معينة تستتبع القيام بطقوس معينة، وهى تسمى باسم شعائر المرور Rites of Passage ويتم القيام بها عند الانتقال من مكانة اجتماعية لأخرى ويمثل الزواج والموت مرحلتين مهمتين تستتبعان القيام ببعض الطقوس عند حدوثهما. وفى العديد من المجتمعات -وخصوصاً المجتمعات الصناعية- نجد أن الانتقال من الطفولة إلى البلوغ يستتبعه القيام بطقوس تكريسية معينة. ففى بعض المجتمعات نجد أن طقوس التكريس يتم القيام بها عند الوصول إلى البلوغ Puberty الذى يتميز بظهور شعر الوجه والجسم فى البنين، وظهور الشعر فى أماكن معينة من الجسم وبداية الحيض عند البنات[٣٢].

وفى المجتمعات البدائية يتم تكريس البنات وإعدادهن كناضجات فى المجتمع فى بداية فترة الحيض ، حيث يتم عزلهن وينصحهن النساء المسنات فى كل أمور الحياة مثل أمور الجنس والزواج وكيفية إعدادهن زوجات وأمهات ، وفى تلك الفترة يتم ثقب آذانهن وقص شعورهن ، ثم تقام حفلة تختتم بها فترة عزلهن فى تلك

الحفلة تظهر البنت أمام عامة الناس فى ملابس المرأة البالغة[٣٣].

وبالنسبة للأولاد يتم تكريسهم بالطريقة نفسها. ففى قبيلة باكافا Bakava فى غينيا الجديدة فى جنوب شرق آسيا، يؤخذ الأولاد من القرية ويتم اقتيادهم معصوبى العينين Blindfolded لحفلة طقوسية تضم أشخاصاً آخرين غيره، وقد تستمر لمدة ثلاثة أو خمسة شهور، ويتطلع إليها الجميع بمشاعر الترقب والتساؤل والرعب والخوف والفخر، ومن تلك الطقوس أن يقوم شخصان بحراسة الأولاد المراد تكريسهم وإحداث ضوضاء غريبة لارهابهم باستخدام آله حادة مثل الفأس. وفى تلك الأثناء يلتزم الأولاد بعدم آكل أنواع معينة من الأطعمة مثل فخذ الخنزير والفئران والسحالى كما يحرم عليهم شرب الماء العذب، ويقوم كبار السن بتوجيه الأولاد الى كيفية السلوك بأساليب الكبار وكيف يلتزمون بقيم وأخلاقيات القبيلة.وفى تلك الأثناء يتم ختان الأولاد فى جو ملئ بالصخب والضوضاء حيث يستعمل المسنون وكبار السن فى القبيلة خشبه معينة مربوطة بخيط معين ويتم لفها فى الخيط، ثم تفك فتحدث صوتاً معيناً عند ارتطامها بالأرض كما تستخدم المحارات والأحجار فى تلك العملية.

وبعد انتهاء مراسم تلك الطقوس، يعود الأولاد الى القرية وهم يرتدون نوعاً معيناً من الحلى تختلف عن ملابس الأطفال وتصبغ وجوههم وتوضع بعض الأمشاط فى شعورهم، ويستقبلهم زعماء القبيلة بحرارة وفى نهاية حفل الاستقبال تعد لهم وليمة كبيرة[٣٤].

ولمعرفة مدى وجود "أزمة" ما فى مرحلة المراهقة فى المجتمعات البدائية كما هو الحال فى المجتمعات المتحضرة، قدمت لنا الباحثة الأنثربولوجية مارجريت ميد Margaret Mead دراستين هامتين. احداها عن المراهقة فى مجتمع ساموا والأخرى عن التنشئة الاجتماعية فى غينيا الجديدة New Guinea.

فبالنسبة للدراسة الأولى وعنوانها " الوصول الى مرحلة المراهقة فى ساموا Coming of age in Samoa[٣٥]. نجد أنها درست الفتيات المراهقات ومراحل حياتهن وخبرتهن الجنسية.

وهذه الدراسة كانت بمثابة معارضة صريحة لنظرية عالم النفس ستانلى هول حول المراهقة والتى أكد فيها على الحتمية البيولوجية لتلك المرحلة التى يسودها التوتر والضغط وبدلاً من ذلك فقد تبنت مارجريت ميد النظريات الثقافية لأستاذها فرانز بواس أستاذ الانثروبولوجيا بجامعة كولومبيا.

ومكثت الباحثة فى هذا المجتمع تسعة أشهر اتصلت خلالها بالبنات المراهقات ودرست حجم عائلاتهن وثروة آبائهن وعدد أفراد أسرة كل منهما وتقاليد وقيم المجتمع وشبكة العلاقات الاجتماعية هناك.

وضمت الدراسة ثمانية وستين فتاة تتراوح أعمارهن ما بين الثامنة والتاسعة والثامنة عشر والعشرين عاماً. وتوزع هذا العدد على ثلاث قرى هناك وهى فليا سو Faleasao ولوما Lumaوسيوفاجا Siufaga.

وتساءلت الباحثة عن مدى ارتباط مرحله المراهقة بالضغد والتوتر والأزمات مثل الفتيات الأمريكيات فى ذلك الوقت، ولكنها انتهت الى أن الفتيات المراهقات هناك يتحركن بسهولة من مرحلة الطفولة الى المراهقة بلا متاعب وان فترة بلوغهن ومن ثم غرائزهن الجنسية لا تمثل لهن أية مشكلات أو توتر وذلك للآتى:

أ-الحرية الجنسية للفتيات قبل الزواج ومن ثم عدم التنافس عليها.

ب- نقص روح التنافس والقدرة على الإنجاز.

ج-سهولة عمليات التنشئة الاجتماعية هناك وسيادة روح التسامح وعدم العنف فيها وعدم وجود عمليات الضبط الصارمة... وكل ذلك أدى الى عدم وجود الأزمات هناك ومن ثم يوجهن جهودهن إلى اهتمامات وأنشطة أخرى دون النظر إلى طموحات بعيدة المدى. ومن ثم يتصفن بالدماثة وعدم العدوانية.

والدراسة الثانية هى التنشئة الاجتماعية فى غينيا الجديدة.[٣٦]

وفى هذه الدراسة تناولت مارجريت ميد نفس القضية ولكن من زاوية أخرى، وقد ركزت دراستها على مجموعة قبائل مانوس Manus فى جزر

الادميرالتى Admiralty Islands التابعة لغينيا الجديدة، وركزت على دراسة المراهقين منذ بداية عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال وأساليب تربيتهم وأثر ذلك كله عليهم فى مرحلة المراهقة، حيث يتم تعويد الطفل الاعتماد على نفسه وتأكيد أثر خبراته على ذلك الأمر الذى يؤدى بالأبناء إلى التعود على الكسل وعدم الدبالاة.

وتتم عمليات البلوغ بالنسبة للجنسين وفق طقوس شعائرية معينة. فعملية البلوغ بالنسبة للفتاة مثلاً تعنى بداية الحياة الناضجة وتحمل المسئوليات. فهى بمثابة نهاية مرحلة اللعب واللهو مع الرفاق الأطفال. وتبدأ الفتاة فى التعرض لعملية المحرمات من جانب مثيلتها قبل بلوغ الفتاة بعدة سنوات. ولكن البلوغ لا يعنى بداية حياة جديدة تماماً، ولكنها تعنى بصفة أساسية التخلص من مظاهر حياتها القديمة ولا يناط إليها إسهامات جديدة اللهم إلا مزيداً من بعض الأعمال المنزلية وتبدأ فى إعداد المزيد من دقيق الساغو Sago –دقيق نشوى يعد من لب نخل الساغو– للطعام وكذلك صيد السمك وهى لا تكون مزيداً من الصداقات ولكنها تحتفظ بالقليل من صداقاتها القديمة.

وتتم عملية البلوغ من خلال بعض الطقوس، فعندما تحدث عملية الطمث لأول مرة للفتاة، يقوم والدها أو الوصى عليها بالقاء عدد كبير من جوز الهند Coconuts فى البحيرة فى الوقت نفسه الذى يقوم فيه باقى الأطفال من أقاربها وجيرانها بمحاولات وتنافس فيما بينهم للحصول على تلك الثمار، وفيها يذيع خبر بلوغ تلك الفتاة. ويهم هذا الحديث الكبار الذين ينظمون حفلة البلوغ هذه، كما يهم الصغار الذين يتعين عليهم الذهاب إلى دار الفتاة البالغة للاحتفال معها بتلك المناسبة.

أما الفتى فيمر بطقوس أخرى حتى يكتسب مهارات مناسبة لدوره بوصفه عضوا منتجاً مفيداً للجماعة، حيث يتدرب على القتال والصيد وركوب البحر والسحر لحل طلاسم الكون من حوله، وتنتهى مارجريت ميد إلى نتيجة مهمة مؤداها أن سنوات ما بعد البلوغ فى هذا المجتمع لا يظهر فيها أى أثر للأزمات والتعثر أو الصراع ولكنها بمثابة السنوات الأخيرة للحرية.

وبذلك فقد كان اتجاه مارجريت ميد دائماً هو التأكيد على أكثر العوامل الثقافية فى الاحساس بأزمة المراهقة من عدمه وكذلك أثر التنشئة الاجتماعية فى مرحلة الطفولة وأثرها على شخصية البالغ بعد ذلك. وقد اتضح ذلك أيضاً فى دراسة أخرى لها(٣٧) عن ثلاث قبائل غينية فى غينيا الجديدة وفيها درست مارجريت ميد الطرق التى تشكل بها الثقافات المختلفة سمات الشخصية والتى تسميتها الذكورة والأنوثة -وقد وجدت أن الرجال والنساء فى قبائل ماندجومار Mundugumor كانوا عدوانيين وشرسين فى الوقت الذى أتسم فيه جيرانهم المنتمون إلى قبيلة الارابانش Arapesh بالاعتدال والتعاون. وفى قبيلة التشابولى Tchabuli وجدت أن النساء كن أقوياء وميالات للعدوان والاختلاط فيما كان الرجال مهتمين أساساً بتسريحات شعر نسائهم .. وبذلك تستنتج أن للثقافة دوراً كبيراً فى تشكيل شخصيات أفرادها وطبعها بطابع معين.

أما فى المجتمعات الحديثة المعقدة، فإن انتقال الفرد من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد يعد عملية مرهقة طويلة حافلة بأنواع المعاناة والألم، زاخرة بالمشكلات. فاستقلال الفرد اقتصادياً يتطلب إعداداً ويستلزم إتقان مهارات متخصصة دقيقة لا تتوافر إلا بعد فترة مران رسمى مقصود طويلة ينضج فيها الفرد جسمياً وجنسياً وعقلياً، ولا يسمح له بتحمل مسئوليات الكبار ولا الاستمتاع بامتيازاتهم. وبهذا تحبط -ولو مؤقتاً- حاجته إلى المكانة الاجتماعية والاستقلال. وتعوق عملية اشباع كثير من حاجاته الجنسية العاطفية. وأن الارتقاء النفسى والاجتماعى أصبح الأن فى المجتمعات المعقدة يحتاج إلى جهد أكبر وفترة أطول وإمكانات أوفر مما يتطلبه فى الجماعات البدائية والمجتمعات الزراعية البسيطة.(٣٨)

وفى تلك المجتمعات توجد فئتان من الظروف الموضوعية تؤدى إلى قطع الاتصال بين مرحلتى الطفولة والرشد وهما:

أ-الظروف الاجتماعية وتتمثل فى الثورة العلمية والتكنولوجية والنظام الجديد لتقسيم العمل والتخصص الدقيق وفترة الاعداد الرسمى أو المدارس الطويلة.

ب-الظروف الحضارية: وتتمثل في الهوة بين التقدم العلمي والتقني من جهة والتطور القيمي من جهة أخرى وحدوث فجوة بين الأنساق القيمية والسلوكية للكبار وتلك التي يأخذ بها جيل الشباب وهذا يؤدي إلى ما يسمى بصراع الأجيال.(٣٩)

ومهما يكن من شئ، فإن الشباب لا تكون جماعة مميزة لها سماتها الخاصة إلا في المجتمعات السريعة التغير، حيث القديم الذي تمثله الأسرة يصبح غير صالح لمعالجة المشاكل المستحدثة التي يواجهها الشباب وهو ما يدفع الشباب إلى تكوين جماعات خاصة بهم، وقد تنحرف هذه الجماعات، كما قد تتبنى أحياناً أهدافاً نبيلة كالخدمة الاجتماعية أو خدمة الوطن أو تهذيب النفس(٤٠) ويحتاج الشباب الآن إلى أساليب الحياة الحديثة التي تبعث على الراحة والرفاهية والمرتبطة بعملية التغير الاجتماعي، ومن هذه العوامل(٤١): إحلال الآلات التكنولوجية محل الإنسان ومن ثم سهولة العمل، وإزدحام المدن، وزيادة عدد السكان، والتغير في الحياة المنزلية، والحاجة إلى الأماكن الحكومية والمساحات الخضراء وسهولة التنقل والاتصال والتعليم وزيادة التقدم العلمي التخصصي وزيادة وقت الفراغ.

ومن ناحية أخرى نجد أن الغالبية العظمى من الشباب في الدول الصناعية الرأسمالية – في عصر التغير الاجتماعي والثقافي– أكثر استعدادا لمسايرة قيم الإنجاز في الثقافة الأكبر ولديهم درجات مختلفة من الالتزام بالتغير، ولكنهم لا يرفضون تماماً قيم والديهم، كما أنهم لا يتوقعون تغيراً ثورياً ولديهم استعداد لاعداد أنفسهم لأدوار البالغين بالأسلوب الذي يتوقعه المجتمع. كما أن زيادة أعداد الشباب أخيراً قد أدخل المجتمع بأكمله في مواجهة مع الشباب ترددت أصداؤها في كل مكان. وفي الوقت الحالي يواجهون إختيارات وبدائل محيرة في حياتهم قبل اختيار أنماط حياتهم والمهن ونوع التعليم والتي ينتابهم الشك والريبة في كثير من الأحيان تجاهها.(٤٢)

ولم يكن الشباب العربي بعيداً عن هذه القضية، فقد لعب دوراً هاماً في عملية تحديث modernization بلادهم، فقد قامت الدعاوى الاصلاحية منذ بداية القرن التاسع عشر حتى الآن على جهود الشباب وحققت ما أنجزته بفضل تضحياتهم، ومن بعض عناصر الشباب الذين سافروا إلى أوربا في أول لقاء حديث

للعالم العربى مع مدنيتها أو التقوا بمن استقدمتهم بلادهم من الخبراء الأوروبيين وكانت صفوة التحديث التى اعتمدت عليها مجتمعاتهم فى الأخذ ببعض أسباب هذه المدنية فاستطاعت أن تقاوم الاحتلال. أما حركات الاستقلال الوطنى ضد الاستعمار والتى تمثل بعضها فى حروب طاحنة استمرت لعدة سنوات، فقد كانت حركات شبابية فى أهدافها وتكوينها. فالشباب العربى كانوا الطلائع المتقدمة فى ثورتها على التبعية: حددوا أهدافها، وبلوروا شعاراتها ووضعوا استراتيجيتها وقدموا قياداتها والقوى العاملة فيها ودفعوا أكبر جانب من تكلفتها البشرية وتحملوا بصبر كثيراً من المعاناة من أجل نجاحها.

❁❁❁❁❁

(٧)

ثورات الشباب فى العالم المتقدم

وارتباطاً بوضع الشباب فى العالم المتقدم الصناعى، نذكر أن العلاقة لم تكن سلسة بين جيل الشباب وجيل الكبار ولكنها كانت عبر تاريخ طويل تتمثل فى ثورة جيل الشباب وتمرده ضد جيل الكبار. وكانت هذه الظاهرة منتشرة فى أوروبا وأجزاء كبيرة من العالم ولها العديد من المظاهر والأسباب والنتائج.

فقد وضعت ثورات ١٨٤٨ الشباب المتمرد ضمن الجماعات البارزة فى المجتمع حيث ثاروا ونزلوا إلى شوارع نصف العواصم الأوربية، وقد استمر هذا الاتجاه بغير توقف خلال النصف الثانى من ذلك القرن، حيث أن كثيراً من جماعات الشباب مثل فرقة القمصان الحمد red shirts التى كونها غاريبا لدىGaribaldi والارهابيون الروس Russian Terrorists الذين يلقون القنابل وجماعات أخرى غيرهم قد أوضحت أن ثورة الشباب لم تكن مسألة وقتية أو عارضة وإنما أصبحت أحد الموضوعات الرئيسية فى التاريخ الحديث، وقد تباينت تلك الحركات فى تلك الفترة ما بين الهدوء والعنف. فبينما نجد أن الحركة الروسية فى السبعينات من القرن التاسع عشر قد التزمت بعدم العنف فإن هناك الارهابيين الذين اغتالوا القيصر عام ١٨٨١ والذين كانوا يرون أن العنف فقط هو الوسيلة الوحيدة لتغيير العالم.[٤٣]

واستمرت حركات التمرد والاحتجاج من جانب الشباب فـى الازديـاد، فمثـلاً شهد النصف الأول من القرن العشـرين تطـورات أخـرى فـى التمـرد المتزايد من جانب شباب أوروبا. وتمخض ذلك عن ظهور عدد من الحركـات والتنظيمـات الشبابية المتمردة مثل جماعة شباب هتلر Hitler youth وجماعة أبناء الذئب التـى شكلها موسولينى Mussolini's Sons of the wolf أو الكوموسمول الروسى the Russian Komsomol. وقد تمكنت هذه التنظيمـات مـن تحويـل الحركـة اليوتوبية المتمردة للشباب إلى ثورة جارفة. وقد شهدت العقود التى أعقبت الحـرب العالمية الثانية نمواً لم يسبق له مثيل وزاد الانشقاق السياسـى للشـباب. وقـد أخـذت ثورة الشباب فـى السنوات الأخيرة عدة أشكال بـدءاً مـن حركـات تمـرد التشيك والمجربين ضد السيادة الروسية ووصولاً إلى تمردات الشباب الألمانى وثورة مايو فى باريس والتى هزت أركان الحكومة الديجولية فى فرنسـا، وقـد امتـدت موجـات التمرد تلك إلى ما وراء شواطئ أوربا فى أوائل القرن العشـرين وظهـرت مظـاهر أخـرى جديـدة مثـل حركـة الحقـوق المدنيـة الامريكيـة the American Rights والحركات المعارضة للحرب، وظهور الحرس الاحمر فـى الصيـن الشـيوعية the Red Guard in Communist China وكـان يجمـع كـل هـذه الحركـات هـدف واحد أو سمة مشتركة واحدة هى الوقوف فـى خـط المواجهـة ضـد المجتمـع وهـى تعكس ميلاً متزايداً من جانب الشباب للتمرد ضد النظام القائم مهما كان شـكل هـذا النظام.(٤٤)

وفى العصر الحديث زادت ثورة الشباب واتخـذت شـكلاً عالميـاً خاصـة فـى حقبة الستينات من هذا القرن سواء فى أوربا الغربية أو الولايات المتحدة الأمريكية وسواء اتخذت تلك الثورات ومظاهر الاحتجاج صورة عقبات أو معوقـات سياسـية أو حتى فى صورة الأغانى، وسواء كانت ضد السياسة الخارجية للولايات المتحـدة أو ضد أولياء الأمور، فكان يجمعهم جميعاً الشعور بـأنهم فئـة مظلومـة ومقهـورة من جانب المجتمع الكبـير، وهـذا الشـعور قـد وحـد اليسـار الجديـد سياسـياً وكذلـك الطوائف اللينينية الماركسية مع كثير من التجمعات السياسية الأخرى التى شـاركت فى المظاهرات الصاخبـة. والذين ثـاروا ضـد قـوة وسـلطة الثقافـة السـائدة الأكـبر

وطالبوا بالمزيد من الاستقلال الذاتى عن ثقافتهم الأصلية وهو ما تمخض فى انبثاق شعار الثقافة المضادة.(٤٥)

❀❀❀❀❀

... ويعد يسعدنى أن أترجم كتاب الدكتور فِرد ميلسون، رئيس قسم خدمة الشباب والمجتمع المحلى بكلية وستهيل للتعليم ببرمنجهام بانجلترا، وعنوان الكتاب هو "الشباب فى مجتمع متغير" والذى نجح فيه بإستعراض الكثير من القضايا والجوانب المتعلقة بالشباب وبخاصة الشباب البريطانى مثل أهمية الشباب كفئة عمرية لها خصوصياتها وسماتها فى المجتمع وارتباط الشباب بمرحلة المراهقة بما يسودها من توتر وغضب وتمرد، وتناول الكتاب خمسة فصول أو أجزاء رئيسية، تناول الفصل الأول الشباب فى المجتمع موضحاً اختلاف أوضاع الشباب فى المجتمع ومن ثقافة لأخرى، وفى الفصل الثانى تناول الشباب فى زمن التغير الاجتماعى السريع وآثار ذلك التغير على أوضاع الشباب، وحاول أن يقوّم دور مؤسسات المجتمع البريطانى خلال مرحلة التغير الاجتماعى وأثرها على الشباب، وفى الفصل الثالث القى المؤلف الضوء على الشباب فى عدة مناطق ودول من العالم سواء فى أوروبا الغربية أو الولايات المتحدة الامريكية أو الدول الشيوعية (سابقاً) أو المجتمعات النامية سواء فى أفريقيا أو آسيا موضحاً أثر الظروف الاقتصادية والتاريخية والاجتماعية والإيديولوجية على أوضاع الشباب فى تلك الدول واستعان بالإحصائيات المختلفة فى تناوله للقضايا وثيقة الصلة.

وفى الفصل الرابع تناول المؤلف شباب انجلترا موضحاً مكانتهم فى المجتمع وعلاقتهم بجيل الكبار واتجاهات البالغين تجاه الشباب واتجاهات الشباب تجاه أنفسهم وتناول بشئ من الاسهاب جماعات أو فئات الشباب البريطانى والتى يميز كل فئة مجموعة من القيم والمعايير والمبادئ التى تحكم تصرفاتهم وتحدد علاقتهم بالمجتمع الأكبر سواء الاندماج والقبول أو الرفض.

وفى الفصل الخامس والأخير تناول المؤلف قضية التعليم وعلاقتها بالديمقراطية، وإلى أى حد تسمح المجتمعات الديمقراطية للشباب بالتعبير عن آرائهم وعلاقة كل ذلك بتقدم المجتمع ونموه ومدى الاهتمام بالشباب وإعدادهم من أجل

المجتمع الديمقراطى المتقدم من خلال غرس المسئولية الاجتماعية لدى الشباب واحساسهم بذاتهم ومساعدتهم بشتى الطرق.

وأنى آمل من خلال نقل هذا الكتاب إلى العربية أن يكون إضافة حقيقية إلى المكتبة العربية ويساعد جيل الشباب المصرى والعربى عموماً على المزيد من تحمل المسئولية فى تلك المرحلة الدقيقة من عمر امتنا العربية فى عصر الفضائيات والأقمار الصناعية وثورة الاتصالات والانترنت وعصر التكتلات الاقتصادية وعصر التقدم العلمى والتكنولوجى الذى لا يرحم الضعفاء والمتخاذلين والمقلدين، فلتكن دعوة صريحة إلى اللحاق بركب العالم المتقدم الذى لا يعرف العواطف ولكنه يؤمن فقط بالعلم والقوة .. دعوة إلى شبابنا العربى إلى مزيد من العمل والاخلاص وعدم إضاعة الوقت .. دعوة إلى بناء الوطن والأمة وليس تقويض دعائمها بالارهاب الفكرى والعنف تارة، واللهو والمخدرات والانحرافات تارة أخرى ... دعوة إلى أجهزة المجتمع بصفة عامة إلى اتخاذ لغة الحوار أسلوباً للممارسة والتعامل مع الشباب ومحاولة النظر إلى العالم من منظورهم لتصحيح الأخطاء والأخذ بيدهم نحو الرشاد ... دعوة إلى إزالة عوامل الاحباط واليأس والتمرد من نفوس شبابنا العربى ... دعوة إلى الاستفادة القصوى والمثلى من إمكانات الشباب الهائلة لدفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية إلى الأمام.

والله من وراء القصد

دكتور/ يحيى مرسى عيد بدر

أبو قير – الإسكندرية

فى ٢٠٠٠/٦/٢٦

الهوامش

١-سعد جلال وزميله، بحث مشكلات طلبة مرحلة التعليم الثانوى -نتائج البحث الاستطلاعى، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الثالث، العدد الأول، يناير ١٩٦٦، ص٥.

٢-وداد مرقص، "دور الطلبة فى ثورة ١٩١٩"، مقتبس من المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، دور الشباب فى الحركة الوطنية المصرية (١٨٨١-١٩٥٢)، القاهرة، ١٩٨٦، ص١١٤.

٣-محمد على حافظ، مستقبل الشباب العربى (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣، ص٨).

٤-عزت حجازى، الشباب العربى ومشكلاته، ط٢، عالم المعرفة، العدد السادس، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٥، ص ص ٣٣-٣٤.

٥-المرجع السابق نفسه، ص٣٤.

٦-عباس محجوب، مشكلات الشباب – الحلول المطروحة .. والحل الإسلامى، ط٢، كتاب الأمة (قطر، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، ١٩٨٦، ص٢١).

٧-يحيى مرسى عيد بدر، الادراك المتغير للشباب المصرى، دراسة فى الأنثروبولوجيا المعرفية فى مدينة الإسكندرية، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٩، ص١٦٤.

٨-عباس محجوب، مشكلات الشباب، مرجع سبق ذكره، ص١٩.

٩-محمد على حافظ، مستقبل الشباب العربى، مرجع سبق ذكره، ص٥.

١٠-السيد عبد العاطى السيد، صراع الأجيال -دراسة فى ثقافة الشباب (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧، ص ٩).

١١-سعد جلال وزميله، بحث مشكلات طلبة مرحلة التعليم الثانوى – نتائج البحث الاستطلاعى، مقتبس من: المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الثالث، العدد الأول، يناير ١٩٦٦، ص٣.

١٢-عادل طاهر، الشباب والسلام العالمى (القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ط١، ١٩٦٦، ص٢٤٣).

١٣-المرجع السابق نفسه، ص ٢٤٤

١٤-المرجع السابق نفسه، ص ص ٢٥٣ – ٣١٢.

١٥-محمد على حافظ، مستقبل الشباب العربى، مرجع سبق ذكره، ص ص ٥٩ – ٦٧.

١٦-عباس محجوب، مشكلات الشباب، مرجع سبق ذكره، ص ١٩.

١٧-عزت حجازى، الشباب العربى ومشكلاته، مرجع سبق ذكره، ص ص ٣٤ – ٤٠.

١٨-المرجع السابق نفسه، ص ٧.

١٩-المرجع السابق نفسه، ص ص ٤١ – ٤٤.

٢٠-ت. والاس وس. ج ويلكس، الشباب فى أوغندا -بعض الأبعاد النظرية، ترجمة حورية توفيق مجاهد، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد الثانى عشر، السنة الثالثة ١٩٧٣. ص٦٦.

٢١-السيد عبد العاطى السيد، صراع الأجيال، مرجع سبق ذكره، ص١٠.

٢٢-كازيميرز زيجولسكى،المداخل الاجتماعية لثقافة الشباب، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد الثانى عشر، السنة الثالثة، ١٩٧٣، ص ص ٣٩ – ٤٠.

٢٣-السيد عبد العاطى السيد، صراع الأجيال، مرجع سبق ذكره، ص ص ١٠ –١١.

٢٤-المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية – وحدة البحوث النفسية والتربوية، الصراع القيمى بين الآباء والأبناء وعلاقته بتوافق الأبناء النفسى، أكتوبر ١٩٧٣، ص ص ١١–١٣.

25- Dan O'sullivan, the youth Culture (London, Methuen Educational Ltd., 1977, p.p. 8-10)

26- Ibid., pp. 10-13.

٢٧-محمد على حافظ، مستقبل الشباب العربى، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٧.

٢٨-عباس محجوب، مشكلات الشباب، مرجع سبق ذكره، ص ص٣٠ –٥٣.

٢٩-مصطفى سويف وآخرون، المخدرات والشباب فى مصر – بحوث ميدانية فى مدى انتشار المواد المؤثرة فى الحالة النفسية داخل قطاع الطلاب، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٨٧، ص ص ١١١ – ١١٦.

٣٠-عماد الدين سلطان وآخرون، بحث احتياجات طلاب الجامعات، المركز القومى للبحوث الاجتماعية ووزارة الشباب، ١٩٧١، ص ص ٨٧ – ٩٥.

٣١-يحيى مرسى عيد بدر، الادراك المتغير للشباب المصرى، مرجع سبق ذكرة، ص ص ٤١٥ – ٤١٧.

32- Miechael Haralambos (edts.,), Sociology: A New Approach (London, Causeway press Ltd., 1983, pp. 169 – 170).

33- Ibid., p. 170.

34- Ibid., pp.170 –171.

35- Margaret Mead, Coming of age in Samoa:
A study of adolescence and Sex in primitive Societies (London, Cox and Wyman Ltd., 1928).

36- Margaret Mead, Growing up in New Guinea, A study of adolesence and Sex in primitive Societies (London, Cox and wyman Ltd., 1963).

37- Margaret Mead, Male and Femal:
A Study of the Sexes in a changing world (London, C. Nicholls and Company Ltd., 1950).

٣٨-عزت حجازى، مرجع سبق ذكره، ص ص ١٦- ١٧.

٣٩-المرجع السابق نفسه، ص ص ١٧ – ١٨.

٤٠-وداد مرقص، دور الطلبة فى ثورة ١٩١٩ فى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، دور الشباب فى الحركة الوطنية المصرية (١٨٨١ – ١٩٥٢)، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٤.

٤١-تهانى عبد السلام، الشباب والترويح والحياة (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، غير مبين سنة النشر، ص ص ٢٥ – ٣٣).

42- Estelle Fuchs (edts.,) youth in a changing world, Across cultural perspectives on adolescence (chicago, Mouton and Co., 1976, pp. 10-11).

43- Anthony Esler, the youth revolution- the conflict of generations in modern history (London, D.C. Health and Company, 1974, pp. VII- IX).

44- Ibid., pp. VIII – IX.

45- A. Norman Klein, Counter Culture and Cultural Hegemony – Some notes on the youth rebellion of the 1960's, quated in: Dell Hynes (edts.,), reinventing anthropology (New york, Random Hous, 1969, pp. 317 – 318).

المقدمة

يعتبر الشباب فى معظم المجتمعات الإنسانية مصدراً للاهتمام الدائم وبالتالى الحوار المستمر لقد كتب عنهم سقراط فى القرن الرابع قبل الميلاد أن أخلاقهم فظة جداً، ولا يحترمون كبار السن، ماذا ستكون صورتهم الفظيعة عندما يكبرون؟ وربما تضيف الى تعليق الفيلسوف الصراعات بين الأجيال والتى تحدث أحياناً فى الأفلام الغربية، عندما يرغب الشجعان من الهنود الحمر فى الإطاحة بسلطة الرئيس.

وكان موضوع الشباب من الموضوعات الشائعة التى تناولها الكتاب الإنجليز البارزين وقد يفكر المرء فى رائعة شكسبير المسماة: "هاملت"، ورواية ديكنز Dickens المسماة: "دافيد كوبرفيلد David Copperfield، ويوجد فى فهرس قاموس اكسفورد للمقتبسات الموجزة Oxford Dictionary of quotations مائة وستة عشر مادة معجمية تحت عنوان الشباب، وهذا لا يأخذ فى الاعتبار المقتبسات وثيقة الصلة تحت عنوان الصغار والشباب. وهناك فكرة تربوية وهى: أن الشباب بمثابة ما يعكسه عمر الرجل، وقد نعرف نهاياتنا من خلال بداياتنا (السيرجون بنهام) Sir John Benham، وهم يمثلون البهجة والثقة: فالشباب والجمال والخلق أو التصرف المتسامح، كل هذه الأشياء لا تمثل الفشل (جون دريدن). وهناك نوع من الإشفاق: فالشباب هو موسم السذاجة وسرعة تصديق الأمور (ويليام بث)، وهناك مدخل للمتعة. فالشباب هو فصل المباهج والحب هو واجبنا(جون جاى)... وهناك تعليق تحذيرى من مرحلة الشباب: من الأفضل للإنسان أن يتحمل القيود فى شبابه (الإنجيل). وعندما يتغنى الناس بالشباب فهم يعلقون على الفخامة والقذارة وكل الأمل فى الحياة.

ولا يمكن الإفتراض بشكل مؤكد، تدهور الاهتمام بالشباب خلال العشرين عاماً الأخيرة، وعلى العكس من ذلك، فقد أصبح الصغار وأنشطتهم بمثابة مشاغلنا الرئيسية، كما أصبح مثيرين لقلق البعض منا فى أوقات معينة، بالإضافة الى أن أنشطة الشباب فى الوقت الحاضر أصبحت تتصدر الأخبار الدولية وتنتشر فى

صحفنا، وما كدنا ننسى عمل الحرس الأحمر حتى نتذكر المتاعب التى تحدث فى الحرم الجامعى الأمريكى.

وهناك أسباب واضحة ومعقدة لهذا الاهتمام، ويمثل الشباب تهديداً مباشراً ووعداً هاماً سواء بالنسبة للمسنين أو المجتمع ككل، ففى ظل الشباب قد نحقق ذاتنا أو نتعرض للدمار. ومن هنا يتضح لنا أن الشاب هو شخص عاطفى، وقد تتكون لدينا مشاعر متناقضة تجاه الشباب. وبالنسبة لنا كأفراد، فان الشباب يمثلون تهديداً لأنهم سوف يحلون محلنا فى مراكز السلطة، حيث يوجد لديهم أحد الأصول التى فقدناها- سنوات الحياة ووقت لتغيير ظروفهم، وحاضرهم يثير مشاعر الحنين والندم والذنب وهم يعملون على تغير آرائنا وغزو نسقنا القيمية، ولكنهم من ناحية أخرى يمثلون شبابنا بالمعنى العائلى والبيولوجى الى جانب الارتباط فى عقولنا مع الذين يتوحدون معنا فى الدم: انهم يحتكمون إلينا بسبب عجزهم كما أن افتقارهم للخبرة يعطيهم نوعاً من التفاعل الذى لم يتم اختباره بعد. وهم يدركون مدى قسوة الألم والشر، ومع ذلك فإننا نجد فيهم الأمل فى مستقبل أفضل.

وترى المجتمعات أيضاً أن الشباب يمثلون تهديداً رئيساً لأنهم يكتنزون فى داخلهم القوى البيولوجية والسيكولوجية العظمى والتى – من خلال عموميتها بينهم – أفرزت للإنسان المتحضر العديد من مشكلاته المحيرة وهى النزعة الجنسية والعدوان، والشباب أيضاً أقل استعداداً لقبول المكانة، وهم يهددون الأبنية القائمة الخاصة بالمعنى والقيمة والسلطة والقوة.(١)

وللمجتمعات ثلاثة أهداف متميزة للتعامل مع شبابها وهى:

١-توصيل الثقافة (استخدام الكلمة بمعناها السوسيولوجى كأسلوب قائم للحياة فى مجتمع معروف) وكذلك كطريقة للحياة يجب أن يتعلمها القادمون الجدد إذا كانوا يريدون أن يقبلوا اجتماعياً.

٢-البقاء أو الاستمرار من خلال الشباب، وهو كيان معروف للمجتمع، وهذا جزء مما يحدث عندما يبدأ الأطفال فى المدارس الأمريكية اليوم بتحية العلم.

٣-كسب دعمهم للأبنية الموجودة للقوة وبالتالى تعبئتها لمقاومة التغير.

ولكن من قبيل السخرية أن نرى أن اهتمامات جميع المجتمعات تعتبر وظيفية: يمثل الجانب الإنساني والوجدانى أحد جوانبها. وعلى سبيل المثال، وفى الاتحاد السوفيتى نجد أن هناك رد فعل عام بين الأفراد الأكبر سناً وهو أنهم يريدون للجيل الأصغر أن يستمتع بالحياة اكثر مما فعلوا هم أنفسهم، عندما كان يتم التضحية بحاجات المستهلك من أجل متطلبات النمو الإقتصادى وهذا الدافع ينعكس فى البرامج التعليمية، كما توجد فى أكثر المجتمعات تحضراً تعبيرات منظمة توضح رغبات العديد من البالغين والتى يتعين على الصغار أن يحاولوا تحقيقها.

وعلى أى حال، فان اهتمام الأفراد والمجتمعات بشبابهم يعتبر مثالا للحماس بدون معرفة. فالرأى العام (والرأى تقوده الشائعات والأحفاد) يعتبر خاطئاً فى تقدير العادات والاتجاهات والوضع الاجتماعى للشباب فى بريطانيا المعاصرة، وهذا له العديد من المساوئ فى زمن التغير الاجتماعى السريع. ومن هذه الزاوية، فإن قضية الشباب فى مجتمعنا لا تختلف عن القضايا أو المسائل الاجتماعية الرئيسية الأخرى فى عصرنا الحالى.

فمن ناحية، يوجد لدينا كم متزايد من المعرفة السوسيولوجية والتى يمكن أن تساعدنا لأن نكون أقل خضوعاً للأحداث. ويمكن للإنسان أن يتقدم بمساعدة العلوم الإجتماعية والتكنولوجيا، ولكن تظل هذه المعرفة قاصرة على علماء الاجتماع المتخصصين، وذلك لأنهم لم يحاولوا المشاركة فى مهام الاتصال لأنهم لا ينشرون معارفهم بين عامة الناس.(٢)

وهناك سبب أخر للهوة الموجودة بين النظريين وعلماء الاجتماع المتخصصين والممارسين الأخرين فى المجتمع مثل الوالدين والمعلمين وهو أن هناك قليل من التعليم للفهم السوسيولوجى فى نظامنا التعليمى.

وعلى الرغم من أن الدور الرئيسى لجامعاتنا يتمثل فى فهم الناس، إلا أنه ليس هناك اهتمام بمسألة تعرض هؤلاء الناس للضغوط الاجتماعية.

وتوجد حالياً هوة بين النظريين (السوسيولوجية الأكاديميين) والممارسين[٣] مثل الباحثين الاجتماعيين بالمعنى الواسع للمصطلح ويشملون كل الذين يتطلب عملهم مهارة فى العلاقات الإنسانية بمختلف أنواعها. وفى إطار السياق الحالى، فان هذا يعنى أن العديد منا يهتمون بالشباب ويعملون معهم ويحاولون التأثير فيهم ويريدون فهمهم، ولكننا نتحدث بلا وعى عن الشباب، وأحد أسباب ذلك أن آراءنا تفتقد الى الاستقصاء، كما أن البحث كشف عن الجيل الصاعد.

ويستهدف المجلد الحالى الإسهام فى تضييق الهوة بين الباحث النظرى والممارس العملى وبين المعرفة والمسئولية: وقد يقال أن ذلك الأمر قد ينطوى على هدف عملى إذا كنا نأمل فى زيادة المعلومات وفهم كل الذين يقربهم عملهم من الشباب مثل المدرسين وأولياء الأمور ورجال الصناعة والمخططين المراقبين "العلماء".

وقد وصف برونو بيتلهايم Bruno Bettelheim العلاقات البناءة بين الأعضاء الأصغر والأكبر سناً بقوله.[٤]

"أن كبر السن هو أسعد فترة عندما يأخذ الشباب إلى بداية علم جديد وطيب، ويشير إلى الأرض الوعرة وأطفالها قائلا: سيتعين عليكم أنتم فقط ومن خلال الكفاح المرير أن تقوموا بهذا بأنفسكم لأن ما ينقل إليكم ليس من حقكم".

ومن ناحية أخرى، فان الشباب هم الأسعد عندما يشعرون بأنهم يحاربون للوصول إلى الأهداف التى تصوروها ولكن لم يستطع الجيل الأكبر تحقيقها، ويتمثل تراث الشباب فى المستقبل الذى يتمناه الكبار، والاقتراب من تحقيق ذلك من خلال جهودهم الخاصة يثبت أنهم وصلوا إلى قمة نضجهم.

ولكى يتحقق جزء من هذا الحلم، نحتاج إلى رأى عام مستنير، ويهدف هذا الكتاب إلى إضافة القليل لفهم اجتماعى أعمق لشبابنا.

الهوامش

1- J.B. Mays ; Young People in Contemporary So Ciety ; P.4, Youth Service and Inter-Professional Studies, ed. in Bulman,Craft & Milson, Pergamon Press1970.

2- CF. C. Wright Mills, The Sociological Imagination, Penguin Books, P.33ff

وقد إختزل ثلاث فقرات غير مفهومة لتالكوت بارسونز الى جملتين واضحتين

3- Jalcott Parsons's The Social System, Routledge & Kegan Paul,1952.إلى

هيلين التى كانت نزعتها الامبريقية عجلة توازن لأحد النظريين.

4- Bruno Bettelhein, "The Problem of generations", in Youth: Change and Challenge, ed. By Erik H. Erikson, Basic Book, New York, 1963.

الفصل الأول

الشباب فى المجتمع

نبدأ بتركيز اهتمامنا على مجموعة من الشباب، وتعتبر بعض التفسيرات خيالية وليست واقعية ولكن بمعنى قد لا يثير الاهتمام لأن الروائيين الذين يكتبون عن المراهقين واثقون إلى حد ما من أنهم يستخدمون خبراتهم.

ولهذا المنهج ميزة لأنه يساعد فى تركيز اهتمامنا على موضوع البحث من أجل الفهم وطرح النقاط الرئيسية.

وقد وضع ستيفان زفايج Stefan Zweig تقريراً توضيحياً لمراهقته فى فيينا خلال السنوات الأولى من هذا القرن.(١) وعندما كان مراهقاً، كان ينتمى إلى مجموعة من الأولاد الموهوبين أكاديمياً لم يشبع تعطشهم للمغامرة الروحية والفكرية ما كان يقدم فى المجال الرياضى. وقد زاد سخطهم ومللهم لأنهم كانوا يعيشون فى مكان تتقارب فيه كل التيارات الثقافية الأوربية فى مدينة كان يسكنها هايدن موزارت Haydn Mozart وبيتهوفن Beethoven ، وشوبيرت Schubert، وبراهمز Brahms، وجومان ستراوس Johann Strauss ، ولذلك مروا بمرحلة كان يقال فيها أن نموهم التربوى يعرقله نظامهم المدرسى.(٢)

وبينما كان المعلم يعطى محاضرته عن الشعر الساذج والوجدانى لشيللر Schiller، كنا نقرأ كتباً عن نيتشه Nietzsche واستريندبرج Strindberg سراً تحت الأدراج فى الفصل، وهى أسماء لم يسمع عنها الرجل العجوز من قبل. لقد انتابتنا حُمى لمعرفة الكل والإطلاع على كل ما كان يحدث فى مجال الفن والعلم. وبعد الظهر شققنا طريقنا بين طلاب الجامعة لكى ننصت إلى المحاضرات، وزُرنا كل معارض الفن وذهبنا لفصول التشريح لنشاهد عمليات التشريح، ثم تسللنا إلى قاعات الموسيقى "الفيلاهارمونى" Philharmonic، وذهبنا بعد ذلك الى محلات الانتيكات Antique Shops، ثم ذهبنا إلى محلات الكتب لنعرف ما الذى تغير منذ الأمس.

وقد عادت حديثاً عائلتان من عائلات جامايكا إلى جزيرة الكاريبى بعد قضاء ٢٠ عاماً فى بريطانيا. وقد أخذت كل منهما أحد أبناءها المراهقين الذين ولدوا فى بريطانيا. والتحق المراهق الأول بمدرسة كينجستون Kingston وقد عانى من متاعب الوعى الذاتى والخجل لأن المراهقين الآخرين فى المدرسة كانوا يقلدون لهجته البرومية Brummie. والأخرى كانت فتاة وقد ذهبت إلى قرية جبلية حيث كان أصحاب المنازل لا يزالون يحملون الماء، وخلال سنوات مراهقتها كانت تعانى من صدمة ثقافية.

وفى كلايهانجر Clayhanger، توصل أرنولد بينيت Arnold Bennett إلى صورة مقنعة عن إدوين Edwin، وهو شاب مكافح ليحرر نفسه من السيطرة الخانقة لأبيه "داريوس كلايهانجر Darius Clayhanger، ويعيش بطريقته الخاصة. وقد أراد أن يكون مهندساً معمارياً، ولكن الرجل المسن لا يعرف شيئاً عن طموحه، ومن ثم يفترض أن ابنة سوف يتبعه فى تسجيل أعماله التى كان قد أنشأها بإصرار.

وفى المقابلة التالية كان إدوين غير مناظر للرجل العجوز: إن الأمر ينتهى فى دقائق قليلة كما أن الطموح يذهب للأبد وينتهى دون أن يترك أى أثر.

ونجد أن ريتشارد هيدجز فى كتابه: "الريح فى جامايكا" لديه نص يصف قدوم أو حدوث الوعى الذاتى أو الخجل والذى يعتبر سمة عامة للمراهقة للأولاد والبنات على السواء:-

"لقد حدث ذات يوم حدثٌ هام "لإميلى" Emily وأدركت فجأة من كانت. حيث كانت تلعب فى ركن منعزل من المنزل خلف المرساة، وكانت تسير بدون هدف محدد وتفكر بغموض بخصوص بعض النحل وملكة جميلة وحينها أدركت فجأة ذاتها وتسمرت فى مكانها كالموتى وبدأت تنظر إلى نفسها وقوامها. ولكنها لم تستطع أن ترى الكثير من نفسها سوى مقدمة ثوبها ويديها عندما رفعتهما لفحصهما وتأملهما، وكان ذلك كافياً لها لأن تكوِّن فكرة بسيطة عن جسدها الضئيل الذى أدركت أنه جسدها... وبدأت تضحك".

وفيما يلى ثلاث أشخاص شبان معروفين للكاتب، وهم يقطنون أجزاء مختلفة من العالم ويمارسون أنشطة ترتبط بمرحلة المراهقة ويعيشون ظروفاً ثقافية واجتماعية مختلفة:-

فها هو مثلا شاب فى موسكو كان يثق فىَّ وكان يقول: "لقد نشأت فى بلد ملحد لا يؤمن بوجود إله، ولكننى أعتقد أحياناً بأن هناك إلــه، ثم أبدأ فى الشعور بالذنب".

وفى فندق فى هونج كونج كانت هناك فتاة تبلغ الخامسة عشر من العمر، وكانت تعمل سبع ساعات يومياً فى مصعد كهربائى لكسب بعض المال ومواجهة نفقات تعليمها المدرسى الثانوى. وكانت تأخذ معها كتبها الإنجليزية لاستذكارها فى فترات استراحتها من العمل بالمصعد. وكانت تعيش فى مجتمع يسبغ مكانة عالية على الدارس كما تمارس الضغوط الوالدية والمجتمعية المختلفة على الشباب وذلك للتقدم فى الدراسة والنجاح والحصول على وظيفة مرموقة من وظـائف ذوى الياقات البيضاء ولكن تقل أو تنعدم - فى الوقت ذاته- نفقات الإعانة التعليمية.

وقد أخبرنى طالب جامعى صغير السن فى آلاباما Albama عن رغبته فى أن يصبح عاملاً متفرغاً أو باحثاً متفرغاً لتحقيق التكامل بين البيض والسود فى الجنوب ولكنه واجه صعوبة سيكولوجية فى هذا الأمر، وإن كان عقله وتعليمه قد علماه أن الناس المنتمين لأجناس مختلفة، يشتركون فى سمات إنسانية واحدة. ونتيجة لظروف تنشئة هذا الشاب، فانه لم يستطع أن يقمع أو يمنع حالة إرتعاش غريزية عندما أقترب من زنجى، وحينها قال: "لقد كانت أمى تقول دائماً أبتعد عن السود، إنهم أقذار وأشرار".

وهكذا نجد أمامنا صوراً قليلة عن الشبان المختارين بشكل عشوائى من مئات الاحتمالات.

وإذا كان لنا أن نتأمل فى معنــى هذه الحكايات لكى نفهم ما يحدث، فمن الممكن أن نضع أحد مدخلين (وربما نصل إليها معاً فى نهاية الأمر) ويمكن أن نؤكد على التشابهات فى خبرات هؤلاء الشباب موضحين السمات المشتركة بينهم

من خلال المدخل السيكولوجى، أو من الممكن أن نلاحظ الاختلافات فى تجارب الشباب لأنهم يجدون أنفسهم فى ظروف إجتماعية مختلفة.

ولكن تناولاً موجزاً لأمثلتنا يوضح أن هؤلاء الشباب كان لديهم تجارب مختلفة لأنهم نشأوا فى بيئات إجتماعية مختلفة، فقد كان رفاق زفاريج Zweig مجبرين على تطوير مواردهم فى ظل الرأسمالية الثقافية، وكان الصغار الجامايكيين يعملون إنطلاقاً من طابعهم المراهق فى موقف صراع الثقافة. وكان ادوين كلايهانجر Edwin Clayhanger يعيش فى مجتمع صناعى يتميز بقوة السلطة الوالدية. وهذا يبرز لنا نقطة واضحة وإن كان بعض الناس فقط يقرون بها فكراً وممارسة، ولكنها تعتبر أساسية فى رأينا. ويمكن طرحها بعدة طرق. فالمجتمع الذى نشأ فيه المراهق ويعيش فيه الآن يشكل مهمته كمراهق. وما يشعر تجاهه بالذنب وما يجب أن يكافح من أجله إلى جانب المعارك التى يتعين أن يخوضها ويكسبها لكى يحقق النضج إلى جانب رموز الإنجاز والمكانة والقبول وشدة التجربة، كل هذا يأتى من المجتمع ومن الفرد وأى جوانب عالية لتجربة المراهق والتى من المحتمل أن تحدث.

وأحد الأفكار التعليمية المقبولة هى: إذا أردت أن تعلم جونى اللغة اللاتينية فيجب أن تعرف اللغة وتعرف جونى. وفى الوقت الحاضر قد نضيف قائلين: ويجب أن نعرف الكثير عن المجتمع الذى نشأ فيه جونى والجماعات الأولية التى كان ينتمى إليها. إن المراهقة تعتبر تجربة فى مكان إلتقاء الضغوط السوسيو ثقافية ويجب ألا نهمل الأمر الآخر. إنه تغير الدور – وإعادة الميلاد (أو الميلاد مرة ثانية) ونجد أن إدراك الضغوط التى تأتى من الخارج يعتبر مطلوباً لفهم الضغوط من الداخل. وهو ليس فقط مجرد مخلوق جديد له جسد مختلف ورغبات متجددة ولكنه يعيش فى حالة جوار جديدة، حيث لا يعرف جيرانه وأين يوجد بالضبط؟ وأين يوجد موقف الأتوبيس؟ وأين يوجد صندوق البريد؟ أو أين يكمن الخطر فى الطريق لكى يتجنبها عند عودته الى منزله عابراً الطريق ليلاً فى الظلام على دراجته. ولفهم ما يحدث للمخلوق أو القائم الجديد يجب أن نمعن النظر فى منطقة الجوار.

وقد يصبح من الضرورى عرض النقطة التى نحن بصددها بشكل أكثر إسهاباً رغم وضوحها. وخلال دورة حياة الفرد، توجد فترة لا يكون فيها طفلاً أو بالغاً بالمعنى الأجتماعى والبيولوجى، وهناك سمات هامة تميز هذه الفترة. وفى كل المجتمعات توجد تغيرات فيزيقية وفسيولوجية تؤدى إلى خبرة فيزيقية جديدة وهى: البحث عن كيان البالغين وممارسة أدوار اجتماعية جديدة.

ويبقى أن نأخذ فى الاعتبار أن هناك مجتمعات معينة تسبغ شكلها وطابعها الخاص على وظيفة ومهام المراهق. وعلينا أن ندرس هذه المجتمعات الخاصة إذا أردنا أن نفهم الشباب فيها. ونحن لا نستطيع أن نعرف المراهقين فى أى مكان بدون جهد مدعم لتقييم البيئة الاجتماعية التى يتفاعلون معها باستمرار.

هل من الممكن أن نكون أكثر دقة؟ نحن نعتقد ذلك، وفيما يلى سمات المجتمعات التى من الممكن أن تؤثر فى خبرات وتجارب المراهقين:

١-ما هى معايير البالغين أو الكبار للسلوك؟

٢-كيف من المتوقع أن يتصرف الرجال والنساء؟ فى أدوار الجنس، فى أدوار العمل وأدوار العائلة؟ وإذا لم يكن الذكور مقبولين كبالغين حتى يثبتوا شجاعتهم وقوتهم البدنية، فإن هذا سيكون جزءاً من مهمة المراهق للأولاد.

وقد خصصت مرجريت ميد M.. Mead مجلداً.[٣] لدراسة أدوار الذكور والإناث فى ثقافات جزيرة البحار السبعة الجنوبية وما يرتبط بذلك من سؤال عن كيفية تنشئة الأولاد والبنات للعب هذه الأدوار. وبين هذه الدول الصغيرة توجد عدة تباينات فى توقعات سلوك الذكور والإناث وبعضها تبدو قوية بالنسبة لنا، حيث نجد أن نساء "التكامبولى" Tchambuli يتسمن بالنشاط وعدم الميل إلى الزينة كما يتصفن بالمثابرة وحب صيد السمك والذهاب إلى السوق، أما الرجال فيميلون إلى الزينة والرسم بالألوان وممارسة الخطوات الراقصة، وقد استبدلوا قنص الحيوانات بشراء الضحايا للبرهنة على رجولتهم،[٤] وهنا نجد أن مهمة المراهقين – وهى مرحلة ما قبل النضج – تختلف فى كل مجتمع من هذه المجتمعات – وإذا كان لدينا مجتمع متقارب جنسياً (أى مجتمع يتقلص فيه التمايز بين أدوارِ الذكور

والإناث)، فإن خبرة الشباب سواء للأفضل أو الأسوأ، سوف تأخذ فى التحول. وقد اخترنا أن نركز هنا على الأدوار الجنسية. وكان من الممكن أن نطبق هذا الرأى على أدوار العمل أو العائلة. والشاب فى جامايكا مثلاً والذى يتطلع للعمل على الأرض، إذا استطاع الحصول على عمل يقره المجتمع، وإذا أنجب عدة أطفال قبل أن يتزوج، هو شاب يعيش فى عالم مختلف عن تلميذ المدرسة العليا الذى يتلقى تعليمه فى مدرسة أمريكية صغيرة وينتمى لعائله بروتستانتية ويتطلع للذهاب إلى الجامعة.

٣-وما هو أكثر أهمية للفرد الصغير هو مدى ثبات البناء المعيارى للسلوك المتوقع الذى يواجهه. هل المجتمع الذى يصل فى ظله الى الرجولة (والبالغين الذين يحكمون) واثق فى قيم الأفراد وكذلك التراث الثقافى الكلى الذى يرغب فى نقله؟.. ومن هنا قد يتعين على جونى أن يتمرد ويثور من أجل كسب حوافزه الوجدانية للنضج. هل هو مجتمع ساورته الشكوك وعمليات الخروج على المعايير بشكل جماعى وفقد الثقة عندما كان يتحدث للشباب بعدة أصوات؟ إن هذا المجتمع سوف يطرح نوعاً من التحدى لجونى. وسوف نترك هذا الموضوع الهام الآن لأنه هو المحور الرئيسى لاهتمامنا فى الفصل التالى. ونحن مقتنعون بأن خطوة التغير الاجتماعى أو سرعته هى المؤثر الرئيسى الذى يشكل مهمة المراهق.

٤-إن ثروة المجتمع تعتبر عنصرا تحديدياً آخر بخصوص خبرة المراهق. فقد عاش جونى ومارى فى بلد ذو موارد غير ملائمة للتعليم وبرامج الرفاهية الاجتماعية والذى فيه يتاح التعليم الثانوى لأقلية من الشباب ويزداد معدل الرسوب فى المدارس الابتدائية وتكون منظورات البالغين محدودة، فى الوقت الذى يكون هناك شبه يقين من انتشار الفقر الهامشى والبطالة.

ومن ناحية أخرى، فإن جونى ومارى كانا عضوين فى جماعة اجتماعية فى بلد استطاعا فى ظله أن يتطلعان بثقة لدخول الكلية والتمتع بكل تشجيع وأتيحت لهما كل الفرص لتنمية مواهبهما، وفى نهاية العملية التعليمية الطويلة أدركا أنهما

سوف يدخلان مجتمعاً يتيح لجهودهما جوائز إقتصادية وإشباعات سيكولوجية وأحد الاختلافات البارزة هى أن فترة المراهقة فى الموقف الثانى تمتد: حيث تتأخر مكانة البالغ ويكون هناك اعتماد إقتصادى.(٥)

والقول بأن المراهقة هى عبارة عن خبرة أو تجربة مشروطة ثقافياً، هو قول يحظى بالتأييد انطلاقاً من الإيمان بأن علم نفس المراهقة هو علم فكرى بالدرجة الأولى وخلال المرحلة الحديثة، نجد أن علم النفس قد انتقل من المدخل الاستدلالى Diductive إلى المدخل الإستقرائى Inductive وهذا يعنى أن الفلاسفة بدلاً من أن يتضرعون لاكتشاف المبادئ العامة التى يمكن أن تفسر السلوك الانسانى، نجد أنهم درسوا العديد من الأمثلة للسلوك الإنسانى لإكتشاف ما تحويه من مبادئ عامة. وهذا ببساطة هو ما نعنيه بالمنهج العلمى. وبصفة عامة، فقد كان علم النفس هو المرحلة الأخيرة التى يتم فيها تطبيق المنهج العلمى. فقد درس الإنسان بيئته الفيزيقية أولاً قبل أن يبدأ فى رعاية نفسه. والآن نجد أن المنهج له أسس راسخة فى إطار البحوث السيكولوجية. ونجد أن النظريات الكبرى قد مهدت الطريق أمام البحث الدؤوب: وقد أخذ التحليل والتصنيف يحل محل التفلسف وإن كان التفسير مازال مطلوباً، ولم يعد شائعاً أن نجد أن علم النفس يعتبر فرعاً أو قسماً فى كلية الفلسفة. ونجد أن تاريخ الدراسة العلمية لعلم نفس المراهقة قد اتبع هذا المسار المألوف ومثله فى ذلك مثل النظريات العبقرية التى تميز الفكر اليونانى وحتى تفكير الفلاسفة المتأخرين مثل روسو،(٦) كما نجد أن كتابات ستانلى هول S. Hall تعتبر بدايات مدخل جديد فى هذا الاتجاه.(٧)

فهى فى منتصف الطريق بين الخيال الفلسفى الذى كان سائداً فى القرون الماضية إلى جانب الملاحظة المخططة وتجربة الحاضر. وكان هول متأثراً بمذهب القرن التاسع عشر التطورى وحاول أن ينقل الدقة العلمية التى تتميز بها العلوم الفيزيقية الحديثة إلى دراسات التربية، وقام باستكشاف عقول واتجاهات الأطفال من خلال إجابات التذكرة التى وضعها البالغون كإستجابة لاستبياناته وقام بتحليل التعبير الذاتى للأطفال من خلال مقالات ووجه الاستبيانات.

وبعبارة أخـرى، فقد حـاول هـول الوصـول إلـى الحقـائق: حيث أخذ بنـاءه النظرى من روسو واعترف بذلك. ويرى أن الطفل يكرر فى ذاته تـاريخ السلالة، حيث يعود الطفل إلى الماضى البعيد، كما أن المراهق يميل إلى العودة إلى صفـات الأسلاف من جديد Neo. Atavistic وفـى داخلـه مكتسبات السـلالة التـى تـبرز ببطء وتنمو بطريقـة أقل تدرجـاً ويوحـى بـالفترة القديمـة ويعكس الفـترة القديمـة للعاصفة والتوتر وذلك مع محاولة كسر العادات القديمة والوصول لمستوى أعلى.

وقد يقال أن العاصفة والتوتـر يمثـلان سـمة سـائدة لتصـور هـول للمراهـق. وعلى سبيل المثال، فان مارجريت ميد M..Mead تصـف شـباب غينيـا الجديـدة بأنه لا يعيش مرحلة العاصفة والتوتر أو الصراع المصاحبـة للبلـوغ، وهـذه الفـترة تمثل بالنسبة للبنات فترة سلبية إجبارية، وهى بالنسبة لكلا الجنسين تمثـل السـنوات الأخيرة فى الحرية.[٨]

وبصفة عامة قد يقال أن هول وقع ضحية لمغالطة العـالم السيكولوجى، فقد كان يميل الى الافتراض بأن ما وجده يصدق على المراهقين وهـو مـا كـان يعتـبر صحيحاً بالنسبة للمراهقين فى كل مكان كما لـو كـان هنـاك مراهـق عـالمى يمكـن قياسه فى بلدة صغيرة فى أمريكا.[٩] ونجد أن نتائجه تتضمن افتراضا هاما مؤداه- رغم الكم الكبير والهام من الأدلة الأنثروبولوجية الحالية الخاصة باختلاف السـلوك فى الطبقات الثقافية المختلفة – إن هذا التفسير وحده هو الصحيح ومـن ثـم يصـدق على حقائق الطبيعة البشرية.[١٠]

وقد أثر الأنثروبولوجيون الاجتماعيون[١١] بعمق فى التاريخ التـالى للفرد المبحـوث، فقد أوضحت نتائجهم أن ما هو متوقع من المراهق يختلف مـن ثقافـة لأخرى وأن سـلوك واتجاهات المراهق يعكسان هذه التوقعات. وربما لا يعرف أحد إلى أى مدى يمكن أن يسير تأثير البيئة الثقافية ولكن تأثيرها يعتبر كبيراً ويصل إلـى بدايـة البلـوغ وذلـك علـى حد قـول ر.ن فرانز بلاو R.N.Franzblau. ووفقاً لهذا البحث، فان المئات من الفتيات الدانماركيات اللائى يجرى تنشئتهن فى الولايات المتحدة يصلـن إلـى البلـوغ قبل نظـيراتهن مـن الفتيـات الدانماركيات اللائى تربين فى الدنمارك بستة أشهر.[١٢]

والنتيجة التى بدأنا بها من أجل فهم جونى المراهق ومـن ثم تعين علينا أن ندرس مجتمع جونى– كانت هى نتيجة الدراسة الأكاديمية لعلم نفس المراهقة. ونجد أن السرعة التى سار بها هذا النمو أو التطور يتضح بشكل أفضل من خلال إقتباس من كتاب يتناول هذا الموضوع. وقد كُتب منذ خمس وعشرون عاماً بعد إصدار كتاب ستانلى هول المسمى" المجلدات الكبرى".

ويتجاهل تلاميذ ستانلى هول الإشارة إلى الدراسات الدائرة له عن المراهقة، والواقع أنه تم تعديل مناهج الدراسة والظروف الاجتماعية خلال الخمس والعشرين عاماً الماضية حتى أن المؤشرات يمكـن أن تبدو ذات قيمة تاريخية فقط وليست ذات قيمة عملية أو علمية فى وقتنا هذا.(١٣)

وأقوى عرض لهذه النقطة تكون من خلال دراسة كلاسيكية عن هـذا الموضوع وضعها العالم س. ت. إيزنشتات S.N. Eisenstadt المسماة: "من جيل إلى جيل"،(١٤) والمبدأ الرئيسى مذكور فى ص٢١ عن هذه النقطة. ومن المهم بالنسبة لنـا أن نرى أن هذه العملية البيولوجية فى المجتمع الإنسانى والخاصة بالانتقال خلال المراحل العمرية المختلفة وعملية التنشئة والنضج تخضع لتعريفات ثقافية. ويصبح أساساً لتعريف الكائنات البشرية وإبراز العلاقات المتبادلة والأنشطة والتوزيع المتمايز للقواعد. ونجد أن إيزنشتات ينتقل لتطبيق هذا الاعتبار العام على المراهقة بصفة خاصة، ومن ثم يقدم فرضاً يمكن تلخيصه كالآتى:

"إن جماعات الشباب تنمو فقط فى المجتمعات التى تكون فيها العائلة غير كافية لتنشئة الشباب"

وإذا إستطاع جونى ومارى التعلم فى المنزل، كيف يلعبون كل أدوارهم الاجتماعية، إذن فمن غير المحتمل أن ينضموا لجماعات الشباب.

وتختلف المجتمعات فيما بينها اختلافاً كبيراً بخصوص مدى اقتراب معايير العائلة من معايير المجتمع ككل. وهذه الحقيقة تؤثر على محتوى خبرة وتجربة المراهقة.

ويمكن الاعتراض على هذه النقطة بالقول بأننا نثير المتاعب وعدم الوضوح على فكرتين واضحتين هما:

-الفكرة الأولى مؤداها أن الشخصية تعتبر نتاجاً اجتماعياً أو أننا بمثابة محصلة عملية تنشئتنا فى وقت ما وفى دولة ما. وقد شرح ج. هـ. ميد G. H. Mead هذا التفسير بطريقة واضحة،[١٥] فالذات عبارة عن ذات شفافة، والفرد يتعلم فقط كيف يفكر فى نفسه كذات لأن الآخرين يعاملونه بهذا الشكل. ومن هنا نجد أننا – مثلاً– نلاعب الأطفال الرضع والصغار، وندّعى أنهم يمكن أن يفهموننا ويفهمون كلماتنا بينما هم فى الواقع لا يفهمون كلماتنا ولا يستطيعون ذلك. وبدون مجتمع لا يمكن أن تكون هناك ذات. فالذات تمثل بناءاً اجتماعياً وتظهر من خلال التجربة الاجتماعية. وقد تم التعبير عن نفس هذه الحقيقة من وجهة النظر الاجتماعية كما عرضها س. رايت ميلز C. wright Mills بقوله:[١٦]

"إن التصور الاجتماعى يُمكّن أصاحبه من فهم المشهد التاريخى الأوسع فى ضوء معناه للحياة الداخلية وسرعته الخارجية للأفراد المختلفين والثمرة الأولى لهذا التصور – والدرس الأول للعلم الاجتماعى الذى يشمله – هو الفكرة التى مؤداها أن الفرد يمكنه أن يفهم خبرته الخاصة ويقيس مصيره فقط عندما يصير مدرسّ لكل الأفراد الذين فى مثل ظروفه".

وقد نقر بأننا لم نغفل شيئاً فى هذا الفصل سوى إعطاء تطبيق خاص للفكرة العامة التى مؤداها أن الذات تعتبر نتاجاً اجتماعياً يمكن فهمه فى ضوء التجارب الاجتماعية. ولكن يجب الإقرار هنا بأن الممارسة تعتبر ضرورية ولها ما يبررها لأنها الفكرة العامة التى يتم تجاهلها أو إدراكها بشكل غير كامل خارج الدوائر الأكاديمية. وعندما نبدأ دراسة العلوم الاجتماعية مثل علم النفس وعلم الاجتماع، نجد أن معظمنا يستطيع رفض القيام بأى تعميمات عن أى جماعة من الناس، وتعتمد على المقولة التى مؤداها أن الأمر كله يعتمد على الفرد. وقد لا نستطيع أن ندرك أن الناس يجب أو يمكن فهمهم فى ضوء التشابهات والاختلافات الموجودة بينهم. وأن كل فرد يتصف بالتفرد ولكن الضغوط الاجتماعية تعمل على بلورة كيانه من خلال الجماعات الثانوية التى ينتمى إليها مثل الأمة والطبقة ونقابة العمال والجماعات الأولية التى ينتمى إليها مثل العائلة وجماعات الأصدقاء.[١٧]

وربما نجد أن الاعتراض الثانى أكثر شيوعاً وأعظم حجماً. ففى تركيزنا على المحددات الاجتماعية لتجربة المراهقة، ألم نركز بشكل مطول على الحقيقة المعروفة عموماً ومن ثم جرى التأثير عليها؟ إننى أعتقد أنها طريقة تنشئته وهو ما يذكره الناس فى تبريرهم لسوء السلوك، ما الذى يمكن أن تتوقعه أيضاً؟

وهناك تعليق اكثر تطوراً وتعقيداً وهو: "أنه وضع صعب للشباب الذين ينشأون فى وقتنا هذا فى مجتمع يخلط بين قيمه. ولكننا مقتنعون بأن هذا الفهم أياً كان مداه، مازال غير عادى. وأى شخص يحاول أن يقول شيئاً ذا قيمة عن الجماعات الاجتماعية للشباب، من الممكن أن يجد من يحاول الانضمام إليه ولكن هذا ليس صحيحاً.

وإن حقيقة الضغوط الاجتماعية والثقافية الواقعة على المراهقين وغيرهم آخرين، لم تتكامل أو تندمج فى طرقنا المعتادة فى التفكير والتحدث. وحتى مع إندماجها، توجد حاجة لكى نكون أكثر تحديداً ودقة، والعديد من المسئولية عن الشباب لديهم استعداد لتقديم بيانات او عبارات عامة: لقد كان له بيت سئ. وهذا يثير السؤال المباشر: ما نوع البيت السئ وكيف أثر عليه؟

الهوامش

1- Stefan Sweig, The world of yesterday, Cassell, 1953.

2- Idid., pp. 40 –1.

3- Margaret Mead, Male and Female, penguin Books.

4- I bid.,p.69.

٥-وردت هذه الفكرة بشكل جيد فى كتاب Frank Musgrove المسمى: Youth and Social Order, Routedge & Kegan Paul, 1964 فى تناوله للشباب فى بريطانيا خلال الثورة الصناعية، أوضح أن ذهابهم إلى العمل فى سن مبكر قد أكسبهم النضج الاجتماعى أسرع من الصغار البريطانيين فى الستينات، وكان إستقلال الشباب هو ما أدهش معلقى الطبقة الوسطى على حياة المصنع فى إنجلترا فى منتصف عهد فيكتور ..... ص ٦٧.

6- CF. “Theories of Adolescence”, chapter 14 of G.M Fleming’s Adolessence: Its Social Psychology, Routledge & Kegan paul, 1963.

7- Fleming, ibid., p.35.

8- Margatet Mead, Growing up in New Guinea, Penguin Books.

٩-وإن كان من قبيل الانصاف توضح أنه فى مجلده الثانى خصص فصلاً يتناول الانثروبولوجيا المقارنة، وفيه كرس بعض الاهتمام لدراسة المجتمع الأمريكى، ويعتقد فلمنج Dr. C.M. Fliming أنه قلل من التباينات الفردية بين المراهقين إلى جانت التباينات الثقافية.

10- C. M. Fleming, op. Cit., P.38. من أجل ملخص مفيد لتاريخ علم نفس المراهقة، أنظر: الفصل الأول من كتاب جيمس همنج James Hemming المسمى:

مشكلات المراهقات Problems of Adolescent girls, 1967.

١١-تعتبر بندكيت من أكثر هولاء الكتاب تأثيراً، ومن خلال كتابها أنماط الثقافة Ruth Benedict, Patterns of Culture, Routled & Kegan Paul, 1935

12- R N. Franzblan, "Race difference in mental and physical traits" Archives Psychology, No. 177, 1935.

13- L. Hollingworth, the Psychology of the Adolescent, A. and C. Black, 1930.

14- Collier – Macmillan, 1964.

15- In Mind, Self and Socity, University of chicago Press, 1934.

16- The Sociological Imagination, Penguin Books, PP. 11,12.

١٧-أحد المقتبسات الموجودة فى وقتنا الحالى هى عبارة جون دون John Donne القائلة: "لا يوجد إنسان بمفرده يمثل جزيرة قائمة بذاتها، هل هذه بمثابة معرفة غير منسقة للمحتوى الاجتماعى لخبراتنا؟.

•إقتراحات للمزيد من القراءة

-تقارير خاصة بالمراهقة:

- Barstow, Stan, A Kind of Loving, Penguin Books.
- Mcinnes, Colin, Absolute Beginners, Penguin Books.
- Moravia, Alberto, Two Adolescents, Penguin Books.
- Salinger, J. D., Catcher in the Rye, Penguin Books.
- Sillitoe, Alan, Saturday Night and Sunday Morning, W. H. Allen, 1958.
- Sillitoe, Alan, the Loneliness of the Long – Distance Runner, W. H. Allen, 1959.

-تقارير السير، والسير الذاتية عن المراهقة:

- Bethge, Eberhard, Dietrich Bonhoeffer. A Biography, Collins, 1970, Chapter 1.
- Chaplin, charles My Autobiography, Penguin Books, chapter 6.
- Gosses, Edmund, Father and Son, Heinemann, 1964.

- Mc Carthy, Mary, Memories of a Catholic childhood, Penguin Books.
- Ironmonger, F. A., william Temple, Archbishop of conterbury, oxford university press, 1948, chapters 1-3.
- Maxwell, Gavin, the House of Elrig, Longmans, 1965.
- Russell, Bertrand, Autobiography 1872-1914, Allen & unwin, 1967-8, Vol. 1. chapter 2.
- Wilson, Angus, the world of charles Dickens, Secker & warburg, 1970, chapter 2.

-وبخصوص الفكرة القائلة بأن الشخصية هى نتاج إجتماعى، أنظر الكتب الآتية:

- Erikson, Erik H. (ed.), Youth; change and challenge, Basic Books, 1963.
- Mays, J. B., the Young Pretenders, Michael Joseph, 1965, chapters 1-3.
- Smith, Cyril, Adolescence, Longmans, 1968.
- Wilson, Bryan, the youth culture and the Universities, Faber, 1970, chapters, 1, 6, 9.

الفصل الثانى

الشباب فى مرحلة التغير الاجتماعى السريع

التغير الاجتماعى:

يعتبر التغير الاجتماعى موضوعا للملاحظة العامة والتجربة الشخصية، وهو يعتبر موضوعاً هاماً للنقاش بين الناس فى العديد من مناطق العالم.

وتجد ذلك فى مذكرات كبار السن، ويمكن أن أتذكر الفترة عندما .." وقد يقولون ذلك لأحد المستمعين من الشباب المعاصر والذين قد تتسع عيونهم من الدهشة إذا لم يستمعوا إلى القصة أيضاً. وفى الواقع، فإن ذاكرة الرجل المُسن قد تضع فاصلاً يغطى العديد من التغيرات الاجتماعية، ويمكن أن يتذكر الفترة التى تم فيها استخدام الترام الكهربائى لأول مرة[1] ونجد أن القطاع السكنى الممتد والذى يحتوى على جيله الثالث، قد تم بناؤه حيث كان فى عمر يستمتع بالتنزه فى البلد، ويمكن أن يتذكر العربة الأولى والسينما الأولى وبرنامج الإذاعة الأول وبالطبع برنامج التلفزيون الأول. ولكن ذاكرته تختزن التغيرات الأخرى وليس كل جوانب الثقافة الفيزيقية التى ورثناها ولكن التغيرات المتعلقة بطراز الحياة وأشكال التفاعل واتصال الناس فى هذه الجزر.

وربما يمكن أن يتذكر متى كانت ملابس النساء تغطى معظم أجسادهن بشكل يفوق ما هو سائد فى وقتنا هذا. وعندما كانت هناك فرص تعليمية قليلة للأولاد الفقراء وذلك رغم مهارتهم، وعندما كان المجتمع يقدم رعاية منظمة للمعوقين والمسنين وعندما كان يتم تنظيم التفاوتات بين أعضاء الطبقات الاجتماعية المختلفة فى إطار أنماط ملائمة للسلوك[2] وعندما ولدت أعداد كبيرة من الناس كانت تعيش وتموت فى نفس المجتمع.

وقد يتسنى لنا إبراز دافع التغير الاجتماعى بعدة طرق. فقد نشاهد فيلماً قديما ونُدرك مدى اختلاف الأشياء فيه عما هوالحال فى عصرنا هذا فيما يتعلق بأشكال الزى ووسائل النقل وتصميم الأبنية ونمط العلاقات الانسانية فى البيت

والعمل والشارع وقد تزور بلدة أو مدينة حيث عشنا عدة سنوات منذ زمن مضى ونلاحظ محصلة التغيرات.[٣]

وقد اهتم علماء الاجتماع بالتفكير فى التغير الاجتماعى بطريقة منظمة مع جمع الحقائق وتحليل وإقتراح نظرية،[٤] ونحن نهتم هنا بشكل هامشى ببعض مجادلاتهم. وتتصاعد اهمية المجالات الخمس الآتية من البحث السوسيولوجى:

١-**الاتجاه:** فى الأيام التى إستحوذت فى ظلها نظرية التطور على عقول المتعلمين، كان هناك ما يُغرى بالقول بأن المجتمعات الإنسانية خاضعة لعملية الانتخاب الطبيعى مثل الأنواع البيولوجية وكان الانتقال سهلا إلى الايمان بالتقدم الحتمى للمجتمعات الإنسانية. ويكفى أن نقول هنا أنه تم التخلى عن هذه النظرة على نطاق واسع – إنها نوع من المبالغة فى التبسيط. فالايمان بحتمية التقدم فى المجتمعات الإنسانية لا يحقق العدالة لحقائق التاريخ الإنسانى ولا يحقق العدل لتعقيدات المسألة الواردة فى التغير الاجتماعى،[٥] حيث لا يتم الخلط بين التقدم الثقافى وبين سيطرة الإنسان المتزايدة على قوى الطبيعة. وإذا كان هناك تقدم أخلاقى بشكل عام، فمن الممكن التعبير عنه فقط فى إطار مصطلحات عامة إستخدمها جنزبرج فى محاضراته:-

أ-ميل إلى عقيدة الخلاصيين البروتستانتية وهى النظر إلى الآخرين خارج نطاق القبيلة.

ب-ميل نحو أعتبار الأخلاق كمتابعة للفضيلة لذاتها.

ج-ميل إلى تعقد الحكم الأخلاقى – بحيث يكون السؤال: لماذا فعل الإنسان هذا، وليس: كيف فعل الإنسان هذا؟.

٢- **المصدر:** ما الذى يسبب التغير الاجتماعى؟

الإجابة الواضحة وهى الاختراعات التى تقود للتغيرات التكنولوجية. إن علينا فقط أن نفكر للحظة فى التأثير فى الأوقات المختلفة التى تعرض لها الشعب البريطانى مع ظهور آلة البخار والدراجة والسيارة والطائرة والراديو والتلفزيون. لنرى مدى صحة ذلك.

ولكن قد يرغب علماء الاجتماع فى التأكيد على أن هناك محددات إجتماعية وثقافية وتكنولوجية للتغير، وفى الواقع يوجد تكيف ثقافى للتقدم التكنولوجى، وهذا ما نعنيه بالقول العام: الحاجة أم الإختراع، ويتم دائماً طرح الأفكار الجديدة وإختراع الماكينات وموقف التوتر والخطر والتهديد والخسارة والألم يتطلب ذلك، وقد أحيطت السيارات بحزام الأمان بسبب ردود فعل المجتمع التى تعكس قلقه الدائم تجاه إرتفاع حدوث الطرق. وعندما كان من الضرورى إزاحة الضباب عن المطارات، تم طرح خمس وعشرون طريقة لذلك. وعلاوة على ذلك، فإن عوامل ثقافية يمكن أن تشجع التغير الاجتماعى بصفة عامة، ويعتبر إنتشار المعرفة أحد هذه العوامل. فقد تأثرت العديد من الشعوب الأفريقية بعمق عندما تم إدخال التكنولوجيا الغربية -يرى بعض المراجعين أن هذه الشعوب قد تأثرت بشكل كبير لأن الأساليب القديمة لهذه المجتمعات قد أضيرت بدرجة كبيرة.

وبالمثل نجد أن مقاومة التغير قد تبرز من خلال عوامل ثقافية، حيث تم تعويق إستغلال العديد من الإختراعات، وتم قمع الحقيقة وإخفاءها، وكانت هناك معارضة فى الأيام الأولى لاستخدام بعض الأشياء مثل المظلات وأساليب منع الحمل والسكك الحديدية والسيارات.

وليس من الحقيقى أن التطورات التكنولوجية هى المصدر الأساسى للتغير. وبمعنى آخر، فإن العوامل الثقافية والاجتماعية أحياناً تعمل على إحداث التغير بشكل مباشر ولا تحتاج إلى التعبير عن نفسها من خلال التكنولوجيا، وتلعب العديد من العناصر مثل القيم الاجتماعية والإيديولوجيات والحروب والضغوط والتوترات والقادة الملهمين (الكاريزميين)، تلعب دورها فى أوقات مختلفة ولدرجات مختلفة.

وهذا ليس معناه محاولة إنكار الدور الرئيسى الذى تلعبه التطورات التكنولوجية فى التغير الآجتماعى،[٦] ولكن كما هو الحال بالنسبة للموضوعات الأخرى، فنحن نميل إلى المبالغة فى تبسيط المسألة. وقد نلجأ لمبدأ بسيط ونتجاهل الاعتبارات والتعديلات الأخرى، فنحن نندهش عندما نرى اللؤلؤة الكبيرة ولكن ليس لدينا نظر ثاقب نرى به اللآلئ الأصغر، وكل ما يهمنا قوله هنا أن التغيرات

التكنولوجية ليست هى المصدر الوحيد للتغير وأن التغيرات التكنولوجية لا تحدث بمعزل عن المجتمع الكلى من خلال الأفراد الأذكياء الذين لديهم أفكار لامعه وذكية.

.. وننتقل الآن إلى تناول عوامل التغير الاجتماعى التى يرتبط بها موضوعنا العام.

٣-وعندما نتحدث عن التغير الاجتماعى، فان ما نعنيه بدقة أكثر هو التغير الثقافى وبمعنى آخر، فنحن لن نقصر إهتمامنا على التغيرات فى البناء والتى قد تحدث فى العديد من جوانب أسلوب أو طريقة الحياة فى المجتمع الذى نهتم به وقد يتضمن ذلك العائلة والدين والفن والنقل ووقت الفراغ.

وهذا بالطبع ما نجده: التغيرات العميقة فى أى جزء تؤثر على الكل.فالسيارة كانت مسئولة عن صناعة هامة وجديدة ولكنها غيرت أيضاً العادات وزادت من حراك الملايين من الناس وقد أدت إلى ظهور معايير جديدة للسلوك عن ضرورة عدم قيادة السيارة باستهتار أو تحمل عادم مزعج. وما هو أكثر أهمية فانه لا يمكن قصر التغيرات على قطاع من المجتمع،(٧) فنجد مثلاً أن إنشاء مصنع جديد فى مجتمع ريفى قد يغير طابع المكان أو الشخصية حسبما يقولون. وذات مرة، وفى قرية صيد ساحلية فى يوركشاير Yorkshire أدهشنى وجود العادات المتحضرة للسكان المحليين إلى جانب التدهور الواضح للنمط التقليدى للحياة، ولكن أخبرنى رجل عجوز هناك، أنه كان يوجد شباب خلال الحرب العالمية الأولى لم يغادروا تلك القرية من قبل، ولكنهم غادروها لكى ينضموا إلى الجيش ويحاربون فى منطقة الفلاندرز Flanders. وقد حطمت آلة الاحتراق الداخلى العزلة وغيرت الكثير من الأوضاع. وقد أحدثت الثورة الصناعية فى بريطانيا الكثير من التغيرات والاختلافات فى العائلة البريطانية حتى أن التواريخ الاجتماعية تميل إلى إعتبارها بمثابة خط فاصل فى سجلاته. والنقطة الهامة هنا هى أن ما نعنيه عادة بمصطلح التغير الاجتماعى يمكن أن يكون له نتائج كبيرة بالنسبة لحياة الناس.

٤- إن التغير ظاهرة شائعة فى المجتمعات الإنسانية، فالعديد منا يعتادون على

تقسيم المجتمعات الإنسانية إلى مجتمعات متغيرة وغير متغيرة، وهذا الإجراء يعتبر مثالا آخر للامتناع بالإفراط فى البساطة عند التفكير فى المجتمعات الإنسانية التى سبق أن ذكرناها. ويجب أن نخضع للفكرة النمطية الأصلية التى مؤداها أن المجتمعات التاريخية والبدائية تعتبر غير متغيرة وذلك عكس المجتمعات الحديثة. ومن المنطقى أن نفترض أن هناك بعض التغير الذى يحدث فى كل المجتمعات البشرية.

ولسبب ما، نجد أن الأعضاء الحاليين يكبرون ويولد أعضاء جدد، ولأن الناس يعيشون مع بعضهم البعض، فهم يؤثرون على سلوك الآخرين وهذا يبدو افتراضا معقولاً فى مجتمع إنسانى يتكون من رجال ونساء ذووا فاعلية وليسوا مجرد دمى تحركها خيوط.

٥-ونستنتج مما سبق إننا إذا أردنا تحقيق المزيد من الفهم لأى مجتمع إنسانى كان السؤال الذى يتعين طرحه ليس عن الحقيقة ولكن عن سرعة التغير الاجتماعى. وقد تكون كل الأركان بمثابة أوقاتاً للتغير، ولكن بعض الأوقات تمثل فترات تغير إجتماعى سريع، كما أن التغير الاجتماعى الأخير يعتبر أكثر خطورة وأبعد مدى.

وفى عام ١٩٠٦، تم تأليف كتاب عن شعب بدائى وهو شعب التودا فى الهند ويحتوى الملحق على إشارة لكتاب عن نفس هذا الشعب كُتب قبل البعثة التبشيرية البرتغالية بثلاثمائة عام، وعند المقارنة بين الدراستين يتضح أن القرون العديدة لم تشهد تغيرات عميقة فى أسلوب حياة هؤلاء الناس. وقد يحدث تغير بطئ فى المجتمع ككل، ولكن التباين الكبير مع المجتمع الصناعى الحديث يجعل الاختلاف فى النوع وليس فى الدرجة.

وقد يشهد الصبى البريطانى البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً، العديد من التغيرات التى تحدث داخل المدينة حيث يعيش وذلك مثلما شهد جده، وقد تحدث التغيرات الكبرى فى فترة معيشية وأحياناً فى عقد من الزمان. ونجد أن معيار زوجات الطبقة الوسطى من البريطانيين واللاتى يذهبن إلى العمل -وهو تطور- يمثل نمطاً هاماً للأنماط التقليدية لسلوك الطبقة - قد تكّون بشكل كامل فى الخمس

عشر عاماً التى تلت الحرب، وبعض التغيرات التى تحدث فى بلد مثل بلدنـا تكـون سـريعة حتى أن أحد الصعوبات التى نتعرض لها هى أن حكامنا لا يمكـن أن يتأكدوا مما يحدث: لأن الاحصائيات قديمة والاتجاهات تنقلب إلى العكس. ويوجد على حائط قائمة الإستقبال فى قصر اللورد مايور Mayor فـى برمنجهام صورة تعبر عن المدينة منذ مائة وخمسين عاماً، ويعبر الزوار عن دهشتهم لرؤية التغيرات – ويجرى عرض الحقول الخضراء على اللوحات القديمة. وما لايمكن أن يدركه هؤلاء الزوار هو انه كانت هناك تعديلات أكبر فى بناء ومركز المدينة فى العشر سنوات الأخيرة، وبالطبع فأن التكنولوجيا هى العنصر الرئيسى للتغير الاجتماعى السريع[٨] فى حين أن القوى الثقافية غير المرتبطة بالابتكارات تعمل ببطء أكثر. وقد نقول فى الواقع أنه يوجد معدل متزايد فى سرعة التغير الاجتماعى وتفاعل الوسائل التكيفية فى بلاد تتأثر بالتكنولوجيا الحديثة إذ نجد أن الاختلافات بين أمريكا فى عام ١٩٥٠ وعام ١٩٦٠ تعتبر أكبر من التغيرات التى حدثت بين عامى ١٩٠٠ و ١٩١٠ بسبب المعدل السريع للابتكارات كما تتغير الكثير من الأشياء وبشكل أسرع فى كل جيل متتابع. وكنتيجة لذلك فقد أصبح الماضى مختلفاً عن الحاضر ويبدو أكثر بُعداً من الناحية السيكولوجية.[٩]

التغير السريع له تأثير أكبر

إن التغير الاجتماعى والموسع يفرض متطلبات أكثر على الناس مقارنة بالتغير التدريجى أو التغير فى جانب واحد من خبرتهم الاجتماعية. وقد رأينا أن سرعة التغير وإتساع نطاقه يوجدان معاً: فالأفراد الذين يعيشون فى مجتمعات متقدمة فى الوقت الحاضر، قد يكون لهم العذر فى عدم رغبتهم فى ألا يتغير كل شئ بسرعة، وقد يتطلعون لوجود وقت يكفى لإجراء التكيفات تدريجياً، والرجل الذى يتعين عليه أن يتعلم أساليباً جديدة فى العمل يعود إلى المنزل لكى يجد لدى زوجته أفكاراً مختلفة عن دورها وأنه لا يستطيع فهم أبناءه المراهقين، وفى الوقت ذاته، تكون دور السينما المحلية مغلقة، ونجد أن بعضاً من الضغط والتوتر المصاحبين للحياة الحديثة بالنسبة للأفراد الكبار ومن هم فى منتصف العمر يبرز منه الشعور بعدم معرفة مكانه: حيث نجد أن السمات المألوفة قد زالت.

وفى مثل هذه الأوقات يصبح التغير موضة، لأن الكثير يتغير ويبدأ الناس فى التساؤل عن سبب ضرورة عدم تغير كل الأشياء، وهذا يتضح فى قصة التاجر الذى أعلن قائلاً: "إن لدينا آخر الأنتيكات". وقد تستمر العملية حتى أن جيلاً بأكمله قد يرى أفراده أنهم متمايزون عما كانوا من قبل، وقد يحاولون أن يشجعوا لقباً جديداً لأنفسهم مثل أنصار اليزابيث الجدد، وهذا ليس معناه الدخول فى أى أحكام قيمية عن التغير فى مقابل الثبات. وإذا كانت هناك أجيال منجذبة لما هو جديد لمجرد أنه جديد ولا يهتم بالحقائق التقليدية، فمن الممكن القول بأن هناك نوعاً من النزعة المحافظة فى العديد من المجتمعات وأن مجتمعات المجابهة أو المواجهة قد تبدو لديها الطاقة والأمل .. ولسنا هنا بصدد متابعة هذا الرأى، وإنما نهتم بوصف جزء من المناخ السيكولوجى للأفراد الذين يعيشون فى أوقات التغير الاجتماعى السريع، والواحد منا لا يسمع فى الوقت الحاضر عبارة مثل هذه: "إذا لم يكن من الضرورى إحداث التغيير، فمن الضرورى الثبات وعدم إحداث التغيير".

ونجد أن تجربة التكيف تحتوى على عدة أجزاء مترابطة ومتمايزة فى الوقت ذاته ومنها:-

١-أن هناك تكيفا مع الوقائع الفيزيقية الجديدة، فعلينا أن نتعلم كيف نعيش مع الطائرة النفاثة الجامبو ومع السيارة والراديو الترانزيستور المزعج، ويمكن إرسال المتحدثين الرسميين لأى جزء من العالم فى غضون ساعات قليلة، ولكن حياتهم تكون أكثر توتراً من حياة سابقيهم كنتيجة لذلك.

من ناحية أخرى، نجد أن القيادة اليومية للسيارات فى المدينة خلال ساعات الذروة يعتبر مثالا أخر، كما نجد أن طابع كرة القدم يتغير لأن سرعة السفر تجعل المباريات الدولية ممكنة، والمرء يتعجب عندما أتى ذلك اليوم الذى أمكن فيه المشاهدة الحية لفرق القمة القليلة على شاشات التلفزيون، تلك التى صوحبت بضوضاء استجابات ومشاهدات الجمهور لها. والقمر لا يبدو بعيدا لأن الملايين من المشاهدين رأوا الرجال يهبطون على سطحه. كما تخلق بعض الاختراعات الجديدة نوعا من التوتر والقلق، وبعضها يهدد الحرية مثل العديد من أجهزة

التصنت على المكالمات الخاصة، ولكن هدفنا الآن ليس هو القول بأن الوقائع الفيزيقية لعصرنا تعكس تهديدا، ومن المثير للسخرية أن ننكر أنها تثرى حياتنا وتوسع تجربتنا. والنقطة الواردة هنا هى أنها جزء جديد من بيئتنا والتى يجب علينا أن نتكيف معها.

٢-إن هناك قواعد جديدة يجب تعلمها: حيث تظهر مواقف جديدة ليس لها مقدمات، والكثير من السلوك الإنسانى يجرى تعريفه اجتماعياً، ونحن نتبع الأنماط المعيارية التى نمت فى مجتمعنا بدون التفكير فيها، وأى شىء أخر قد لا يكون متحملا لأنه قد يعنى أننا يجب أن نتوقف ونفكر فى كل موقف بأنفسنا، ونحن نريد أن نتصرف عادة بطرق مقبولة اجتماعيا وتحظى بقبول الآخرين، وحتى عندما توجد معضلة بسبب مواجهتنا لموقف جديد بالنسبة لنا، فنحن نكتفى بالقبول : "ماذا يفعل الناس عادة"؟[١٠] وهذا ما يدفع الناس لشراء كتب صغيرة خاصة بقواعد الزواج عندما يجرى التخطيط لعقد القران فى إحدى العائلات، وهذا يفسر العديد من المناقشات مع أصدقائنا عندما نلتمس النصيحة فى عدة خطوط للفعل، وفيما وراء معايير السلوك اليومى، وفيما وراء التعريفات الاجتماعية للفعل الفردى تكمن التقاليد الطويلة. ومن السهل أن نرى كيف ينطبق هذا على عادات وأعراف الزواج وعلى العلاقات بين الابن والأب وعادات الخطوبة، وكيف ينبغى على الناس أن يعاملوا بعضهم البعض عبر الفروق والتمايزات العمرية الجنسية. وقد عبرت الأمثال الشعبية عن معايير السلوك المقبولة مثل: "إن مكان المرأة فى البيت". و "يجب ألا تطيع كلام الأطفال وطلباتهم بشكل عشوائى"، ولكن ما نلاحظه هنا هو أن التغير الاجتماعى السريع يخلق مواقف جديدة لا ترتبط بها معايير تقليدية، وهذا هو السبب فى أن الأنساق الأخلاقية فى عهد سابق يتضح أنها غير كافية وسخيفة إذا تم تفسيرها بطريقة جامدة، وإن كان من الممكن القول بأنه إذا جرى النظر إلى تلك الأنساق الأخلاقية كمبادىء عامة، فان صدقها يكون أكثر وضوحا. ولكن التفسيرات الأكثر ضيقاً تدخل فى إطار التحايل الشرعى على قضايا الأخلاق بشكل غير مقنع لأنه لم يتم تصور أو تخيل الظروف التى

ظهرت.[١١] كم عدد الأطفال الذين سوف ينجبون؟ هل نرسل جونى إلى مدرسة اللغات؟ هل نتبرأ من توم لأنه يدمن الحشيش؟ هل نطرد مارى من البيت لأنها تقر بممارسة إتصال جنسى مع صديقها ولا يشكل ذلك خطراً بالنسبة للطفل الرضيع؟ كيف نقرر الأولويات المالية بين قضاء العطلة فيما وراء البحار أو شراء سيارة جديدة وتلفزيون ملون ورعاية الأدب القديم.

وفى المجتمع ككل، يبدو أن هناك مناسبات جديدة تعلم واجبات جديدة: يتعين علينا اختيار أشياء لم يسبق لها مثيل فى التاريخ، وكم من مواردنا يجب تكريسه لإطالة أمد حياة المسنين؟ إن هناك حماسا ثقافيا لأن هناك خيطاً رفيعا يفصل بين قتل الناس ومحاولة عدم إطالة أمد حياتهم، ومع ازدياد أعداد السكان عموماً وازدياد نسبة المسنين، فان وقت الوفاة قد يصبح فى المستقبل اختياراً اجتماعياً وشخصياً.

وهناك قواعد جديدة مطلوبة بالنسبة للمواقف التى ليس لها مثيل، حيث تواجهنا اختيارات يومية لم يتم تطبيقها منذ زمن طويل، وفى العديد من التفسيرات التى سبق ذكرها لم يكن هناك اختيار ممكن فى العهود الماضية لأن الأفراد والمجتمعات كان عليهم أن يتقبلوا ما يفعله القدر بهم ، وقد أتاح التقدم الفنى المزيد من القوة للناس، وفى الحالات الأخرى ، فان الظروف المتغيرة قد خلقت ظروفاً جديدة.

٣-ونستنتج مما سبق أن هناك أدواراً جديدة يجب تعلمها فى وقت التغير الاجتماعى السريع، ويعتبر المجتمع بمثابة مكان يحوى المعايير التى تعتبر طرقاً مقبولة اجتماعياً للسلوك فى مواقف معينه والتى يمتثل لها معظمنا. ولكن المعايير ترتبط بتعريف سوسيولوجى آخر مثل الأدوار والمكانة.[١٢] والسلوك المقبول اجتماعياً يختلف بين الناس على اختلافهم وفقاً للعلاقة التى لديهم. لا تتحدث إلى والدك بهذا الشكل"، فهذه العبارة تعتبر إقرار بالحقيقة التى يمكن سماعها فى الحياة العائلية، فالرجل له توقعات جنسية بخصوص زوجته والتى لا يمكن أن يتمتع بها مع نساء أخريات.

ويتم بناء الكثير من سلوكنا اليومى من خلال ما نعرف أنه متوقع منا، وهكذا فمن غير المحتمل أن نقوم بالسب أو توجيه الشتائم بخصوص واجب القسيس، وإذا فعلنا ذلك فسوف نعتذر. ونجد أن أقلية من المواطنين فى هذا البلد سوف تعوق أو تحتجز بائع اللبن فى طريقه وتتجاذب معه أطراف الحديث حول القضايا الدينية أو دعوته إلى الصلاة.

وبالمثل فنحن لن نبحث عن عقول الكبار فى أجساد الصغار

ويرى البعض أن المجتمع الإنسانى يعتبر بمثابة مكان يحتل الأفراد فى ظله عدداً من المكانات ويحققون عدداً من الأدوار، وترتبط هذه المكانات بالمهنة والعمر والجنس وصلة القربى. فكل شخص يعرف مكانته فى إطار علاقته بالآخرين. وهناك إجماع واضح تم نقله وتداوله كجزء من الميراث الثقافى وذلك بخصوص الكيفية التى يتعين على الواحد منا أن يتصرف بها فى إطار أنواع مختلفة من العلاقات، وحيث ظهرت الشكوك كانت هناك مؤشرات ورموز للوضع الاجتماعى. والناس يرتقون السلم من خلال التعليم الأفضل كما يتحدثون بلهجة مختلفة ويرتدون ملابس أكثر أناقة. والمرء منا لا يخطئ جنس الرجل المخنث لأنه يرتدى الملابس الخليعة وله تسريحة شعر الذكور، وبشكل عام فإن الناس كانوا ينظرون إلى أعمارهم، والأمر لا يبدو بسيطاً فى وقت التغير الاجتماعى السريع. فالمسألة ليست مجرد خلط فى الرموز، حيث تبرز الأدوار الجديدة.(١٣) والمشرفون على حركة المرور لديهم مكانة دنيا مع الكثير من السلطة. كيف يعالج المرء مثل هذه الأمور؟ هل يعالجها مثل ناظر المدرسة؟

وتعتبر التفسيرات الجديدة التى يتم تقديمها بالنسبة للأدوار القديمة هى سبب ذلك الخلط. فالأب من النمط القديم فى العديد من العائلات، والذى كان يحكم بسلطة من حديد قد أفسح المجال أمام الأب الذى أتعب نفسه بما سمعه عن السماح لأبنائه بتنحية وتطوير شخصياتهم مع مطالبتهم بالفهم والتسامح. وحيث كان يحدث هذا فقد كان لزاماً إعادة تعريف دور الأب، ومن أمثلة ذلك أنه كان يقال لنا أن المدرسين يجب أن يتخلوا عن سلطتهم القديمة ويجب أن يعلموا الأطفال، وأكثر

من ذلك يجب عليهم أن يتعلموا مع الأطفال بدلاً من أن يعلموهم. ويجب أن تكون لديهم مهارة فـى البحث الاجتماعى، وهنا نجد أن دور ومكانة المعلم يخضعان لعملية إعادة تعريف. ويؤكد الباحثون أن رجال الشرطة يجب أن يصبحوا باحثين اجتماعين وضباطاً لدعم القانون. ورجال الصناعة الرواد يجب أن يتعلموا أن يعيشوا أو يتعايشوا مع الديمقراطية الصناعية.

٤-وأخيراً، فانه يتعين القيام بدور أخر يعتبر شاملاً لثلاث عناصر سابقة:

فالتغيرات الاجتماعية تغير القيم الخاصة بمجتمع ما، كما أن التغير الاجتماعى السريع يغيرها بسرعة. ويمكن للمرء أن يسمع صدى ذلك فى تعليقات كبار السن. "لم يكن بمقدور الأطفال التجرؤ على التصرف بهذا الشكل فى أيام صباى" وأنا لا أعرف ماذا سيحدث بعد ذلك؟ وقد يجرى التجاوز والتساهل فى الذكريات المعيبة والحقيقية التى مؤداها أن المسافة تعطى سحراً للنظرة التى يعبر عنها مثل انجليزى مؤداه: "أنا أتذكر وأنت تبالغ وهو يكذب" ،ولكن فى الواقع نجد أن ما هو متروك هو معرفة التحول الأساسى للقيم فى المجتمع.

وترتبط الأجيال ببعضها من خلال التراث الثقافى، وتحتوى المجتمعات على عناصر الاستقرار والتغير فى آن واحد، ومن ثم يستحيل الانفصال التام بين الأجيال. والبلاد التى تبتهج عندما يصفها الآخرون بأنها "ثورية" لا تنجح فى واقع الأمر فى تحقيق الانفصال عن الماضى. فالخصائص القومية لديها طريقة لإعادة تأكيد ذاتها. فروسيا فى ظل حكم الشيوعيين مثل الروس فى ظل حكم القياصرة حيث أن النظامين لهما نفس التركيز على الشخصية المتكاملة للأمة الروسية، وقد أصبح ذلك أكثر وضوحاً فى العهود الأخيرة. ونجد أن التركيز على ماضى روسيا -وذلك حسبما يبدو لنا من خلال المحافظة الواعية على الكنائس التاريخية كمتاحف -يعتبر جزءا من ذلك الدليل وفى حصن بيتر باول " Peter Paul " وفى ليننجراد يوجد تمثال بطرس الأكبر حيث يحظى بمكانة عالية. كيف يمكن للشيوعيين أن يحترموا ذكرى القيصر؟ ويقال بحرص للزائر المستفسر، أنه رغم كونه قيصراً فقد كان سيد المهن الأربعة عشر. كما نجد أن المانيا بعد هزيمتها فى الحرب

العالمية الثانية والتى عجّل بها الحلفاء قد شجبت ماضيها النازى واحتضنت الديمقراطية، ولكن العصر الجديد لم يستأصل العناصر الموجودة فى الشخصية الألمانية مثل حب النظام وقبول السلطة والمثابرة.

وهكذا نجد أن كل جيل يرتبط بآخر: وهناك جمع للمعايير والقيم التى تكمن وراءها وعلى حد تعبير دونى Donne " ليس هناك جيل يمثل جزيرة قائمة بذاتها أو كيان قائم بذاتة، و إذا لم يكن الأمر كذلك فلن تكون هناك عملية تنشئة اجتماعية لأن ذلك ينطوى على افتراض مؤداه أن القادمين الجدد للمجتمع –سواء ولدوا فيه أو هاجروا إليه –يتم إقناعهم بقبول طريقة موروثة فى الحياة. ولكن الروابط بين الأجيال ليست قوية، وفى بعض العصور يوجد رجال يؤكدون على الاستقرار والسلطة، وفى أعمار أو عهود أخرى، فان اهتمامهم تشغله التمزقات والطرق الجديدة.

إن التغير الاجتماعى عموماً والتغير الاجتماعى السريع بصفة خاصة يمد الرجال بوقائع فيزيقية جديدة يتعين عليهم التكيف معها ويشير إلى ضرورة الأدوار والقواعد الجديدة كما يغير بعض الفروض القيمية الأساسية التى يعيش الناس فى ضوئها. وفى وقتنا وبلدنا يمكن أن نرى تأثير الأشياء الكريهة على الأخلاق والعلاقات الجنسية بين الرجال والنساء عموماً. ويمكن أن نرى كيف تتغير مكانة النساء لأن الهوة التعليمية والمهنية تضيق بين النساء والرجال. ويمكن أن نرى أن معيار السلطة الخاصة بالأباء قد تأثر لأن غالبية النساء المتزوجات يخرجن إلى العمل، كما أن العديد من الأبناء لديهم تعليم ومنظورات أفضل من تلك التى كانت لدى آبائهم.

ويستخدم علماء الاجتماع على اختلافهم، كلمة الشذوذ عن المعيار بالعديد من المعانى المختلفة. وهى لا يمكن أن تعنى إنهيار أى اجماع على القيم فى أى مجتمع إنسانى ومن الصعب أن نرى فى تلك الحالة كيف يستمر الارتباط الإنسانى.(١٤)

ويشير شذوذ المعيار بشكل واقعى إلى تداعى القيم المقبولة، ولكن هذا

التداعى يمكن أن يقطع شوطاً طويلاً ويكشف عن تناظرات كبيرة بين خبرة الأحياء فى جيل وآخر. وربما إذا استرجعنا الذكريات، فقد تبالغ فى الاستقرار والتلاحم والتضامن فى هذه الأعمار التى نتصورها بأنها هادئة، ولكن الدليل يوضح أنها لم تكن عرضة للاهتزاز المستمر للأسس والذى يعتبر سمة للعديد من المجتمعات الحديثة.

وأى نوع من السلوك، سوف تنظر إليه بعض الجماعات فى المجتمع على أنه بطولة. ولا يوجد إتفاق على أخلاقيات أى مسألة. وخلال العقدين الماضيين، وحتى القانون الذى يعتبر بطيئاً فى إبراز التغيرات فى الاتجاهات الأخلاقية، قد تغير فيما يتعلق بعقوبة الإعدام وفعل الفاحشة والمراهقة أو القمار والدعارة، كما تغير كذلك بخصوص الشذوذ الجنسى.[١٥] وليست هناك أراء مطلوبة لتفسير ما مؤداه أن خبرة الفرد تتأثر بشدة بحالة الشذوذ عن المعيار فى مجتمعه وإن كان قد لا يكون دقيقاً بالنسبة للآثار ولا يدرك ما يحدث له. وقد كُتب عن ملك فرنسى بأنه كان يصيب عندما يكون هادئاً ولكنه لسوء الحظ ورث ثورة. ويشير "تشينوى" Chinoy إلى النتائج الشديدة لهذه الضغوط والمتطلبات بقوله.[١٦]

"إن الشذوذ عن المعيار النابع من هذه الاتجاهات يؤدى إلى إنهيار شخصى موسع (الانتحار والمرض العقلى) مع ظهور الأشكال المختلفة للسلوك الانحرافى مثل الجريمة والجنوح والبوهيمية والجوانب الشاذة الأخرى، كما يحفز الحركات السياسية الشمولية التى تقدم عرضاً بحل المشكلات السياسية والاقتصادية الشديدة مع استعادة المعنى والاستقرار والأمن وإن كان ذلك يكلف الكثير".

ونكتفى هنا بالآثار الأقل شدة. فمواطن البلد الذى يسوده الخروج عن المعيار قد يشعر بالآتى:

أ- بخصوص سلوكه. يضطر إلى الاعتماد على موارده وقراراته الخاصة وبعض ما يفعله يجرى تعريفه اجتماعياً. وبالطبع فإن هناك من يعتبرون هذا ممثلا للحرية، ولكن الآخرين يشعرون بنقص الدعم من جانب الجماعة ومعايير المجتمع. وهناك خلط حتمى يظهر عندما لا تكون الأخلاق شائعة. وفى هذا

الصدد نقتبس نصاً مما ذكره ج. ب. مايز J.B. Mays عن تجربة المراهقين فى المجتمع البريطانى:[١٧]

"لقد ذكرت مارجريت ميد M.Mead أحد العوامل الاجتماعية العديدة التى تجعل المراهقين فى مجتمعنا عرضة للقلق والشك والتردد، وهو يتمثل فى العدد الكبير من الاختيارات المقدمة لهم وهم على عتبة النضج يبدأون فى تحمل المسئولية بالنسبة للكثير من مجالات حياتهم. والعالم فى هذه المرحلة لنمو الصغار يكون بمثابة متجر ضخم وليس أى شئ آخر، والفارق الوحيد هو أنه لا يوجد ثمن واضح للاختيارات المختلفة".

ب- إن التجارب أو الخبرة لها سلطة أقل. وأخطر النتائج هى أن الأكبر سناً ينصت إلى الأصغر سناً بقليل من الصبر. وبالنسبة لموقف جديد فأن حياتهم الأطول على الأرض تعتبر غير ملائمة. وفى الحالات الشديدة فإن هذا الميل يتحول إلى ما يسمى بعبادة الشباب.

ج- إن العديد من أشكال الضبط الاجتماعى تفقد طاقتها، وبوضوح، فإن الامتثال يعتمد على الإجماع. ولا يمكن أن يعتمد القانون والنظام على رجال الشرطة لأنه لن يكون هناك فى تلك الحالة رجال شرطة يدورون لممارسة شئون دورية الحراسة، والأمر هنا يعتمد على احترام القانون والنظام وعلى القوانين غير البعيدة عن المعايير والمستويات المقبولة. والعديد من الأجهزة غير الرسمية للضبط الاجتماعى توصف بأنها جوانب تقليدية للسلطة: الكنائس والمدارس والعائلة. وهذه هى الأجهزة التى تتقوض وتتعرض للدمار فى مواقف الشذوذ عن المعيار.

د- إن أجهزة التنشئة الاجتماعية والتعليم فى المجتمع لا تتحدث بنفس الأسلوب فالمدرسة مثلاً تصبح منعزلة عن بقية المجتمع. وقد تقدمٌ نسقاً قيمياً يتناقض مع ما يحدث فى بيوت العديد من الدارسين فى المجتمع عموماً. ولم تعد الشرطة تعتمد على الدعم العام والتعاطف فى دعم القانون. ولم تعد الكنائس تمثل السكان وإنما أصبحت تمثل جماعات الأقلية ذات الأيديولوجيا النادرة وأصبحت كنيسة

إنجلترا تبدو أقل مماثلة لأى كنيسة أخرى فى إنجلترا.

ونجد أن تقسيم الأجهزة الخاصة بالتنشئة فى زمن التغير الاجتماعى السريع قد يعكس أمراً وجدانياً بالنسبة للعديد من المواطنين العاديين وإن كانوا قد لا يستطيعون أن يعبروا عنه بالكلمات.

المراهقون من بين الفئات الأكثر تأثراً بالتغير الاجتماعى:

ولا يتماثل كل الأشخاص فى درجة تأثرهم بالتغير الاجتماعى السريع. وعلى سبيل المثال فان الأنماط التقليدية للحياة فى المجتمع تميل إلى الاستمرار فى المناطق الريفية، فهى تكون منعزلة نسبياً عن المناطق الأخرى، ومن ثم فان التغير يحدث ببطء أكثر لأن السلوك الخاص يخضع لفحص عام بشكل أدق. وتوجد العديد من المناطق المنعزلة نسبياً فى بريطانيا، وفى تلك المناطق لم تتغير العادات الاجتماعية بنفس الدرجة التى حدثت فى المدن الرئيسية.

وبالمثل وفى رحلة القطار الطويلة من موسكو إلى لينينجراد، فإن المسافر المتأمل الذى ينظر من النافذة قد يرى جماعات من الناس ويحكم عليهم من خلال ملابسهم وسلوكهم أنهم خرجوا من نطاق القرن التاسع عشر وانحرفوا عنه. وعلى العكس من ذلك، فان هناك تباطئاً فى الأساليب الجديدة للحياة فى أيام التغير الاجتماعى السريع. ومن هؤلاء يجب أن نضع الصفوة الفكرية التى لديها القدرة والثقة فى التفكير أو التأمل فى الأشياء من وجهة نظرهم. ونجد أن السير الذاتية لبرتراند راسل Bertrand Russell تقدم لنا بعض شخصيات القرن التاسع عشر فى هذا البلد والذين كانوا -بلا خجل -يعيشون بمعايير القرن العشرين التى يسودها التسامح.(١٨) ونجد أن الجماعات الأكثر تأثيراًهم الذين فى مواقع الطليعة أو المقدمة: أولئك الذين يمارسون أدوار القيادة الفكرية، ومن ثم يبدأون فى الابتكار ويحققون التواؤمات السيكولوجية الأولى معها والمزج بين ما هو جديد وبين القيم الأقدم وتقديم نماذج فى صورة نماذجهم الشخصية والتى تعطى مثالاً لأساليب التكيف مع النظام الاجتماعى الجديد.(١٩)

والتغير الاجتماعى السريع له أثار متباينة بالنسبة للجماعات العمرية

المختلفة، وهو لا يمد الأطفال الصغار باختيارات مؤلمة، كما أن كبار السن الذين اعتادوا طويلاً على أساليب حياتهم قد يعرفون ضغطا هامشيا فقط، ويعتبر الشباب الأكثر تأثراً في عملية القيام بالتزام تجاه المستقبل "إن الشباب أو الصغار الذين سبقوا التعاريف الاجتماعية للطفولة فاقوها عمراً، ومع ذلك فهم غير متواجدين في عالم التزامات الكبار، كما أن الأدوار تتمزق بين صراع الماضي والمستقبل. ومع تربيتهم من جانب الكبار الذين نشأوا في صورة سابقة للمجتمع وتوقع الحياة في مجتمع مختلف، نجد أنه يتعين عليهم أن يختاروا بين صور الماضي والحاضر.[٢٠]

ونجد أن المهتمين بالتراث الذي يتناول علم نفس المراهقة يعتادون على التفسير المستخدم مرة تلو أخرى لتفسير تلك النقطة. وفي المجتمعات التاريخية والبدائية، توجد شعائر تكريس أو شعائر مرور تميز تحقيق الصغار بشكل واضح لمكانة الكبار، وهم يختبرون معرفته للمجتمع وقوانينه وحقوقه الذاتية وواجباته وقدراته على تحمل الألم أو إبداء شجاعته. وقد ترتبط الطقوس بالعمل والجنس والحرب وأدوار المجتمع العامة. وهو يقدم مناسبة إجتماعية يمكن القول في ظلهما للصغير: "إنك كبير الآن "

وعلى العكس من ذلك وفي المجتمعات الحديثة قد يتبقى بعض مظاهر أو سمات التعريف الدقيق للبلوغ أو النضج، وهذه أكثر من مجرد بقايا رمزية مثل كارت عيد الميلاد أو قد يرتبط الأمر بوجود جماعات دينية أو أخلاقية مثلbar mitzvahs، ومثلها في ذلك مثل الآثار نجد أنها تساهم في تذكيرنا بعمر متلاشٍ وتجذب انتباهنا للجوانب الغريبة للصغار أو الشباب في عمر واحد مثل الحاضر حيث توجد تمزقات غير عادية في الاستمرار الثقافي ونقص الأهداف الاجتماعية الواضحة والتغيرات في حلقات الاتصال عبر الأجيال.

ونجد أن الشباب الذي ينشأ في بريطانيا أو أي بلد غربي آخر يرث خليطا من قيم الفوضى، كما نجد أن الفوضى الحالية الخاصة بالمعايير الأخلاقية والمناخ المتغير للرأي بخصوص ما هو صواب وما هو خطأ يجري استكشافهما في تقرير إيبل Eppel عن بحثهم في الأدوار الأخلاقية للمراهقين.[٢١] ودعنا نأخذ تفسيراً

واحداً فقط حيث يكون من الضرورى القول بأننا نحاول هنا أن نتجرد من الأحكام وهو ما يعتبر فيه هذا الرأى الكلى، ونحاول أن نصف موقف الشذوذ عن المعيار ولا نحاول إصدار الحكم على من هو على صواب ومن هو على خطأ.

وفى اجتماع للمعلمين فى يوليو سنة ١٩٦٣ قال الدكتور هندرسون Henderson : "أنا شخصياً لا أعتبر الشباب والشابات أو النساء الشابات الذين يخططون للزواج والذين يمارسون الاتصال الجنسى قبل الزواج يفقدون عفتهم وطهارتهم. ولا أستطيع ببساطة أن أقنع نفسى بأنهم غير أخلاقيين. وفى الحقيقة، فإن الشباب فى بريطانيا فى الوقت الحاضر وعلى خلاف معظم أسلافهم التاريخيين، لم يعد لديه استمتاع أو تمتع بإجماع الكبار عما هو صواب فى المجالات الهامة لخبرتهم. ولا يجب أن يفترض المرء بالطبع أن هذا يعتبر صحيحاً فقط بالنسبة لأخلاقيات الجنس وإنما يمتد لمعظم مجالات الاعتقاد والسلوك.

وفى الجزء الأخير لاحظنا أن التغير السريع يؤثر على قواعد وأدوار وقيم المجتمع. ومن السهل أن نرى كيف يحقق هذا تأثيراً خاصاً على المراهقين ومجتمعات الاجماع Consensus لا تركز على العمر كمبدأ للتباينات والتمايزات الاجتماعية.[٢٢] ومثل هذه البلاد ليست بارزة بالنسبة لنمو الثقافة الفرعية للشباب. والإنسان منا مازال يستطيع رؤية آثار هذه الظاهرة حيث تحارب الأقلية المضطهدة من أجل حقوقها. ونجد أن النزعة القومية الويلزية تجتذب كل الجماعات العمرية. ويمكن النظر إلى نتائج الحركة الجمعية بشكلين: أولاً: يمكن أن نتساءل عن الآثار أو التأثيرات التى يتعرض لها الشباب. ثانياً: كيف يؤثرون على المداخل التى يطرحها البالغون على الشباب.

ولم يتباطأ المراقبون فى إيضاح أن أحد صعوبات التنشئة فى بلد متقدم هى أنه لا يوجد شئ يستحق التمرد. وفى الأعمار الأخرى، فإن الصغار قد كسبوا حوافزهم أو بواعثهم الوجدانية من خلال القيام بثورة ضد سلطة البالغين. وقد ألقيت الكثير من الكلمات بخصوص هذا الموضوع. وقد سبق إيضاح أننا استطعنا

أن نعطى الجيل الصاعد كل شئ فيما عدا الايمان لكى يعيشوا به، وقد عملوا على تأمين العديد من الامتيازات المادية وامتيازات أكثر من أى جيل سابق من المراهقين، ولكن المؤشرات القديمة قد أزيلت.

ولكن عندما يتم تخصيص نصيب كبير للقيم المرغوبة لهذه التغييرات والرغبات، فانها تترك عنصراً ينسجم مع شئ حقيقى فى خبرة الشباب الذين ينشأون مثلاً فى المانيا الغربية أو الولايات المتحدة الأمريكية أو بريطانيا.

وقد قيل سلفاً أن العديد من أبطال الأفلام والمسرحيات الحديثة ليس لديهم آباء – أو غائبين سيكولوجيا –وقد قال ابن أمريكى منتحباً: "قد يخبروننى لمرة واحدة ما يتصورون أنه من واجبى أن أفعله وما لا يكون موجوداً للتمرد ضده قد يكون ملموساً على أنه نقص فى التأييد، ولا يريد كل صغير أن يكون مبتكراً. وقد يشعر الآخرون بأن هناك عالما للبالغين ملئ بالقيم ولكنه مادى وغير ملائم وجزء من سباق الفئران المحموم. وحتى تغريد البمارل Albemarle الرزين[٢٣] قد احتوى على جملة تعكس إحساساً متفجراً: لا يبدو أن هناك نضال شجاع فى قلب المجتمع من أجل حياة روحية وأخلاقية خاصة –وإنما إلزام سلبى بالأشياء على وضعها.

ويتلقى المراهقون فى الوقت الحاضر تعريفات أقل تخصصاً من مجتمعهم أو أقل تحديداً. وفى مثاليتهم قد يشعرون بالعزلة والاغتراب. ورغم أن بعض النتائج قد تعمل بشكل جيد فمن الممكن أن تصبح أقل أمناً. وبالمثل فان التمزقات الثقافية المرتبطة بالتغير السريع تمثل ضغطاً على البالغين وذلك مع إقترابهم من الصغار ومحاولتهم بناء العلاقات معهم، وهم يشاركون المراهقين حريتهم بخصوص الدور الاجتماعى للمراهقين ويعتبرون هامشيين. من هى تلك المخلوقات التى تركت المدرسة ولكنها ليست ضمن البالغين المعروفين اجتماعيا والذين يقول كل شخص أنهم يسكنون عالما يعتبر أرضا غير مطروقة للكبار وفى الواقع أنه تم منحهم أغلبية فى سن الثانية عشر ولكن هذا يرجع فى الغالب إلى ضغوطهم وتهديداتهم. ونحن نستمر فى إعطائهم اعترافا مؤخرا ببلوغهم. ولم يعد الكبار يفترضون أنهم

يعرفون كل شيء يحتاج الصغار لمعرفته لكي يصبحون ملائمين لحياة البالغين. ومن هنا كان هناك في العديد من الأماكن ضغط غير عادى على علاقات الكبار والصغار واتساع الهوة الجيلية.

وليست حاجة المراهقين للكبار أقل من الأطفال الصغار لهم وإن كانوا يريدون علاقة مختلفة معهم. وهناك مؤشرات على أن الاتصالات بين المراهقين والكبار قد تدهورت وأننا نشهد أكثر من توترات تاريخية بين الأجيال. فالشباب يشعرون بأنهم لا يستطيعون التحدث مع والديهم عن الأشياء التى تقلقهم: "لن يفهموا" والأسباب الرئيسية لهذا يبدو أنها لا ترتبط بأى تدهور أخلاقى ولكنها تكمن فى التغيرات العميقة فى الحياة المنظمة للمجتمع. ونجد أن التصنيع يجعل البيت أقل مقدرة على إعداد الصغير لكل حياته فى المجتمع، وعلية أن يتعلم أدوار العمل المتخصصة خارج البيت ونجد أن المزيد من التغير التكنولوجى يزيد من الهوة عن طريق خلق عوالم أخرى لا تتأثر بالبيت مثل عالم الترفيه على سبيل المثال.

وقد فقد الكبار الكثير من ثقتهم فى الصغار فى العديد من المناطق وهذا كان أمراً متوقعا. كما نجد أن تقرير البمارل Albemarle يتحدث عن شباب الوقت الحاضر. وبعد مرور عشر سنوات سيكون هذا التقرير بمثابة بيان فات أوانه أو بيان قديم لا يواكب علم اجتماع الشباب البريطانى. وليس هناك شيء يتعلق بتعاطى العقاقير وتحدى المجتمع الذى تتعدد به السلالات والعمر المتغير للأغلبية الاجتماعية أو حركات احتجاج الطلاب أو المطالبة بالمشاركة.

وقد كسبت إحدى وجهات النظر اهتماما كبيراً حيث يسلم ماتزا Matza بأن هناك نوعاً من العلاقة اللاشعورية بين المراهقين والانحراف من جانب والمعايير التقليدية من جانب أخر وأن كليهما يخضعان للتعديل من هذا الاتصال أو هذه العلاقة.[٢٤]

ويركز هذا الجزء على الحقيقة التى مؤداها أن المراهقين هم أكثر أعضاء المجتمع تعرضا لتأثيرات التغير الاجتماعى السريع. وهم يجدون أن مجتمعهم لا يوجههم بشكل كاف بخصوص الأمور الهامة ومنها –على الأقل –دورهم

ومكانتهم. وإن كان هذا العجز من جانب المجتمع يرتبط بالخلط والاغتراب والانحراف ومع هذا فنحن لا نقول أن المجتمع سيء بالضرورة. ومع مواجه الاختيار بين الحرية الخطيرة والأمن المريح، فان هناك البعض الذين سيختارون العنصر الأول.

ولسنا نقول أن هناك عصاً سحرية يمكن التلويح بها لتغيير الوضع الحالى. ونكتفى هنا بمحاولة وصف تجربة الشباب فى زمن التغير الاجتماعى السريع.

وهناك عدة طرق يمكن أن نلخص بها فكرتنا الحالية، وأحد هذه الطرق هى المناظرة بين السمات فى المجتمعات المتغيرة والثابتة. والأمر هنا يتعلق بالاتجاهات وليس الكيانات الشمولية المتعارضة ... كالأتى:

ثابت	متغير
-اتفاق عام على ما هو صواب وجيد وممتع (بناء معيارى ثابت).	-اختلاف حول ما هو صواب وجيد وممتع (بناء معيارى متغير).
- إن معظم الناس يعرفون مكانهم ويمكثون فيه معظم حياتهم: مجتمع إستاتيكى (بناء دور واضح).	- إن معظم التساؤلات عن الكيفية التى يجب أن يتصرف بها الناس تجاه بعضهم فى علاقات مختلفة: فالعديد من التغيرات تحدث للأفراد اجتماعيا وجغرافياً (غموض الدور والحراك الاجتماعى والجغرافى).
-الأكبر سناً (الوالدين والمعلمين والكهنة) لديهم السلطة التى تنبع من خبرتهم الأطوال	- سلطة الأكبر سنا تتقوض وتنهار: خبرتهم أقل ملائمة لموقف جديد.
- المؤسسات التقليدية التعليمية والدينية والاقتصادية تتمتع ببعض السلطة.	-تخضع المؤسسات التقليدية للسلطة للمساءلة.

- جزاءات السلوك الطيب (الدينية والقومية) مقبولة على نطاق واسع.	-جزاءات الامتثال عرضة للمساءلة وأحياناً مرفوضة.
-الشباب ضعيف اقتصادياً وسياسياً.	-تزداد قوة الشباب اقتصادياً وسياسياً.

وهناك ملخص أخر يمكن تحقيقه من خلال متابعة الشباب من خلال تجربتهم الأسبوعية وكسب قياسى لنتائج التغير الاجتماعى من خلال التساؤل عن مدى اختلاف تجربتهم عن والديهم فى نفس العمر... وهنا نلاحظ الآتى.(٢٥)

أ- فى مجال العمل -مناهج الإنتاج الجديدة والأساليب المتغيرة فى الصناعة قد تطرح تجربة جديدة. وقد أثرت العمالة الكاملة والتضخم على الاقتصاد، كما جنى العمال المهرة وشبة المهرة أفضل الفوائد. ومع ترشيد العمليات الصناعية، فان تخصص المهمة قد زاد وزادت معه عمومية العمل إلى جانب نقص فهم نشاط العمل. وفى الوقت الحاضر نجد أن معظم الشباب ليس من المتوقع أن يتبنوا أخلاقيات العمل الخاصة بالقرن الماضى وكذلك القيم الدينية المرتبطة به. إن الشباب كمستهلكين لديهم اختيارات أكثر، ولديهم الكثير لكى ينفقوه ويتعرضون لزيادة ضغط الإعلان، فهم ميالون للإنفاق والموضة.

ب- وفى مجال التعلم، لديهم فرص أكثر إذا رغبوا فى استغلالها. وعلى الرغم من عدم اضطرارهم للنضال من أجل البقاء مثل والديهم، فانهم -مع ذلك- قد يوجد ما يدفعهم إلى مواصلة التعليم لأن ذلك يمثل أحد الطرق الواضحة للتقدم.

ج-وفى مجال الترفيه، نجد أن لديهم أذواقهم الخاصة فى الموسيقى والرقص والأفلام. وينفقون المبالغ الطائلة لاشباع هذه الأذواق.

هـ - وفى البيت -ومع ازدياد أماكن الترفيه وثروة المراهق وثقافة الحدث- فان الكثير من مظاهر حياتهم تحدث خارج نطاق المنزل.

و-وأخيراً فمن الممكن أن نحاول استخدام ملخصنا بطريقة أخرى. وقد يتعلق

الأمر بأخذ ثلاث جوانب رئيسية لمهمة المراهق فى ثقافتنا، والتساؤل عن كيفية تأثيرها بالتغير الاجتماعى السريع وهى:

أ-**إكتشاف الذات**: من أكون؟ وهو سؤال يدور فى ذهن المراهق ولا يطرحه علانية،ووفقاً "لمايز" Mays ، فإن الإجابة لها ثلاث جوانب وهى:[٢٦]

١-من أكون أنا بالنسبة لنفسى؟ وما هى صورتى الذاتية؟

٢- من أكون بالنسبة للآخرين والمجتمع؟ كيف يرانى الآخرون، وما هو مكانى فى عالم الكبار؟ وما هى الوظيفة التى ينبغى أن أقوم بها؟

٣- من أكون فى إطار علاقتى بالعالم؟ وما هو مكانى فى الخلق بأكمله؟ ما هو معنى حياتى الإنسانية المفردة؟

أ- **تحقق الأهمية**: إن كل شخص إلى حد ما يريد أن يكون شخصيا ما، وهذه الحاجة يمكن الاحساس بها بشدة خلال مرحلة المراهقة. فالصغار يريدون إرساء مكانهم مع معاصريهم وفى عالم البالغين. ونجد أن مجتمعات التغير الاجتماعى السريع تميل إلى التركيز على المكانة عند الإنجاز -وهذا هو المقصود بالقول بأنهم ميالون إلى الأخذ بالمزايا metitoctatic . وهذا ينطبق على الأكثر مقدرة الذين يمكن أن يصبحوا نجوماً فى الغناء الشعبى أو أبطالاً فى كرة القدم أو العباقرة الذين يمكن أن يصبحوا أساتذة فى الجامعة. ولكن هذا نادراً ما يؤثر على الذين لديهم مقدرة أقل أو متوسطة. وقد يشعرون بالرفض الاجتماعى. وكنتيجة لذلك يجدون أن مهمة المراهق تعتبر أصعب. ويتمثل جزء من التفسير السيكولوجى لجماعات الشباب المنحرفة (مثل ملائكة الجحيم) فى أنهم يبحثون بهذه الطريقة عن كيانهم وأهميتهم. ويتكون جزء كبير من عضوية هذه الجماعات من الفاشلين تعليمياً.[٢٧] وتقمص شخصية نجم الكرة بشكل مفرط له نفس الجذور.

ج- **كسب استقلال سيكولوجى**: فالمجمعات الحديثة تختلف عن القديمة فى أنها لا ترتب فرص للشباب لتفسير وكسب رجولتهم وفى أحد روايات جيفرى فارنول

Jeffrey Farnol ، نجد أنه يسمح فقط للشباب بمغادرة المنزل والقيام برحلاته عندما يتغلب على أبيه فى معركة مدبرة. ونجد أن الصراع من أجل الوصول للبلوغ أو النضج يكون أكثر تعقيداً وإرباكاً لصغارنا. وهنا تحدث عدة مشاجرات عائلية: حيث يحدث تحدى المراهق وفشل الكبار فى فهم ما يحدث والصراع مع الذين يحتاج دعمهم، ولكنهم قد لا يتصورون أنهم ينكرون الحرية لأنه لا توجد قيود مرئية.

التغير الاجتماعى السريع و"مشكلة الشباب" :

يبدو أن الناس فى أنحاء العالم المعاصر يتحدثون عن مشكلة الشباب. وأكثر التفسيرات شيوعاً عن الشباب هى تعاطى العقاقير والاحتجاج السياسى والتميز بالعنف أحياناً، وأساليب الهيبز فى المعيشة والتساهل الجنسى والانحراف وتدهور العلاقات مع الوالدين.

وفى ذروة فصل الاحتجاج يمكن للواحد منا أن يرى جماعات المنفعلين كباراً وصغاراً فى البرلمان Kurfurstendamm فى برلين الغربية وهم يناقشون نقطة سياسية عبر الأجيال.

وفى اليوم التالى، يخرج البوليس ومعه مدافع المياه .. وفى إسرائيل وعلى الرغم من إنخفاض إنحراف الأحداث ووجود مستوى عال من مشاركة الشباب وإرتفاع نسبة مشاركتهم فى المجتمع فأن المتخصصين فى المجال التعليمى يعبرون عن مدى قلقهم تجاه الجيل الصاعد ونجد أن أولياء الأمور فى هونج كونج يعبرون عن قلقهم لأن أبناءهم يتأثرون كثيراً بالثقافة الأمريكية ويهملون التقاليد الصينية. وفى بريطانيا نجد أن رجال السياسة قد وجدوا جماهيراً معادية فى إجتماعات الجماعة وعانوا من التهديد بممارسة العنف الفيزيقى. وفى الحرم الجامعى، احتل الطلبة مؤقتاً المبانى الإدارية وذلك فى مرحلة ما قبل تخرجهم. ولم تقتصر الشكوك الخاصة بالشباب على الدول الرأسمالية حيث يمكن للمرء أن يسمع نفس النوع من الحديث من كبار السن فيما وراء الستار الحديدى وإن كان هناك ضبط إجتماعى محكم لكل شخص.

ومن المؤكد أن هناك عبارة فى العديد من لغات العالم المعاصر تتناول "مشكلة الشباب".

وبالنسبة لأولئك الذين يريدون فهم ما يحدث للشباب فى الوقت الحاضر، فليس مسموحاً أن تأخذ هذه الأحداث بقيمتها السطحية أو على الأقل نقبل القيمة التى تعطى لها من خلال الاعلام. فالرأى الشعبى للشباب يحتاج إلى تدقيق وإمعان شديدين.

وعلينا أن نسأل أولاً إلى أى مدى يكون هذا صراع دائم بين الشباب والكبار .. ولا يمكن أن نعزو كل هذه الأحداث إلى تمرد شديد فبعضها يرجع إلى أن للشباب فى العديد من الأماكن قوة أكبر وأكثر فى الوقت الحاضر كما أن سلوكهم الشاذ يحظى بالقبول والشيوع فى معظم الأماكن.

وقد نتساءل عن نسبة الشباب المشتركين فى هذه الأنشطة الانحرافية المختلفة، وتبرز الإجابات المختلفة فى مناطق مختلفة ووفقاً للتقارير، فإن الملايين من الصغار الأمريكيين يعتادون شرب المرطبات، ولكن فى معظم الجامعات البريطانية، نجد أن أقلية من الطلاب فى مرحلة التخرج هم من النشطين سياسياً. وبالطبع وفى عصر الإعلام والاتصال الكبير، نجد أن السلوك الانحرافى يحظى بنوع من الدعاية. وعلى الرغم من الحقيقة التى مؤداها أن أقلية من المنحرفين يمكن أن يشكوا تهديداً للمجتمع، فإن الغالبية العظمى من الصغار فى بريطانيا والدول الأخرى يكتفون بالتنشئة: فهم يتعلمون ويذهبون إلى العمل ويتزوجون ويكونون عائلة.

وإهتمامنا الرئيسى هنا هو تجنب التفكير المشوش المستمر الخاص بمشكلات الشباب حيث تتجمع الأشياء المتشابهة معاً رغم اختلافها فى الواقع، وحيث تتعرض جماعات بأكملها من الشباب للاتهام والمقاضاة نتيجة لسلوك الأقلية.

وبصفة خاصة، فنحن نريد أن ندحض الفكرة التى مؤداها أن أى سلوك غير مُرضى لأى صغير يمكن وصفه فى ضوء الفرد أو حتى العائلة والأخلاق. ويبدو كما كان لكل حدث جانح جرعة إضافية من الخطيئة الأصلية. ونجد أن السلوك

الفردى يتكون من التكيف الاجتماعي والاختيار الفردى، و مع وجود هذا العامل فى جميع الحالات، فإنه يعتبر عاملاً بارزاً فى تجربة الشباب.

وفى هذه الدراسة، نتجه بعد ذلك لتناول المزيد من التفاصيل عن إتجاهات الكبار والشباب. ويكفى أن نقول أن هناك عجزاً عن التفكير السديد بخصوص موقف يهم العديدين منا. فمن ناحية، قالت إحدى الطالبات لأحد المؤلفين ذات مرة أنه لشئ طيب أن نرى الشباب يحتجون بخصوص أى شئ لأن ذلك أوضح أنهم لم يكونوا راضين عن أنفسهم. وبالتأكيد فإن كل شئ قد إعتمد على صدق القضية التى احتجوا من أجلها ... وعلى الجانب الأخر يوجد من هم أكبر سناً والذين يحملون فى عقولهم صوراً ثابتة عن كل الشباب الذين يكونون فى حالة ثورة دائمة ضد من يكبرونهم سناً وضد بلدهم.

وما نتحدث عنه من الناحية السوسيولوجية هو الإغتراب Alienation. فالمعنى اللغوى لكلمة "منفصل" أو "منعزل عن" يعبر عن القصد أو النية. ونجد أن إغتراب الشباب يعنى سلوكهم الذى لا يكون وفقاً لنمط عام والذى قد يبقى ثابتاً وإن كان قد لا يتمتع بذلك الثبات فى أوقات التغير الاجتماعى السريع. "فالمغتربون" الصغار "يتصرفون بطرق قد تكون متوقعة كأن تمثل إهانة أو إحراج لباقى المجتمع.

ولتوضيح فكرتنا بخصوص هذا الموضوع، فأن هناك نوعاً من التقارب فى الموازنة بين الفكرتين وإعتبارهما واضحتان ولكنهما يُهملان، فى الأماكن التى يتجمع فيها الناس لكى يتحدثوا عن أحداث عصرنا.

وليست كل أشكال إغتراب الشباب سيئة بالضرورة، حيث تحدث مواجهات عندما يستطيع الشباب أن ينظر نظرة جديدة إلى المجتمع، ويمكن أن يُدينوا الحلول الوسط والتناقضات أو الوان النفاق التى تعلمها من هم أكبر سناً واعتادوا قبولها وأصبحوا راضين عنها. وفى عام ١٩٦٨ قامت مجموعة من الدارسين فى برمنجهام بمسح إجتماعى، وأنتهوا منه إلى أن حياة العديد من كبار السن يهددها الفتور. بدون هذا البحث ما كان من الممكن معرفة الحقائق عموماً. فالشباب على

أفضل الظروف يمكن أن يسأل سؤالاً مدمراً: "لماذا"؟ فالأمة من خلال شبابها قد تكون لها طاقاتها المتجددة وأن تنقذ نفسها من الكسل ومحاولة تقليد الغير. والنقطة الثانية هى عدم تجميع كل تعبيرات إغتراب الشباب كما لو كانت متماثلة مع العودة إلى نفس العوامل الاجتماعية والدوافع الفردية. وفى الواقع فإن هناك عدة طرق يمكن تجميعها بها. وسوف نكتفى الأن باقتراح تقسيمات مؤقتة من خلال القيام بمناقشة أكبر فى هذا الكتاب الذى يتناول العديد من جماعات الشباب.

أولاً: إن هناك سؤالاً محيراً يتعلق بمدى كون الكثير من السلوك الأغترابى للشباب مضادا للثقافة ومدى اعتباره بمثابة ثقافة فرعية. ويشير الأمر الأول إلى معارضة ما يفعله الكبار ويتضمن العكس دائماً. وأحد التعليقات فى هذا المجال تتمثل فى أن المراهقين يرفضون تسريحات شعر الكبار لأن هذا أمر هام بالنسبة للكبار، ولكن تصويتهم لن يختلف عن تصويت الكبار الذين يعتبرون التصويت أمراً غير هام. فالثقافة الفرعية تشير إلى نمو أسلوبهم الخاص فى المعيشة (الملبس – الموسيقى – الترفيه والعلاقات) لأنهم يحبون أن يسلكوا ذلك الطريق ويتعرضون لضغوط للإمتثال من جانب معاصريهم. التمييز هنا ليس مجرد تمييز أكاديمى. وبالنسبة للعديد من البالغين قد يكون من المفيد أن نقول الآتى: "لأن ذلك الشباب لديه شعر طويل يصل إلى كتفيه مثل عازفى موسيقى البوب ويرتدى بنطلون جينز غير نظيف ... وعلى الرغم من وجود كل ما سبق، فإن هذا لا يعنى أنه لا يجتهد فى دراسته أو يجتهد فى مكان عمله ولا يكون مخلصاً لصديقه أو أنه لن يستمر كعنصر نافع فى المجتمع: زوج طيب وأب وعامل مثابر مخلص ومواطن محترم، إذا استنتجت ذلك فإنك مخطئ بلا شك!

ثانياً: وحيث ينشأ الاغتراب من كراهية الحياة فى المجتمع وحيث ولد الشباب، فإنه يمكن الوصول إلى تمايزات أخرى تتمثل إحداها من الرافضين أو المعترضين إجتماعياً ويتمثل الآخر المرفوضين إجتماعياً. ويتم استخدام الأول للإشارة إلى الذين يحكمون على مجتمعهم بأنه معيب بشكل أو بآخر ويريد أن يغير نفسه. ويوجد هؤلاء بين صفوة المفكرين والطلاب. وتمثل فئة الـ Provos فى هولندا والتى ظهرت منذ سنوات قليلة، تمثل مثالاً جيداً. فقد كان هؤلاء هم الشباب

الهولندى المتعلم الذى حاول عن طريق الوسائل العبقرية أن يعالج الاعتلالات والمظاهر المرضية حسبما رآها فى مجتمعه. وذات مرة قام هؤلاء الشباب بطلاء بوابات كل المصانع فى المدينة باللون الأبيض والتى قامت بترتيبات للإسهام فى المنطقة معدومة الدخان. وعلى العكس من ذلك، فإن المنبوذين إجتماعياً أقل تناسقاً وتنظيماً من الناحية السياسية، وهم يشعرون بأن الحياة خذلتهم. وقد أسهمت العمليات التعليمية ذاتها بتوجيه رسالة مؤداها أنهم مواطنين من الدرجة الثانية، وحيث أن المكانة تقاس بالمهارة والتى تتجلى -بدورها- فى شهادات ومؤهلات ودرجات،نجد أنها تحتل مكانة أدنى. وقد يقرر الصغار فى هذه المجموعة أن يسلكوا طريقاً خاصاً عن طريق أفعال الجنوح وتخريب الممتلكات وممارسة السلوك الهدام للمجتمع. وفى المجتمعات الصناعية الحديثة، نجد أن عدداً كبيراً من الجانحين الأحداث يمثلون الفاشلين تعليمياً.

وهناك شكلاً أخر للتقسيم تمت إستعارته من روبرت ميرتون R. K. Merton.[٢٨] وفى وصفه للشذوذ عن المعيار على المسرح الأمريكى، يذكر ما مؤداه أن هناك أهدافاً مقبولة إجتماعياً أو أهدافاً لكل شخص، ولكن ليس هناك وسائل مقبولة إجتماعياً لكل شخص لتحقيق هذه الأهداف. وقد يكون الأمر صعباً بما يشبه المستحيل إذا وُلد الإنسان زنجياً فقيراً .. وفى هذا الصدد يذكر ميرتون خمسة طرق قد يستجيب بها الأفراد للشذوذ عن المعيار، يهمنا منها هنا اثنتين. فقد يأخذ الأفراد إتجاهاً إنسحابياً أو تراجعياً، ومن أمثال هؤلاء مدمنى العقاقير والهيبز واصحاب النزعة الفردية individualists أو من يعيشون عالة على المجتمع Hoboes والفوضويون والعدميون الذين ينادون بوجهة نظر مؤداها أنه لا يوجد أساس للقيم والمعتقدات Nihilists أو قد يرغبون فى قبول بعض الأشياء فى مجتمعهم ويغيرون أخرى عن طريق الأساليب الإقناعية – وهؤلاء هم الثوريون البنائيون ... وتعد هذه القائمة مرضية لأنها لا تحقق عدالة كاملة لهؤلاء الثوريين الذين يريدون تدمير المجتمع لكى يبنوا مجتمعاً آخر، ولكن يمكن أن نتعرف من خلال تقسيم ميرتون على الثوريين الصغار الذين نعرفهم.

وبالطبع فإن أى من هذه الأقسام لا تكون مطلقة أو يتعين تطبيقها بشكل

دقيق، وإنما هى مجرد أساليباً لمساعدتنا على تنظيم العديد من الحقائق فى عقولنا التى قد تبدو غير مترابطة لأول وهلة. وفى مواقف الحياة الحقيقية فإن الأمريكيين أكثر تعقيداً مقارنة بالمقولات التى تلتزم جانب الحرص عند إبتكارها. ونجد هنا أن الجرائم الصغيرة قد تكون دوافعها سياسية. وقد تعمل مسيرات الاحتجاج على إرضاء الحاجات الوجدانية. وهناك خيطاً رفيعاً بين الرافضين والمرفوضين إجتماعياً. ولنرى مثلاً التحالف بين الراديكاليين السياسيين والهيبز فى كاليفورنيا. ومن أجل التعاون كان على الفئة الأولى أن تتخلى عن جزء من تزمتها وتشددها وتتبنى مذهب اللذة إلى حد ما. أما الآخرون فكانوا مجبرين على التظاهر بالاهتمام بعلم السياسة.

وليس هناك زعم بأن هذه الفئات سالفة الذكر تتصف بالشمول وإنما تعتبر بمثابة حافز على التأمل. ونجد أن مشكلة الشباب أو إغترابهم يعتبر موضوعاً يستحق الكثير من الفكر الواعى بشكل يفوق تصورنا عادة. وقد كان هناك مركز شبابى غير عادى فى غرب برلين إلى أن تم إغلاقه بواسطة سلطات المدينة منذ سنوات. وقد تم بناؤه لحساب الجناح السياسى المنشق للمراهقين الذين إحتلوا حجراته الأربعة لمدة ثلاث ليالٍ إسبوعياً وتجمعوا فيه. وقد أمكن للمرء أن يرى عبر إحدى حجراته المليئة بالدخان، شباب ينشدون أغانٍ سياسية من جميع انحاء العالم ونسمع أغانيهم الإحتجاجية، وقد استمر تبادل الأراء السياسية الشديدة. ولأول وهلة كان هذا يبدو معبراً عن مجموعة من الشباب يحتضنهم جناح سياسى منشق. ولكن المعرفة الأعمق كشفت عن أنه كان هناك ثلاث جماعات متعارضة. فقد كان هناك الفوضويون الذين كان يحترمهم الرئيس ماو Mao وكان هناك أنصار اليسار الذين أرادوا أن يغيروا مجتمعهم بوسائل ديمقراطية، وكان هناك دارسون أكبر سناً من مدارس اللغات الذين كانوا يحتجون ضد الأساليب التسلطية لمعلميهم، وما كان يبدو للوهلة الأولى لكتلة قوية من المنشقين قد ثبت بعد فحص أدق أنه مجرد أجزاء متناثرة.

وملخص هذا الفصل

-إن التغير الاجتماعى يحدث فى معظم المجتمعات ويؤثر على حياة معظم الأفراد.

-إن التغير الاجتماعى يؤثر على حياة الأفراد بشكل أكثر عنفاً: الكثير من التغيرات تتضمن القيم بشكل سريع.

-إن الشباب الذين لم يعودوا صغاراً ولكنهم لم يصبحوا بعد كباراً، يعتبرون أكثر الأفراد تأثراً بالتغير الاجتماعى فى المجتمع.

-إن المجتمع الذى يسوده الحراك يمنحهم قوة وحرية أكثر، ولكن مع دعم وتوجيه أقل.

-فى ظل الظروف الحديثة، نجد أن التغير الاجتماعى السريع يرتبط بالوقائع الأخرى التى تؤثر على حياة الشباب مثل التغيرات التكنولوجية والإعلام والتحضر وأسلوب الحكم القائم على الجدارة والمكافآة meritocracy.

-إن أجهزة التنشئة مثل المدرسة والبيت والكنيسة تعتبر بطيئة فى الاستجابة للتغير، فهى لا تستجيب بسرعة لدعم الصغار فى ظل موقف جديد.

-وهنا، وفى أوقات التغير الاجتماعى السريع، يوجد نوع من الإغتراب والذى يأخذ عدة أشكال بما فى ذلك ثقافة الشباب والجريمة وتناول العقاقير والاحتجاج السياسى.

الهوامش

١-قامت شركة راوندهاي بارك لاين Roundhay Park line بافتتاح خط القاطرة الكهربائي في عام ١٨٩١، وكان آخر وأحدث ترام في لندن في عام ١٩٥٢.

٢-إن الوثائق التعليمية الرسمية في بريطانيا التي كانت توجد خلال القرن التاسع عشر يمكن أن تكشف عن مدى تعلم الأطفال، بينما نجد أن ذلك يحكمه السر والمقدرة في القرن العشرين.

٣-وقد قام الكاتب مؤخراً بفعل ذلك في شيفيلد Sheffield حيث ولد وعاش جزءاً من حياة البالغ بين عامي ١٩٤٢-١٩٤٦. وقد مشى من تاون هول Town Hall خلال الطرف الشرقي (حيث كان يعمل فيما مضى) على طول "أتركليف" Attercliffe وحتى فيما وراء محطة تنسلي Tinsley الرئيسية، وهي مسافة تصل إلى خمسة أميال. وكانت التغيرات الملحوظة على مدى عشرين عاماً هي إختفاء ترام شيفيلد الشهير وإستبدالها بالباصات وإغلاق دور السينما والكنائس مع بقاء البيوت العامة وإخلاء المنطقة نسبياً من السكان. وقد كان هناك مجتمعاً متكاملاً في تنسلي وكان يبدو مقدماً على منبع الطريق السريع. وكانت تجربة مثيرة لأنه كان قادراً على إعادة النظر بشكل اعمق والتأمل في الفترة التي كان فيها ينمو في شيفيلد في مرحلة الطفولة .. وهكذا قام بقياس التغير الاجتماعي في فترتين. وفي فترة سابقة، كان شارع بوند Pond متاهة بين عدة شوارع صغيرة وكانت المنطقة بأكملها تشتهر بالجريمة والعنف، اما الآن فقد هدمت المنازل بأكملها ودمجت المنطقة في إطار خطة تطوير المدينة، فمن شارع نورفولك Norfolk يمكن للمرء أن يرى حشيش أخضر يكسو الأرض.

٤-هذا كله، على الرغم من أن القليل -نسبيا- قد نشر عن هذا الموضوع.

٥-ومثلما يوجد تنوع في الأبنية الاجتماعية، فإن هناك تنوعاً في مبادئ التغير التاريخي: رايت ميلز: الخيال السوسيولوجي، C. Wright Mills, the Sociological Imagination, oxford university press, 1959, p. 150.

٦-إننا -على الأقل في المجتمعات الحديثة- سوف نبحث أحد نتائج سيطرة التكنولوجيا في فترات قليلة (وبخاصة تأثيره على سرعة التغير الاجتماعي).

٧-وبسبب تساند عناصر المجتمع، فانه من المحتمل أن يسبق التغير في أي نقطة واحدة، التغيرات في مكان أخر: إيلي تشينوي، المجتمع، مقدمة لعلم الاجتماع:

Ely chinoy, Society: An Introduction to Sociology. Random House, 1967, P.74.

٨-هذا على الرغم من انه العامل الوحيد للتغير الاجتماعى السريع: إستثناء واحد ملحوظ وهو الغزو، وعموماً فإن الإسرائيليين قد جلبوا بعض الابتكارات التكنولوجية إلى كنعان ولكن يبدو كما لو كانت أرض كنعان لم تعد لوضعها المألوف.

٩-كينيث كينستون، التغير الاجتماعى والشباب فى أمريكا:

Kenneth,, Keniston:, "Social change and youth in America:, youth: change and challenge, ed. Erik H. Erikson, Basic Books, 1963, P. 168.

١٠-فى قصيدة ستانلى هولواى Stanley Holloway الروائية، نجد أن الأسد يبتلع ألبرت رامسبوتوم Albert Ramsbottomوعندما تثار مسألة التعويض، فإن مسز رامسبوتوم تسأل السؤال الأتى: كم تدفعون عادة؟

١١-إن هناك قصة مؤداها أن مجموعة من اليهود اليمنيين لم يكن من السهل إقناعهم بركوب الطائرة التى ستقلّهم إلى إسرائيل لأنه لم يرد شيئاً عنها فى النصوص المقدسة: وقد أشار أحد موظفى الهجرة الاسرائيلين إلى نص فى كتاب الرسل الذى يتضمن وعداً بأن يعود أطفال إسرائيل إلى القدس على أجنحة النسور، وبهذا التأكيد ركب المهاجرون الطائرات.

١٢-وهناك نظرة مقبولة مؤداها أن المكانة هى بمثابة وصف لوضع إجتماعى، والدور يعتبر سلوكاً ملائماً لتلك المكانة. وهكذا فإن الأب هو بمثابة المكانة، والدور هنا هو السلوك الذى نعتقد أنه ملائم للأباء. وتركز المكانة على الحقوق، بينما يركز الدور على الواجبات.

١٣-وإن كان ذلك يعتبر أمراً محيراً، حيث لا يمكن التمييز بسرعة بين المراهقين من الذكور والإناث.

١٤-وأولئك الذين يتبنون وجهة نظر معارضة للمجتمع الانسانى لا ينكرون أن هناك نوعاً من التقبل فى العلاقات الانسانية أو التناوب فيها مع وجود إجماع من نوع ما. والقّراء المهتمين بهذا الموضوع عليهم أن يقرؤا معالجة له فى كتاب بيتر ورسلى Peter Worsley الذى يحمل إسم "تقديم علم الاجتماع: Introducing Sociology, Penguin Books, PP. 373-392.

15- Bernard D. Davies and Alan Gibson, the Social Education of the Adolescent, university of London Press, 1967, P. 64.

16- Ely Chinoy, op. Cit., p. 364.

17- J.B. Mays, the young Pretenders Michael Joseph, 1965, P. 19.

18- CF. The Autobiography of Bertrand Russell, 1872- 1914, George Allen & unwin, 1967 – 1968.

19- Kenneth Kenston, op. Cit., P. 169.

20- Keniston, ibid., P. 169.

-وإذا تابعنا الرأى لجذوره المنطقية، سيتضح أن صفوة الشباب الذين يواصلون تعليمهم الأعلى هم الذين سيكونون أكثر تأثيراً فى هذه الجماعة العمرية وبالتالى بتمرد الطلاب.

21- E. M. and M. Eppel, Adolescents and Morality, Routledge & Kegan paul, 1966.

٢٢-وهذا هو الرأى الرئيسى الذى تم تأييده من خلال كتاب:

- S. N. Eisenstadt's, From Generation to Generation, collier – Macmillan, 1964.

23- The youth Service in England and wales, (Albemarle Report), HMso, February 1960. Paragraph 68.

24- David Matza, "Subtlerranean Traditions of youth; in Annals of the American Academy of political and Social Science, November 1961, pp. 102 – 118.

25- Bryan Wilson, :الجزء التالى مقتبس من كتاب

The youth culture and the universities, faber, 1970. Chapter 1.

26- J. B, Mays, op, cit.

٢٧-لقد نظر البرت كوهين Albert Cohen إلى مسألة البحث عن المكان كسبب لإنحراف الأحداث فى الولايات المتحدة، حيث يجد الأولاد المنتمين للطبقة الأدنى الكيان والأهمية فى الأنشطة الاجرامية: CF: Delinquent Boys; the culture of the

Gang, collier – Macmillan, 1955.

28- R. K. Merton, Social theory and Social Structure, Collier – Macmillan, 1957.

•إقتراحات للمزيد من القراءة:

•التغير الاجتماعى والتغير الاجتماعى السريع

1-Davis, Kingsley, Human Society, Macmillan, 1948, chapter 22.

2-Johnson, Harry M., Sociology: a systematic Introduction, Routledge & Kegan Paul, 1961, chapter 22.

3-Linton, Ralph, the study of Man, Appleton – Century, New York, 1936, chapters 18, 19.

-(وهذه التوصيات الثلاث الأولى تتعلق بالفكر السوسيولوجى عن موضوع التغير الاجتماعى، وما يلى يتعلق بأوصاف المجتمعات حيث نستطيع أن نرى آثار التغير).

-Briggs, Asa, Victorian Cities, Penguin Books.

-Cecil, David, Lord M or the Later life of lord Melburne, Constable, 1965.

-Central Advisory Council for Education, Half our Future (Newsom Report), HMSo, 1963.

-Frankenberg, Ronald, Communities in Britain, Penguin Books.

-Trevelyan, G. M., Social History of England, Penguin Books.

•أثر التغير الاجتماعى السريع على المراهقين:

4-Eisenstadt, S. N., From Generation to Generation, Collier – Macmillan, 1964, Cgapters 1, 4, 5.

5-Eppel, E. M. and M., Adolescents and Morality, Routledge & Kegon Paul, 1966, Part 1.

6-Erikson, Erik H. (ed), youth: change and challenge. Basic Books, 1963.

7-Bettelheim, Bruno, "the problem of gemerations", (chapter 4);

8-Goldberg, Arthur J., "Technology Sets new tasks' (chapter 6);

9-Keniston, Kenneth, "Social change and youth in America' (chapter 9).

10-Erikson, Erik H., Identity: youth and crisis, Faber, 1968.

11-Milson, Fred, youth work in the 1970s, Routlede and Kegan paul, 1970, chapters 1-3.

12-Musgrove, F., youth and the Social order, Routledge & Kegan Paul, 1964, chapter 7.

13-Odlum, Doris, Journey through Adolescence, penguin Books, chapter 10.

14-Wall, W. D., the Adolescent child, Methuen, 1948, chapter 1.

15-Youth Service Development Council, youth and Community Work in the 70s (Fairbairn – Milson Report), HMSO, 1970, chapter 3.

الفصل الثالث

الشباب فى عدة دول

رأينا فى الفصل السابق أن التغير الاجتماعى السريع يؤثر إلى حد كبير فى حياة الناس ويعتبر المراهقون من أكثر الفئات تأثراً، ويجب مراعاة عدم المبالغة فى إبراز ذلك العامل الكبير عند محاولة فهم الشباب فى القرن العشرين. وحتى فى المجتمعات التى تتشابه بسبب تعرضها للتغير الاجتماعى السريع، فان هناك سمات مختلفة تؤثر على تجربة المراهق.

واهتمامنا الحالى يتعلق بتلك المتغيرات ... وفى سيرنا على ذلك الدرب فنحن نتابع تراثا كبيرا يرتبط بتاريخ الفكر السوسيولوجى والذى يعتبر سجلاً لمحاولات العلماء فهم المجتمعات الإنسانية وقد حدث عدة مرات أن طرح المفكرون نظرية كانت تبدو ذات معنى فى إطار تفسير مجموعة من الحقائق التى تبدو منفصلة، وكان هؤلاء العلماء النظريون يتمسكون بنظرياتهم التى حظيت بقبول شديد من جانب الآخرين، وقد تحولت هذه النظريات لفترة من الوقت إلى مذاهب غير قابلة للمناقشة بخصوص ذلك لموضوع، ولكن البحوث التالية أوضحت أنها غير كاملة وأنها فى حاجة إلى كثير من التعديلات والتوصيف، وهناك تفسير مختصر لذلك، فعلى مدى فترات طويلة من الزمان، كان مفترضاً أن الثورة الصناعية فى بريطانيا قد جردت العائلة من وظائفها وأن العائلة الحديثة المعزولة نسبياً كانت وحدة مميزة للمجتمع الصناعى.(١)

وإذا قضينا وقتاً قصيراً فى مجتمع حديث، قد نلاحظ عموماً سمات ملحوظة لوجهة نظر الآخرين وتوقعاتهم لسلوك الشباب وتعليمه، وهناك سمات بارزة لكيفية استجابة الشباب لهذه التوقعات: وفى إطار كل ذلك قد نجد أنفسنا فى محاولة للمقارنة بين ما نعرفه عن الشباب فى الدول الأخرى والشباب فى بلدنا.

وهذا هو الاجراء الذى نتبناه هنا، والأفكار التى سنعرض لها تمت فى ضوء ملاحظات المؤلف أثناء زياراته للعديد من البلدان لدراسة ثقافة الشباب، وهو يأمل

ألا يعوّل كثيراً على الخبرة الشخصية بشكل يفوق ما تستحقه، ولكنه يعززها في ظل آرائه من خلال ما كتب عن الشباب في هذه المجتمعات من جانب العلماء مع الخبرة الأطول في هذا الميدان.

إن التفسير السيكولوجي يبدأ غالباً ويستمر إلى حد كبير مع الملاحظة الواعية للسلوك، وبمعنى آخر فنحن نحاول فهم ما يحدث داخل الناس من خلال ما يفعلونه، وفي العادة نجد أن التفسير يكون سريعاً وخاطفاً. وإذا احمر وجه جارنا في إحدى الحفلات، فمن الممكن أن نعرف ما إذا كان هذا يمثل حالة داخلية أم إحساساً بالحرج والخجل من ناحية، أو الغضب من ناحية أخرى، وعموماً فان هناك عدة مؤشرات تساعدنا في ذلك.

ولذلك ومن خلال النظر إلى ما يحدث إلى الشباب في مجتمعات مختلفة ورؤية كيفية تفاعلها، فمن الممكن أن نتساءل عما إذا كان هذا يعطينا أية مؤشرات لتجربة المراهق في ذلك المجتمع بل وأكثر من ذلك، فان مدخلنا يأخذ اتجاهاً سوسيولوجياً، ومن خلال ذلك نطرح بعض التساؤلات:- هل توجد أية أنماط؟ هل علينا أن نقول أن كل البلدان مختلفة من هذه الناحية؟ أو هل يمكن أن نتابع التشابهات؟ هل يمكن أن نصف بعض الفئات أو المقولات التي تساعدنا في تنظيم المادة العلمية وأن ندرك ما يحدث- رغم كونها فئات تقريبية؟ وهذا يبدو ممكناً أو محتملاً.

وهناك تناظر كبير في هذا الجانب، إنه الجهد الذي يبذل في إطار التعليم الكلي للشباب لتحويلهم إلى مؤيدين متحمسين للنظام، وفي بعض البلاد، يجري تعليم الشباب مذهبياً في كل مرحلة كيفية الاتصال بمجتمعه، وهناك تعليم سياسي في المدرسة، كما تقدم له الدولة كثيراً من الدعم من خلال حركات الشباب التي تديرها الدولة والتي تلتقي في المدرسة والجامعة والمصنع وكذلك من خلال الصحف والمجلات والصور وبرامج الراديو والتلفزيون، وعلى العكس من ذلك، فان هناك دولاً حديثة لا تهتم كثيراً بضمان مشاركة الصغار في المجتمع وقد يكون ذلك بمحض المصادفة، وفي الديمقراطيات الغربية، يتم تقديم جزء ضئيل من

التعليم السياسى للصغار، وتعتبر المانيا الغربية من الاستثناءات القليلة فى هذا الصدد، ومنذ بضعة سنوات، شاهد المؤلف فى هامبورج، حادثة تفسير الفرق بين الموقفين، فقد تم عرض سلسلة من أفلام النظام النازى السابق على المراهقين، وقد تم ذلك فى إطار برامج التعليم السياسى فى أحد مراكز الشباب وقد شاهد الشباب صرر محاكمات نورمبرج Nuremburg، كما شاهدوا وسمعوا هتلر وهو يتحدث بشكل هستيرى، وشاهدوا جوبلز Goebbels خلال قيامة بالدعاية، وكان رد فعل الشباب إزاء ذلك هو الضحك، ثم سألوا الكبار قائلين: "هل أنتم أغبياء إلى الدرجة التى جعلتكم تنخدعون فى كل ذلك؟ وهم بذلك نشأوا فى عالم أخر ولم يستوعبوا ضغوط النظام النازى وكانوا غير واثقين فى العالم القديم.

وليس معنى ذلك إنكار مجال وقوى التنشئة الاجتماعية الضخمة فى مجال التأثير فى تلك المجتمعات التى ترفض النظام الشمولى. وكل مجتمع يقوم بتنشئة صغاره، والطفل الصغير الذى لا يمكن بطبيعته أن يفكر فى الآخرين، يجب أن يُحول إلى مواطن محترم (صالح) يدرك أنه لا يستطيع أن يملك ما يريده عندما يريده، ويدرك أنه سعادته مرتبطة بإسعاد الآخرين، ويجب أن يتصرف مثلما يأمل الآخرون وما يتوقعونه من تصرفاته، ويملك المجتمع العديد من الأجهزة لعملية التنشئة الاجتماعية، ويعد الوالدان أول تلك الأجهزة، كما تعزز المدرسة جهود الوالدين فى عمر مبكر من حياة الطفل، ويذهب الأطفال إلى المدرسة ليس لمجرد اكتساب المعرفة وإنما لمعرفة كيفية التصرف بطرق تجعلهم مقبولين فى مجتمعهم.

وقد أوضح شيبمان Shipman من خلال كتاباته عن التنشئة الاجتماعية فى المدارس أننا نتعلم هنا أو نعرف مكاننا فى الحياة، وإن كان لا يعنى بالضرورة أن مكاننا لن يتغير. وهناك أربعة عناصر أساسية لعملية التنشئة الاجتماعية فى المدرسة وهى.[٢]

١- تعريف واضح للسلوك الملائم.

٢- مكافآت للسلوك الملائم ثقافياً.

٣- العقوبات للتخلص من السلوك غير الملائم.

٤- التعرض لثقافة جديدة (فى المدرسة).

ولا تنتهى عملية التنشئة الاجتماعية بنهاية مرحلة الطفولة، ولكنها تأخذ اتجاهاً جديداً فى مرحلة التعليم الثانوى، وتتمثل فى ضرورة التخلص من الأشياء الطفولية التى صاحبت التعليم الابتدائى.

وفى جميع المجتمعات، وخلال السنوات الأخيرة من مرحلة المراهقة، تستمر الضغوط للامتثال، وإن كانت هذه الضغوط لا توجد فى المجتمعات الديمقراطية حيث يجرى إعداد المراهقين للعمل والقدرة على ممارسة الجنس والقيام بأدوار العائلة. ويمزج الوالدان والمعلمون والقادة الشباب وكتاب القصة بين القوى التى توجد فى بداية مرحلة المراهقة لكى يفسروا للمراهق ما يعنيه كون الإنسان رجلاً أو امرأة وكذلك مكافآت الأداء الناجح للأدوار ومن يمارسها(٣) فيمزجون بين كل ذلك وبين التنشئة الاجتماعية التى تستمر فى الدول الشمولية، وهناك فارق هام بينهما فى الدرجة وقد يصل إلى فارق فى النوع. ويجرى تنظيم التنشئة الاجتماعية والإقرار بها فى الحالة الأخرى وهى تستهدف المؤيدين المتحمسين للنظام. وهى تؤكد أن كل المؤثرات التعليمية فى حياة الصغار (البيت والمدرسة ومنظمات الشباب والأعلام وحالة العمل) كلها تعكس شيئاً واحداً، فهى تركز الاهتمام على الأهداف الشاملة مثل صالح الدولة وليس التنمية الفردية فقط.

وقد أوضح أيزنشتات Eisenstadt أنه يوجد فى الدول الحديثة ثلاثة أنماط من جماعات الشباب أى الاتحادات الشبابية التى تقوم على أساس مجتمعات المراهقين وهى:

١- المدرسة.

٢- جماعة الشباب التى يشرف عليها الكبار مثل جماعات الكشافة أو مراكز الشباب التى تشرف عليها الحكومة.

٣- جماعات الشباب التلقائية التى تنمو بدون تدخل الكبار عندما يقرر الشباب القيام بأنشطة منتظمة.

والجدير بالذكر أن النمط الثالث يوجد في الدول الديمقراطية اكثر من الدول ذات الأنظمة الشمولية، فهناك تكون الضوابط الاجتماعية أقوى ويحظى التعليم الاجتماعي باهتمام أكبر ولا تترك مشاركة الجيل الصاعد في المجتمع للمصادفة.

و نجد أن المندوب Delegate وجزيرة الكمسمول Komsomol Island فيلمين تعليميين أحضرتهما معي عند عودتي من زيارة لروسيا. ويمثل الفيلم الأول قصة جذابة لولد صغير يدعى اليوشا Alyosha ، وقد زعم أمام مجتمع إقليمي أن مجموعته أمسكت ثلاثين ألفاً من القوارض، بينما نجد أنها في واقع الأمر أمسكت ثلاثة آلاف فأر من الفئران التي تدمر المحاصيل، وتم نشر هذا الحديث في الصحف في "ابراكسنيو" Apraksino، وأصبح "اليوشا" في وضع حرج بسبب تباهيه وكذبه. ولكن تلك المجموعة ككل قامت بمساعدة الأكبر سناً بما في ذلك الأجداد ومدير المزرعة الجماعية- في إمساك ثلاثين آلفاً من القوارض وبالتالي عملت على حماية شرف الرواد الصغار ومساعدتهم في عملية الحصاد هذه، والأمر الذي يعكسه هذا الفيلم هو شيء أخلاقي بالدرجة الأولى. فمن خلاله يتعلم الصغار أن لديهم مسئولية خطيرة وأن هناك عنصرين هامين وهما قيمة الجهد التعاوني وأهمية الأخذ بنصيحة الكبار ومساعدتهم.

ويستهدف فيلم جزيرة "الكمسمول" الجماعة العمرية من ١٥-٢٨ عاماً، وهو يتناول مجموعة من الشباب الذين تطوعوا بقضاء فصل الشتاء على جزيرة في القطب الجنوبي للقيام بأحد البحوث العلمية، ولكن الطائرة التي كانت تجلب لهم المؤن تحطمت فوق الثلوج، وقيام ستة من العباقرة من أعضاء الكمسمول بالتكيف مع ذلك الموقف وحاولوا استخدام بعض أجزاء الطائرة المحطمة، وكانت خدمة المجتمع فكرة سائدة طوال الفيلم مع التركيز على المعرفة الفنية والمهارة ومرافقة العمال الشباب وكذلك الإحساس بقيمة الممتلكات في دولة العمال ... وفي نهاية الفيلم يبدو منظر ستة من أعضاء الكمسمول وهم يقفون فوق الثلوج.

ويشعر المرء منا أنه يجري التعامل مع الصغار بطريقة غير معتادة، فالدعاية هنا بسيطة وساذجة، ومع ذلك فان المؤشرات هنا مؤداها أن الشباب

الروس يهضمون هذا الغذاء الايديولوجي. فقد سافرت ذات مرة بعربة إلى كييف Kiev (مدينة روسية) مع طالب صغير كان يتحدث الإنجليزية، فقلت له معلقاً: "إن لديكم مدينة جميلة"، فرد على كلمتى هذه بمحاضرة حماسية استغرقت عشر دقائق وانهالت علىّ إحصائياته عن عدد المنازل الجديدة التى تم بناؤها فى العالم الماضى، وكذلك عدد الكتب التى تم استعارتها من المكتبة العامة. وقد كنت مشاركاً فى حلقة دراسية فى جامعة موسكو، وفيها أكد لى قائد شاب للكمسمول أن الطلاب ليس لديهم رغبة فى إنتقاد ماركس ولينين والدولة عموماً وكذلك والديهم، ومع ذلك فقد تلقيت رسالتين إحداهما من شاب أكد لى أن الطلاب فى موسكو مماثلين للطلاب الآخرين فى شتى انحاء العالم، والأخرى من موظف فى الحزب، وقد زادت حدة النقاش بينى وبين قائد الكمسمول، وإن كان احساس كل منا بالغضب قد تأخر بسبب انتظارنا للمترجم. وقد إعتذر موظف الحزب لأن الشاب بدا عليه الغضب، فأجبت قائلاً: "لا بأس إننى أحب أن أسمع الناس يتحدثون بحماس عن آرائهم "لكننى لم أوافق على الكثير مما قاله. فكانت إجابته على كلامى :"أنه كان محقاً فى آرائه ولكنه كان مخطئاً فى غضبه.

وليس هناك شئ خفى بخصوص هذا التعلم المذهبى للشباب، فهو شئ معترف به، كما أنه ينبع من أفكار وآراء تم وضعها فى الوثائق الروسية الرسمية.(٤)

ومن ناحية أخرى، نجد أن الصغار يعيشون فى نفس الجو الايديولوجى فى الدول الشيوعية الحديثة الأخرى، فقد أخبرنى قائد شاب فى شرق برلين بأن الهدف هو أن تتحدث الجهات الحكومية بنفس الأسلوب مع الصغار.

وقد علقت فتاة من برلين الشرقية على كلامى قائلة بحزن: "هذا هو المكان الذى ينتهى فيه عالمى". وقد تم إخطار فتاة معروفة فى برلين الغربية – وكان لها سجل مشرف فى مدرسة اللغات– بأن لن يسمح لها بدخول المدرسة الطبية فى الجامعة ما لم تنضم إلى حركة الشباب الألمانى الحر" وهى الحركة التى رفضت تلك الفتاة أن تنضم إليها نتيجة لمعتقداتها الخاصة، والواقع أنه حدثت مؤخراً درجة

من الليبرالية نتيجة لنظام الاتصال الدولى لثقافة الشباب، وحتى ذلك كان يحدث بطريقة كوميدية. وعلى الرغم من السماح بإدخال أغانى شعبية من العالم الرأسمالى، إلا أن التركيز الرئيسى فى كل أشكال التعليم هو على الالتزام بالماركسية والارتباط بالمجتمع، وفى جبال المجر، وخلال شهور الصيف، فإن المرء يمكن أن يرى الأولاد الأكبر سناً وهم يعملون فى السكك الحديدية، وهذه تعتبر بمثابة مكافأة لهم على إجتهادهم فى المدرسة خلال العام الدراسى.

وكانت هذه تفسيراتنا حول بلاد تقوم السلطات فيها بغرس مذاهب اقتصادية وسياسية فيهم، ولا شك أننا استطعنا أن نجد نماذج للحياة الطيبة يتم النظر إليها على أنها خدمة لنموذج قومى. وقد ثبت أن هذه النماذج أكثر شيوعاً فى القرن العشرين، وليس من الممكن الفصل بين القضايا الاقتصادية والسياسية التى يُضحى الصغار بأنفسهم من أجلها. ونحن نهتم هنا فقط بالتعرف على المجتمعات التى يتمثل هدفها فى ضمان ولاء الجيل الصاعد لمذهب محدد بدلاً من إرتباطه بنموه الفردى الشخصى.

ونحن الآن فى حاجة إلى بعض الوقت للمقارنة بين ما سبق ذكره وبين ما يحدث فى العديد من الدول الأخرى. فنجد مثلاً أن أقوى الضغوط على الصغار فى هونج كونج تنبع من والديهم الذين يريدون منهم الجد والمثابرة فى المدرسة لكى يحصلوا على مكافآت مجتمعهم مثل تمكينهم من الالتحاق بمهن معينة أو الالتحاق بأحد وظائف ذوى الياقات البيضاء، وليس هناك جهود لاقناع معظمهم بخدمة قضايا معينة. وفى العديد من القرى الجبلية فى جامايكا، لا يجد المراهقون مشاكل بخصوص أن تضمن السلطات هناك تعاونهم بشأن قضايا معينة، ولا يوجد من يهتم بهم رغم أن بعض الأجهزة تحاول ذلك ولكنها تفتقر إلى وسائل لذلك.

ونجد أن المجتمع الامريكى يقدم لشباب الطبقة الوسطى هناك رسالة هامة وهى:

"تمتعوا بوقت سعيد، إنكم تعيشون مرحلة الشباب مرة واحدة (فمرحلة الشباب لا تتكرر) ... وهذا المجتمع هو مجتمع إستهلاكى.

وفى بريطانيا يكره الشباب أى محاولة لفرض آية مذاهب عليهم وخصوصاً بين المتعلمين، وهذا لا يعنى إنكار وجود تعليم دينى إجبارى فى المدارس بخصوص الذين لا يتأثرون بقيود والديهم، ولكن ما هو أكثر أهمية هنا هو التغير العميق الذى يأتى فى صورة تعليم دينى ويتم نشره فى صدر الكتب التى تتناول الموضوع الذى يسبق التغير فى الممارسة،(٥) ونجد أن التغير هنا يكون من تعليم المذهب إلى تشجيع الخبرة الدينية، كما نجد أن للمفهوم السيكولوجى فى التعليم قيمة أكبر من الصواب الدينى، وعلى أنه يتعلق بالعثور على الإله فى قلبك وليس فى السماء، كما أن للحياة أهمية أكبر من المذاهب أو النصوص الدينية.

وعلى الرغم من أن ذلك يعتبر تطوراً حديثاً، إلا أنه يتسق مع الأفكار المثالية للناس المرتبطين بمهنة التعليم، ونجد أن المادة رقم ٣٦ من مادة التعليم، الصادر عام ١٩٤٤ تعتبر نمطية ومؤداها، "من واجب والد كل طفل فى سن التعليم الإلزامى أن يحثه على تلقى تعليم جيد طوال الوقت ويكون ملائما لسنه وقدراته". ولا ترد فيها شيء عن مشاركة المجتمع، كما تعتبر النشرة الحكومية المسماة: "إعادة البناء التعليمى" نمطية أيضاً، فهى تبدأ بالتركيز على تعليم الطفل، وكان هدف الحكومة فى دعم الإصلاحات الواردة فى هذا المقال هو ضمان طفولة أسعد للأطفال وبداية أفضل للحياة مع ضمان قسط أوفر من التعليم وفرصاً للشباب وتقديم وسائل لكل الأفراد لتطوير قدراتهم الخاصة، وكذلك إثراء ميراث الوطن الذى ينتمون إليه.

ورغم ما جاء فى الفقرة السابقة، فان الجهود تركزت حول تنمية الفرد وليس صالح الدولة، كما أن الفقرة الأخيرة تدُهش أى متخصص تربوى فى الدول الشمولية نتيجة لضعف تلك الدول. وبالطبع فان هذه الوثائق الرسمية قديمة الآن، ومع ذلك فقد حلت محلها تلك التى تركزت على أثر التعليم على التطور الفردى، أكثر من تركيزه على الأهداف الجماعية، وتتضح هذه النقطة فى مقدمة لتقرير نيوسوم Newsom.(٦) والتى مؤداها: "أننا لا نقدم تبريرات للتوصيات التى تتضمن زيادة فى الإنفاق العام على التعليم المتوسط للطلاب، وأخذ دورهم المستقبلى الهام فى حياتنا اجتماعياً واقتصادياً".

ويجب أن نلاحظ أن الفارق بين المدخلين ليس مطلقاً، فالروس مثلاً قد يزعمون أنهم مهتمون بما يحدث لشبابهم كأفراد، ويبرهنون على ذلك بالفرحة التى تبدو على وجوه كبار السن فى أنشطة الشباب، وفى حالة الاستفسار عن ذلك نجدهم يؤكدون أن مصلحة الفرد تكمن فى الولاء للكل وأن نظامهم يعتبر هو الصحيح والصواب فى حين أن باقى العالم يرقد فى الظلام ... وعلى العكس من ذلك، فان البريطانى قد يقول أن وظيفة التعليم لا يتمثل فقط فى التنمية الشخصية ولكن فى إشباع حاجات المجتمع بالنسبة للأفراد المسئولين، ومعظم التقارير البريطانية تتضمن إشارات لشباب الأمة الذى يعتبر أكبر أصولنا.

وننتقل الآن إلى بحث جانب من الموضوع الذى أوضحنا خطوطه العرضية مرة أو اثنين خلال المناقشة. وعندما يكون لدينا تنشئة اجتماعية للشباب، بمعنى أنه يجرى بذل الجهود لتحويلهم إلى مؤيدين نشطين للنظام الحاكم، يتضح لنا عاملان رئيسيان فى هذا الصدد أولهما هو الإيديولوجيا أو النسق الفكرى وهو الذى يفسر حياتهم معاً والتى تتلقى الدعم الرسمى للحكومة والذى لا يمكن التسامح مع أى نقد بصدده ... والآخر هو توافر الموارد الكافية للوصول إلى برنامج المذهب فى الشباب Indoctrination of the young

فالايديولوجيا إذن تمثل عملية لا شعورية لإشراك الشباب فى محاولات دعم النظام مثل تلك التى نجدها فى روسيا والدول الشيوعية السابقة الأخرى ... ماذا تعنى لنا كلمة إيديولوجيا هنا؟ قد يقال أنها كلمة إنحرفت عن معناها الأصلى وهو علم الأفكار، ويرى كارل مانهايم K. Mannhiem فى تفسير شهير له بأنها "وصف طريقة ترشيد الطبقات الحاكمة لسيادتهم"، ويعكس مفهوم الايديولوجيا اكتشافاً واحداً برز من خلال الصراع السياسى ومؤداهأن الجماعات الحاكمة فى تفكيرها ترتبط بمصالحها الخاصة فى بعض المواقف حتى أنها لا تستطيع رؤية حقائق معينة تُفيد بتدهور إحساسها بالسيادة والسيطرة.(٧)

وتستخدم الكلمة بمعنى أقرب إلى الاستخدام العام، فالايديولوجيا هى وجهة نظر يتمسك بها الناس الذين يزعمون أن لديهم حقيقة لا تخصهم وحدهم ولكنها

تخص الآخرين أيضاً ولذلك يستخدمون كل الوسـائل المتاحـة لديهم لفرضهـا علـى الآخرين، كما أنهم يرأسون المناقشات المفتوحة التى تتناول مذاهبهم الفكرية. وفـى إحدى زياراتى للقطاعات القومية للكمسمول، أكد لـى موظـف كبير أن السلطات السوفيتية تؤيد زيارات شبابهم إلى الدول الغربية الديمقراطية وتشجع ذلك، فالشباب فى الدول الرأسمالية يمكنهم تعلم الكثير من الشباب السوفيتى، وقد طرحت عليـه سؤالاً مؤداه: "هل تعتقد أن الشباب السوفيتى يمكن أن يتعلم شيئاً من الشباب فـى الدول الديمقراطية الغربية؟

ولا يعنـى ذلـك أن الشـيوعين يمثلـون الجمـود الايديولوجـى، فيمـا يمثـل الأمريكيون رواد الحريـة الفرديـة، فـأى شـخص يتجـول فـى الولايـات المتحـدة وخصوصاً الواقعة جنوب خط ماسون ديكسون Mason – Dixon يدرك أن هناك إيديولوجيا كافية فى أجزاء من المجتمع الأمريكى، كما يتصـف بعض الأمريكيين بالغرابة مثل الروس ويبدو ذلك من خلال مناقشاتهم، حيث يعتقدون أن لديهم حلولاً لمشكلات السلالات البشرية المختلفة التـى تعمل فـى بلادهم، كمـا يـرون أن تلـك الحلول تصلح لكل شخص آخر، وبالتالى فهى صالحة للتصدير (وهـى هنـا تتعلق بالاقتصاد الحر وليس الماركسى) ولكن أليس هناك إختـلاف موضوعـى .. وعلـى الأقل فإن الايديولوجيا الأمريكية يمكن أن تخضع للفحص الدقيق والنقد والنقـاش فى بعض ولاياتها. وأياً كان الانطباع فإن العيوب الموجودة فى نظمهم الديمقراطية تواجهها أساليب للنقد الذاتى.

ويلاحظ الزائر لروسيا خلال جولاته واجراء المناقشات مع المسئولين هنـاك إنعدام هذه الأسـاليب. وفيمـا وراء هذا المدخل، يتوقـف رفـض إهمـال الـتراث الليبرالى فى التعلم وغيره على متطلبات أحد الايديولوجيات. فهل نقص هذا النـوع من الضبط لتفكير الشباب يتخطى الحقيقة التى مؤداها ان هناك طرقاً أخـرى أكثر عمقاً للسيطرة عليهم؟ وهل الحرية فـى هذه المجتمعـات لا تعـدو أن تكون أسـلوباً بورجوازياً حسبما يؤكد طلاب اليسار الجديد؟[٨] ونحن نعتقد هذا، وإن كان ذلك لا يعنى إنكار المحاولات السرية وغير المباشرة للسيطرة على فكر الشباب والحد من تمردهم، بالإضافـة إلـى وجود الممارسـات البيروقراطيـة فـى العمليـات التعليميـة،

ولكن يبدو أن المؤمنين بالايديولوجيا ينكرون أن هناك ذهباً حقيقياً يمتزج بنفايات المعادن ويتخلل التراث الليبرالى فى إطار النظرية والممارسة للتعليم الإنجليزى.

وقد ينطوى الأمر هنا على ابراز ما يكتب عن النظرية والممارسة التعليمية فقد كتب "نيل" Neill وهو شخصية بارزة فى التعليم الانجليزى – قائلاً: "عندما كنت شاباً، كنت أُلقّب بالمعلم اللامع، وكنت أقوم بكل العمل بدلاً من أن أترك الفصل ليقوم بالتدريس فيه أشخاص آخرون، وكان البعض يعتبروننى بيل جراهام مينج Billy Grahaming وكان السذج يصغون إلى الحقائق الهامة التى أعرضها عليهم بدلاً من أن يخبروننى بها، ومعظم المدرسين البريطانيين – وخصوصاً الشباب، كانوايتقبلون هذا النمط من السلوك وكل الذين يتصفون بالأمانة فى التعليم يمكن أن يصلوا إلى مثالية الشباب.(٩)

وعندما قال الدكتور هندرسون – المشرف الطبى فى وزارة التربية– للمعلمين أنه لا يعتبر الشباب من الجنسين الذين يخططون للزواج ويمارسون الاتصال الحنسى قبل الزواج، لا يعتبرهم فاقدين للعفة والشرف وإنما قد يعتبرهم مرتكبين لجرائم ضد المعايير المقبولة فى مجتمعاتهم. أثار هذا البيان عاصفة من الاحتجاج، ولكن وزير التعليم السير إدوارد بويل E. Boyle، دافع عنه فى مجلس العموم قائلاً: "إنه بمثابة حديث رجل جاد يهتم بالمشكلات الاجتماعية الحديثة ويهتم بكيفية مساعدتنا للشباب لغرس إحساس بالقيم لذاتها، ويبدو أن هناك مدخلاً له يجب أن يحظى بقبول وإعجاب هذا المجلس.

ويتمثل الجانب السلبى لهذا التراث فى إنعدام الإيديولجيا: حيث تقل الآراء التى ترى ضرورة فرض وجهة نظر معينة على الشباب، وإذا كان هناك مظهر لأحد الايديولوجيات فى بريطانيا، فإنها تتجلى فى الديانة المسيحية، ومع ذلك فإن المعلم الذى رفض تماماً التفسير المسيحى وهو برتراند رسل كتب يقول(١٢) أن السلطة هى شئ حتمى لا مفر منه، وما هو مطلوب هو الاحترام، فالرجل الذى لديه إحترام لا يقر أن واجبه هو بلورة الطفل فى قالب معين، فهو يشعر به ككائن حى، وفى الكائنات البشرية يوجد شئ مقدس وغير محدود وهو المبدأ المتزايد لحب الحياة.

وباختصار فإن التأثيرات التى يتعرض لها شباب زمن "التغير الاجتماعى السريع" يتم تعديلها فى تلك البلاد حيث توجد جهود مدعمة ومستمرة لإقناعهم بدعم النظام بشكل نشط. وهذه الأشكال للتنشئة الاجتماعية تعتمد على إيديولوجيا قوية إلى جانب ضعف التراث الليبرالى للتعليم. وقد تم تفسير ذلك من خلال عرض مثال بريطانيا ففيها لا توجد إيديولوجيا واضحة بالقبول والتوصيل وحيث يتمتع التراث الليبرالى فى التعليم بالقوة النسبية ويمكن توضيح ذلك من خلال الدول الحديثة الأخرى.

وتعتبر معظم الأنساق التعليمية إنسانية ووظيفيه فى ذات الوقت أى أنها تخدم الفرد والمجتمع، فهى تساهم فى كسب الرزق والإسهام فى ثروة البلد (وتعلم الحياة) وبالتالى التمتع بخبرات أكثر.

ورغم كل ما قيل، فإننا نقر بأن الفارق بالنسبة لمعظم الصغار بين كون الإنسان ينتمى إلى نمط أو آخر من أنماط المجتمع، وهذا لا يعتبر شيئاً هامشياً ولكنه يضيف الكثير إلى خبرات المراهقة.

والزائر لروسيا ومعظم الدول الشيوعية الأخرى يتأثر بسمة أخرى لحياة الشباب أى مستوى الإعداد لرفاهيتهم وتعليمهم فى المناطق الحضرية على الأقل، وفى هذا الصدد، فقد يحسد خبير تربوى غربى زميله فى الإتحاد السوفيتى على الموارد الكبيرة التى توجد تحت تصرفه. وهذا يتضح من خلال وجود الأبنية وقصور الشباب وقصور الرياضة وقصور الثقافة المختلفة. ففى موسكو على سبيل المثال يوجد قصر كبير للشباب يتطلب خدمات ٧٠٠ من القادة الشباب وهو ما يماثل العدد المستخدم فى كل إنجلترا ويلز فى عام ١٩٥٨ (وأتضح أن كل هذه القصور بنيت بالجهود التطوعية لأعضاء الكمسمول)، وبالإضافة إلى ذلك يوجد الكثير من الأدوات للعديد من الأنشطة التى تتيح العديد من الفرص للاستمتاع بالعطلات وإقامة المعسكرات.

ويعتمد نوع التنشئة الاجتماعية التى رأيناها فى روسيا، على إيديولوجيا معينه وكذلك على توافر الموارد لدعم المشروعات التى تستهدف إعداد الشباب

مذهبياً. وهناك بلاد أخرى فى العالم لا تهاجم فكر الشباب وتحاول تقويضه (وذلك رغم تأثير التراث الليبرالى فى التعليم)، فهناك الكثير من الناس فى هذه البلاد يشعرون بأهمية ذلك لأن هذا البلد قد حصل مؤخراً على حكم ذاتى ومن ثم الإحساس القوى بالكيان القومى الذى يتحتم توصيله إلى الأجيال الأصغر، ولكن نقص الموارد تعوق هذه العملية. والفارق البسيط بخصوص ذلك العنصر هو أن هناك بلاد فى العالم يوجد بها موارد، ولكنها ولأسباب معينة لا ترغب فى إستخدامها فى تعليم الشباب.

وتعتبر جامايكا مثالاً – من عدة جوانب- تفسر هذا الشكل من أشكال ثقافة الشباب، فقد حصلت على الحكم الذاتى عام ١٩٦٢، وبعد قرون طويلة من العبودية والإستعمار، فمن المهم أن نساعد الناس على إدراك كيان بلدهم وليس من الضرورى إحتقار الجهود الرامية لتحقيق هذا الغرض وقد كتب نشيد دينى قومى جديداً، كما تم تخصيص قصر ضخم فى كينجستون لإستضافة نماذج من ثقافة جامايكا القومية، وكان محور هذه المحاولات ونقطة إنطلاقها هى أن أفراد الجيل الصاعد يجب أن يفكروا فى أنفسهم كمواطنين ينتمون إلى جامايكا وليس كأفارقة أو كبريطانيين متحررين، ويجب بذل الجهود من خلال قنوات التعليم والإتصال لإقناع الجيل الأصغر بضرورة أن يكون فخوراً ببلده ويعمل بجد من أجلها، ولا شك أن هذه الجهود تعتبر ناجحة ولكن يعوقها نقص ملكية الأرض. ومنذ بضعة سنوات، كان يوجد مكان واحد لكل طفلين فى سن المدرسة الإبتدائية ومكان واحد منهم فقط لكل عشرة أفراد فى سن المدرسة الثانوية. ومعدل الرسوب فى المدارس الإبتدائية يعتبر مرتفعاً، وهناك عشرات الألوف من الشباب الذين يعانون من البطالة والجهل ويفتقرون إلى والد إجتماعى، كما يوجد العديد من الصغار فى القرى الجبلية فى فقر شديد، كما يوجد الآخرون فى الأحياء القذرة المزدحمة فى كينجستون الغربية، ويمكن قياس ثروة الدول بدقة عن طريق مهارات الناس التعليمية وليس عن طريق إمتلاك الموارد الفيزيقية، وحيث نجد أن المصادر الرسمية قد قللت معدل أميه الأفراد الذين تزداد أعمارهم على خمسة عشر عاماً بحيث وصل إلى ٤٠٪، ويتعجب الإنسان بالجهود البطولية للعديد من الكبار فى

الجزيرة الذين يساعدون الشباب على تطوير إمكاناتهم وتحولهم إلى مواطنين صالحين، وكما ندرك مصاعبهم إزاء مواردهم غير الكافية، وفى هذا الصدد، فقد أشرف جهاز التنمية الشبابى على معسكرات الشباب أساساً لتدريس المهارات الزراعية للشباب غير المتعلم وغير المدرب، ولكن كل شخص يتفق على أنه لا يوجد ما يكفى منهم، ومازال هناك، معسكر مماثل للفتيات فى مرحلة الإعداد.

وتتماثل هذه الصورة فى العديد من الدول الأفريقية، وفى هذا الصدد فقد عقد حلقة دراسية حول تنمية الشباب الأفريقى تحت إشراف سكرتارية الكومنولث، وذلك فى نيروبى فى نوفمبر عام ١٩٦٩، وقد كشفت أن الفقر يطل برأسه مرة تلو أخرى لتحدى آمال خبراء التربية ورجال السياسة،[١٣] وقد تناولت الحلقة الدراسية كيفية الإستفادة من الأحوال المحدودة وكيفية تقليل التكاليف الخاصة بمرافق التدريب لمد مزايا التدريب لأقصى عدد ممكن من الشباب،[١٤] وقد نجد نفس هذا الوضع فى العديد من الدول الصناعية، ولكن التفسيرات التالية تجعلنا ندرك أن الأموال المحدودة تحمل معنىً أخر، ومنها أنه يتم تقليل تكاليف العمل باستخدام المدربين لإقامة منشآتهم (نلاحظ أن الشباب الجامايكى فى المعسكرات يشارك فى زراعة طعامه وصنع ملابسه وإنشاء طرقه وأماكن نومه الخاصة).

وفى جواتيمالا فى عام ١٩٦٤، نجد أن أقل من ١٪ من أى جماعة عمرية قد التحق بالجامعة، وأن ٥٪ قد التحق بالمدارس الثانوية، و٤٨٪ بالمدارس الابتدائية،[١٥] وفى الدول الفقيرة نجد أن التقدم التعليمى هو تقدم مهنى بالمعنى العلمى. ويوضح نفس التقرير أن أحد النتائج الغريبة للتقدم التعليمى للشباب يقتضى الاقتصاد بمعنى أنه يحقق التوقعات بين الأصغر سناً والذين يذهبون إلى المدرسة حتى أنهم يلتحقون بالمهن ويضمنون إحدى وظائف ذوى الياقات البيضاء، فى الوقت الذى تزداد فيه الحاجة إلى العمل الزراعى، ويمكن أن نرى نفس هذه العملية ذات تأثير فى جامايكا. والعديد من الشباب الذين يلتحقون بمعسكرات الشباب لا يريدون فى النهاية أن يعودوا إلى العمل بالأرض (بالزراعة)، فهم يشعرون أن تعليمهم قد اعدهم لشئ أفضل. وعندما يضغط الفقر بشدة على تدريب الشباب، يكون هناك مجال محدود للتعليم الاجتماعى، سواء أكان ذلك يعنى تعزيز

وقت الفراغ أو الدعم النشط للنظام، ومن هنا فإننا لا نجد فى الدول الفقيرة عموماً البرامج المدعمة للتعليم المذهبى والتنشئة الاجتماعية مثل تلك التى نجدها فى روسيا والمانيا الشرقية.

وتمثل مقدار الثروة الأساسية أو الفقر وحجم إجمالى الدخل القومى، العوامل المحددة وذات التأثير فى تجربة المراهق. وهناك سؤال وثيق الصلة يتعلق بعدد المشاركين فى المال السائل، وبمعنى أخر نسبة الشباب فى العدد الإجمالى للسكان. وفى الدول النامية مثلاً، من الشائع أن نجد أكثر من نصف السكان دون سن الخامسة عشرة.

وقد لا تتمثل المشكلة فى نقص الموارد، ولكن هى عدم الرغبة فى استخدام أجزاءً منها لرفاهية وتعليم الشباب، والمكان الوحيد فى العالم الذى أعرفه شخصياً وينطبق عليه هذا الوصف هو هونج كونج Hong Kong. فالآن نجد أن هذه المستعمرة لديها رواج إقتصادى، فقد انتهى العام المالى ١٩٦٩-١٩٧٠ وقد حققت الحكومة فائضاً يزيد على الثلاثين مليوناً من الجنيهات، ومع ذلك فإن الحياة بالنسبة لبقية السكان يسودها الصراع، فالأجور منخفضة والساعات طويلة والمنافع الاجتماعية ضئيلة، ويسود الاعتقاد بأن العمل الرخيص ضرورى للحفاظ على الوضع الاقتصادى الخاص لهونج كونج وميزتها كميناء حر، ومع ذلك فإن تأثير ذلك على الشباب واضح للعيان. فالتعليم هام جداً لأنه يؤدى إلى الالتحاق بإحدى وظائف ذوى الياقات البيضاء أو المهن المرموقة، كما يلائم المكانة العالية للدراسة الأكاديمية للتراث الصينى، ولكن الفرص التعليمية بالنسبة للقطاعات الأفقر فى المجتمع تعتبر مقيدة للغاية. فنجد مثلاً أنه يتعين على خادمة المنزل الأرملة متوسطة العمر أن تدفع ١٤ جنيهاً إسترلينياً للتعليم المدرسى الثانوى لثلاث من أطفالها، وذلك من مجموع دخلها المقرر بثلاثين جنيهاً استرلينياً شهرياً ولا يدخل فى هذا المبلغ شراء المراجع والملابس ورسوم أتوبيس الأطفال، وبهذا الراتب تمارس هذه السيدة عملاً يعادل ما يقوم به العامل الصناعى غير الماهر والذى قد يعول عشرة أطفال.[١٦] فهونج كونج هى المكان الوحيد الذى زرت فيه مركزاً شبابياً ورأيت أن "أدى عملك" الواجب هى أكثر الأعمال شعبية خاصة فى المساء.

والعديد من الشباب يواجهون ضغوطاً قوية مفروضة عليهم لكى يعملوا بجد ويفهموا عملهم ويحققوا تقدماً فى تعليمهم والذى أنفق عليه مبالغ طائلة من جانب آبائهم.

ويمكن التعبير عما جاء فى هذا الفصل فى صورة ثلاث معادلات: حيث أن S = معناها عملية التنشئة الاجتماعية بما فى ذلك غرس وقبول الالتزام السياسى فى الصغار، وحيث أن الـ R =معناها توافر الموارد الهامة للبرامج الملائمة للشباب، وحيث أن الـ I = معناها الايديولوجيا أو الأسطورة التى تكمن وراء عملية الغرس المذهبى وهكذا ... كالآتى:

$$S + = R + \text{ and } I +$$

$$S - = R - \text{ and } I +$$

$$S - = R + \text{ and } I -$$

ويجب أن نكرر أن هذا هو التقسيم التقريبى العام الوحيد لمساعدتنا على القيام بالتقسيم الأولى للمادة غير المترابطة التى نحصل عليها من الدول المختلفة، والتى لاحظنا من خلالها أن السمات الفردية فى العديد من الدول تؤثر بعمق على تجربة الشباب هناك، وقد يعكس الأمر هنا مناخاً لتراث دينى قوى أو أن الحياة الاقتصادية ككل ترتبط بمهنة واحدة مثل صيد السمك، وبشكل أكثر شيوعاً، قد يعكس ذلك موقفاً سياسياً غير عادى يلقى بظلاله على مسرح حياة المراهقين، وفى هذا الصدد يوجد لدينا مثالين جيدين معاصرين.

إن برلين الغربية وإسرائيل تختلفان فى عدة جوانب، لكنهما يشتركان فى معنى الحصار أو الانغلاق: فكلاهما يمثل الديمقراطية الواقعة تحت الضغط* مهما يلتزمان بشكل الحكومة التى تسمح بالمناقشة العامة لكل المسائل ولكنهما يوجدان عند نقاط مضيئة فى التاريخ ويعتمد بقاؤهما على تعبئة المؤيدين للنظام من الجيل الجديد. وفى اتجاهاتهما نحو الشباب، تأخذ هذه المعادلة الصورة التالية:

---

* هذا لا يصدق على إسرائيل التى تحتل الأراضى العربية بالقوة وتمارس أبشع أنواع التغريب ضد المواطنين العرب (المترجم)

$$S+ = I - R +$$

وذلك إذا كانت الركائز عالية. وفى كلا الدولتين نلاحظ أن للقادة اتجاهات مماثلة لاتجاهات الشباب. فهم يريدون للشباب أن يكونوا رجالاً أحراراً يقررون أمورهم بأنفسهم ولكنهم يريدون أيضاً أن يصل الشباب إلى نتيجة تؤكد بقاء الأبنية السياسية الحالية. وإذا قاموا بغرس المذاهب، فهم يفعلون ذلك بسوء نية.

وقد سبق أن وصف المتعاطفون الغربيون، برلين الغربية على أنها جزيرة فى البحر الأحمر وأنها بمثابة واجهة رأسمالية في العالم الشيوعي، ونجد أن آباء المدينة مشغولين بحفظ حريتهم ولا يجرى إستيعابهم فى العالم الشيوعى، وبالطبع، فإن موقفهم من الناحية الإستراتيجية موقف ضعيف. ولديهم يوجد برنامج واضح للتعليم السياسى الذى تعززه أموال الحكومة الوفيرة والنابعة من ثروة مدنية صناعية كبيرة ومن مصادر فيدرالية.

وبشكل أدق، فان التعليم السياسى فى برلين الغربية هو تعليم مضاد للشيوعية.

وقد ذكر أحد خبراء التربية الكبار فى المدينة الأتى: "إن ما يجعلنى طوال الليل يساورنى القلق هو التفكير فيما إذا كنا نستطيع اقناع الجيل الجديد بأن يؤمنوا ببرلين الغربية ويحاربون من أجلها... أم لا"

ولهذا السبب، ولأسباب أخرى، نجد أن الموقف السياسى يلعب دوراً بارزاً فى حياه شباب برلين الغربية. وذات ليلة وأثناء وجودى فى إحدى قاعات موسيقى الجاز فى المدينة سألت مجموعة من الزوار الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين سبعة عشر وثمانية عشر عاماً، سألتهم عن تصورهم للموقف السياسى فى برلين الغربية، فضحكوا وهزوا أكتافهم وأجابوا بأن ذلك أمر لا يعنيهم فى شىء وقالوا: "إن هناك حبا دائماً" ... وبعد ذلك وفى نفس الأمسية، سُئلت نفس السؤال لمجموعة من شباب نقابة عمال برلين الغربية، فعلّق أحدهم قائلاً أن كل شىء على ما يرام ولكن علم السياسة يمكن أن يؤثر على حياتك العاطفية" حيث كانت صديقته تعيش فى برلين الشرقية، وهذا ليس معناه أن أغلب الشباب يستجيبون بطريقة واحدة لهذ

الضغوط. فالبعض لا يبالون بذلك، والبعض الأخر يرفض بقوة تعاليم السلطات ويبدو راقصاً وثائراً ... ولكن عموماً نجد أن علم السياسة يلعب دوراً كبيراً في حياة صغار برلين الغربية، ويمكن لأى شخص أن ينضم للمناقشات السياسية مع الشباب في المقاهي ليلاً.

وفي إسرائيل، وهي دولة محاطة بالقوى العربية المعادية والتي كرس بعضها نفسه لتدميرها * قد يعتقد المرء أن الركائز فيها أعلى وبالتالي فان الضغوط أعلى. وأحد جوانب مشاركة المجتمع- بالطبع - هناك هي الخدمة العسكرية للبنات والبنين معاً. وقد قال موظف إسرائيلي: "إنني قلق بخصوص شبابنا " وفي بادئ الأمر لم أستطع فهم ما يعنيه، فهم يبدون أصحاء وأقوياء وعباقرة وملتزمين ومرتبطين بالدولة. ولكنه استطرد قائلاً إن إسرائيل ليس لها مستقبل ما لم تستطيع خلق جيل آخر من الرواد والعمال والمقاتلين.

ومنذ بضعة سنوات، تم إتخاذ قرار لدعم برامج شباب جميع الأحزاب السياسية على أساس أن تبنى أى فلسفة سياسية يعتبر أفضل من لاشئ.

وإلى حد كبير فان برلين الغربية وإسرائيل هما من بين الدول القليلة التي تتبنى برامجاً مدعمة رسمياً للتعليم السياسي للشباب، ونجد في إسرائيل أن التطورات الأخيرة لحركة النمو الأسود Black Panther تعمل على تعديل هذه النظرة ولكنها لا تنقضها.

وما سبق عرضه في هذا الجزء لا يعطي صورة كاملة لأوضاع الشباب في الدول الحديثة ومن ثم لا يمثل الوضع القائم بالفعل، ولكن المثالين السابقين يعتبران محاولة للبحث والتحليل، وحتى الصورة المثالية تتخطى خبرة ومعرفة الكاتب، ولكن غرضنا هو أكثر تواضعاً ويتمثل في تقديم صورة عامه للشباب البريطاني.

---

* تلك هي الفكرة الخاطئة في الغرب عن إسرائيل واحة السلام المحاطة بأعدائها من العرب. (المترجم)

وينكر البعض أن بريطانيا تجتاز مرحلة تغير سريع من الناحية الاجتماعية، ويمكن اختبار ذلك من خلال عدة طرق مثل: أشكال الترفيه والملبس ووسائل النقل والعادات الاجتماعية. وعلى الرغم من أن التغير يمكن رؤيته كاملا وليس كتهديد، إلا أنه توجد مع ذلك جوانب للتغير قد تسبب عدم إستقرار الفرد وتمثل صعوبات فى مجمل حياته، ويعتبر الشباب هم أكثر الفئات تأثراً بذلك.

وفى بريطانيا –وحسبما رأينا –لا توجد فلسفة سياسية واحدة تُفرض على الشباب. وعلى الرغم من أن التعليم يعتبر إلزامياً فى المدارس، فلا يضطر الشخص لإعتناق المسيحية أو أى مذاهب دينية أخرى لكى يحظى بالقبول الاجتماعى فى بريطانيا، كما لا يوجد هناك غرسُ مذهبى لأنه لا توجد لديهم إيديولوجيا رسمية، وبذلك فان المعادلة بالنسبة لبريطانيا هى كالاتى:

+R– I = -S ، حيث توجد موارد كافية لتعليم الشباب ورفاهيته، وبالطبع، فان خبراء التربية يذكرون دائماً أنه يجرى انفاق نسبة مئوية صغيرة من الدخل القومى على التعليم، ولهذا الوضع أثر سئ على الوضع البشرى لأن أحد نتائج ذلك هى أن العديد من الرجال والنساء لا يمكنهم تطوير إمكاناتهم ومن ثم يعيشون حياة فقيرة، وهذا بالطبع يعتبر فاجعا من الناحية القومية. كما نجد أن بريطانيا بصفتها أمة تجارية فى عصر التنافس والتكنولوجيا لا يمكن أن تتحمل الإنفاق على التعليم لأن العجز عن القيام بذلك يضعف مواردنا. وبدون شك نجد أن هذه الآراء بها بعض الجوانب الصحيحة. ولا نريد أن ننكر الفوارق الكبيرة فى النظام التعليمى ومن ثم الارتباط الكبير بين الطبقة والفرص التعليمية حتى أنه يبدو أحياناً كما لو كان لدى الصغير النابغ المنتمى للطبقة الوسطى كل الأوراق الرابحة، ولكن الموارد توجد هناك وتساعد على ذلك. وزيارة لأى دولة نامية، تجعل بريطانيا تبدو أنها أرض الفرص التعليمية الكثيرة.

ومؤخراً، حدثت عدة تغيرات هامة، والجدول التالى يوضح جانباً من تلك التغيرات:

العمر	١٩٥٠	١٩٦٧
٥ – ١٠	٩٩	٩٩
١١ –١٤	٩٩	١٠٠
١٥	٣٠	٦٦
١٦	١٤	٣٠
١٧	٧	١٦
١٨	٢	٥ (١٧)

جدول رقم١: وهو يوضح النسبة المئوية للأطفال الذين التحقوا بالمدارس الابتدائية والثانوية فى إنجلترا وويلز فى عام ١٩٥٠ و١٩٦٧.

وتوضح الأرقام الأخيرة تحسناً أكبر فى نفس الاتجاه، ففى كل عام يبقى المزيد من التلاميذ فى المدرسة فيما وراء الحد الأدنى المطلوب من العمر.

وهناك أسلوب قياسى آخر مشابه وهو المقدار المتزايد من المال العام الذى تم إنفاقه على خدمات الشباب فى إنجلترا وويلز خلال العقد الماضى. فقد ارتفع إنفاق الحكومة المركزية فى هذا المجال من ٢٩٩ ألف جنيه استرلينى فى عامى ١٩٥٩–١٩٦٠ إلى ١,٩ مليون جنية أسترلينى فى الفترة بين عامى ١٩٦٧–١٩٦٨. كما نجد أن إنفاق السلطة المحلية قد ارتفع من ٢,٥٦ مليون جنية إسترلينى إلى عشرة ملايين من الجنيهات الاسترلينية فى نفس الفترة. وبالإضافة إلى ذلك فقد تم بناء ثلاثة آلاف مشروع لخدمة الشباب فى الفترة من ١٩٦٠وحتى ١٩٦٨ وتكلفت ٢٨ مليون جنية إسترلينى.

وقد أوضحنا من قبل أن وضع الشباب فى المجتمع الحديث يمكن فهمه من خلال معادلة تقريبية تم تطبيقها سلفاً فى ضوء العوامل العامة السائدة فى ذلك المجتمع. وفى حالة الشباب البريطانى، يبدو أنه نوعان: ونحكم على الأول بأنه أكثر تأثيراً على الثانى.

إن جيل المراهقين الموجودين فى بريطانيا الآن هم أطفال "دولة الرفاهية" تلك الأرض التى تم فيها توزيع الثروة وإتاحة الفرص على نطاق أوسع، ولكن ذلك لا يعنى أنه

لا يوجد لديهم مشكلات فى بعض الحالات، ولكن فى هذه المنطقة يتضح التناظر مع تجارب الوالدين والأكبر سناً عموماً. والعديد من الآباء الذين كافحوا طويلاً لتحسين أوضاعهم الاجتماعية من خلال تعليمهم الذاتى أو الذين يدركون الآن مدى شدة القيود التى حرمتهم من الفرص نتيجة لنقص تعليمهم المبكر يرون أن أبناءهم الآن يتمتعون بفرص لم تكن متاحة لهم من قبل، ولذلك قد "تلتمس العذر للأكبر سناً الذين يرون أن هناك طريقاً ممهداً لتقدم الشباب.(١٨)

ومن خلال عرض قواعد دولة الرفاهية فى الخدمات التكميلية فى بريطانيا حاليا ككل والمناظرة بين الوضع الآن وبين تلك التى كانت توجد منذ جيلين سابقين، يتضح أنها تعكس السمات الآتية:

١–أن الشباب الآن فى شكل أفضل فيزيقياً: أكثر صحة –أكثر بدانة– أطول، وتشير تقارير المشرفين الطبيين للصحة فى حقبة الثلاثينات أنه كان يسود سؤ التغذية والكساح والأنيميا، وتبدو هذه التقارير كما لو كانت تشير إلى العصور المظلمة.

٢–أنهم ينضجون فيزيقياً فى سن مبكر.

٣–لديهم طاقة أكثر.

٤–لديهم تعليم أفضل وكذلك منظورات تعليمية أكبر.

٥–لديهم توقعات أكبر لما يمكن أن تحققه الحياة لهم.

٦–لديهم قوة ومستويات أكبر للإنفاق.(١٩)

وفى عام ١٩٣٨، ووفقاً لمسح نشرته وزارة العمل Ministry of Labour Survey، فان الأولاد الذين كانت تتراوح أعمارهم ما بين ١٥ –٢٠ عاماً، كانوا يتقاضون فى المتوسط أجراً قدره ٢٦ جنية إسترلينى، أما البنات فقد كن يتقاضين ٢٤ جنيهاً إسترلينياً، وكانوا يقدمون معظم ذلك المال للوالدين ويبقون منه بعض "الشلنات" أسبوعياً للإنفاق الشخصى. فقبل الحرب، كان الكبار هم الذين يحتكرون قوة الإنفاق فى الوقت الذى كان فيه المراهقون معالين إقتصادياً. وبالمقارنة، وفى منتصف عام ١٩٥٨، فان الشباب فى نفس المرحلة العمرية السابق ذكرها كانوا يتقاضون فى المتوسط ٥,١٢ شلن والفتيات ٥,٦ شلن أسبوعياً.

وقد زادت النسبة الحقيقية لكلا الجنسين فى المتوسط بمقدار النصف منذ الفترة التى سبقت الحرب.

وقد أصبحت هذه الأرقام قديمة الآن، ولكن الاتجاه أخذ نفس المسار، وفيما يلى جدول قدمه الدكتور مارك أبرامز M.Abrams يعرض فيه الإنفاق الشخصى للمراهقين فى عام ١٩٦٥.

جدول رقم ٢ : الإنفاق الشخصى للمراهقين فى بريطانيا فى عام ١٩٦٥.

	الأولاد شلنات أسبوعياً	البنات شلنات أسبوعياً	اجمالى الأنفاق السنوى	النسبة المئوية للأنفاق الأستهلاكى
الملابس	١٢	٢٠	٢٤٥	٪١٥,٧
الأحذية	٣	٥	٦٠	٪١٧,٢
الوجبات	١٣	٤	١٢٥	٪١٨,٤
السجائر	٩	٤	١٠٥	٪١٠,٥
الرحلات	٦	٥	٨٥	٪٨
ومسائل الانتقال	٧	١	٦٥	٪٤
المسجلات وأجهزة الراديو	٤	١	٤٠	٪٣٥
مستحضرات التجميل والشامبوهات	١	٣	٣٠	٪٢٠
تسريحات الشعر	١	٢	٢٥	٪٢٣
الكاميرات وأدوات الرياضة والساعات والأقلام	٢	١	٢٥	٪١٣
الكتب والمجلات	١	١	١٥	٪١٣,٦
عناصر أخرى بما فيها المدخرات	٥١	٢٨	٦٥٠	٪٣,٧
	١١٠	٧٥	١٤٧٠	٪٦

١-أن لديهم الكثير من الوقت والطاقة لمتابعة أنشطة الرفاهية، ومرجع ذلك أنه لم يكن لديهم قوة إنفاق أكبر مقارنة بمن سبقوهم فقط، ولكن أيضاً لأن الاهتمام (النشاط) التجارى والتغيرات التكنولوجية قد أتاحا تحقيق فرص الاستمتاع وأعلى من قيمة المتعة بالنسبة للإنسان.

٢- وقد أدى كل ذلك إلى وجود ما يسمى "بثقافة الشباب"، وهو مصطلح أثار كثيراً من الجدل والنقاش بين علماء الاجتماع، فقد تساءلوا: هل يوجد ما يسمى بثقافة الشباب؟ أم أن هذا هو ماننتصوره؟ وما مدى أن كل هذه الثقافة الشبابية أو بعضها يعتبر ثقافة معادية ورافضة لقيم الكبار؟ وقد إتضح من قبل - أن سلوك الشباب لا يختلف كثيراً عن سلوك الكبار خاصة فى المجالات التى لا يلتزم فيها البالغون وفى ضوء هذه النظرة تعد ثقافة الشباب تعميماً من جانب الجيل الجديد على أن يكون مختلفاً عن الجيل الأكبر سناً. ونحن هنا لسنا مضطرين للدخول فى هذا الجدل بأى شكل من الأشكال،(٢٠) ولكننا نهتم فقط بالإشارة إلى الحقائق التى نحصل عليها من خلال الملاحظات اليومية. فهناك فى بلدنا أنماط للحياة ترتبط بالشباب وهى تختلف عن أنماط حياة بقية أعضاء المجتمع وتتضمن مستويات مختلفة من الشدة أو الكثافة والترفيه والاتجاهات العامة. ومن خلال توافر هذه الوسائل لديهم يستطيعون الدخول فى علاقة تكافلية مع المتخصصين فى التسويق التجارى للإستمتاع برموز ثقافة المرهقين.(٢١)

٣- وبينما لا نكرس إهتمامنا فى هذا الكتاب لبحث الاختلاف الحقيقى فى الوضع الإجتماعى للمراهقين من الجنسين (وهذا موضوع ضخم ومستقل)، فسوف يتعين علينا أن نتوقف هنا عند انكار من تناولوا هذا الموضوع بجدية. وبصفة عامة نجد أن ثقافة الشباب يمكن أن تساعد الفتاة أكثر من الفتى على التكيف مع أدوار الكبار فى المجتمع، وأن بعض تلك الثقافة تعتبر فى الواقع إعداداً لدور الأنثى البالغة، ومرجع ذلك أن ثقافة الشباب تركز على الترفيه، حسبما ذكر "كولمان"(٢٢) فإن أغانى "البوب" بالنسبة للمراهقات تتسق مع الدور الرومانسى الذى من المتوقع أن يلعبوه، بينما لا تحقق الأغنيات مثل هذه الوظائف بالنسبة للذكور، ومن ناحية أخرى نجد أن ثقافة البوب لا تخلو من إحتمالات التوتر

بالنسبة للفتاة. وهناك العديد من المؤشرات على أن الفتيات فى بريطانيا وأمريكا أكثر تعرضاً للتوتر من الفتيان. ولكن هناك العديد من الجوانب التى تتسق مع النمو الذى يتوقعه منها الآخرون، والذى تتوقعه هى أيضاً من الآخرين، فقد أسهمت ثقافة المراهقين فى الاتجاه نحو الزواج المبكر فى بريطانيا. ولكن المراهق هو أقل تأثراً بثقافة البوب حيث يجد فيها تعارضاً أكثر مع ما هو متوقع منه لأن تركيز المجتمع ينصب على إعداده لأدوار البالغين فى العمل.[٢٣]

٤-وأخيراً، فقد يقال أن الشباب البريطانى حقق العديد من المكاسب السياسية وهذا لايعنى أنهم إكتسبوا تأثيراً أو نفوذاً أكبر من خلال الأحزاب السياسية المنظمة. وفى الواقع نجد أنهم لا يختلفون عن الكبار فى عاداتهم بشكل كبير (فمن بين ٣٦ مليون ناخب فى بريطانياً العظمى، أن تسعة ملايين منهم لا يصوتون فى الانتخابات المحلية، بينما نجد أن ٤ ملايين فقط يشتركون بفعالية كبيرة فى إدارة الأحزاب السياسية.

وكانت أعداد الشباب الأعضاء فى الأحزاب السياسية كالآتى (تقريباً):-

- المحافظون من الشباب فى الفئة العمرية من ١٥-٣٠ = ١٢٠ الفاً.
- الليبراليون من من الشباب فى الفئة العمرية من ١٥-٣٠ = ١٢ الفاً.
- الاشتراكيون من الشباب فى الفئة العمرية من ١٥-٢٥ = ٢٥ الفاً.

وقد أوضح مسح بول Poll للرأى القومى عام ١٩٦٤ أن ٥٪ من الجماعة العمرية من ٢١-٢٥ كانوا ينتمون إلى حزب سياسي، وكانت حملة نزع السلاح النووى أهم حركة سياسية للشباب خلال فترة الحرب، ولكنها لم توجد فى شكل حزب سياسى.[٢٤]

وقد تكون كلمة (قوة) كافية لوصف ما نقصده هنا، ولكن القوة السياسية تستخدم للإشارة إلى أن الشباب قد أصبحوا أكثر أهمية فى حياة المجتمع ككل، وهذا يرتبط بقوتهم الاقتصادية المتزايدة، كما تأخذهم الشركات التجارية فى الاعتبار باعتبارهم مستهلكين، وهم أكثر إستقلالاً وأقل خضوعاً لسيطرة الكبار بما

فى ذلك والديهم وهم يتبنون بعض جوانب سلوك البالغين فى سن مبكر، ولديهم الان معرفة قانونية لكبر سنهم أو بلوغهم سن الثامنة عشرة بما يتضمنه ذلك من حق التصويت وهو ما يعنى أن هناك ناخبين فى الشكل السادس. والناس فى بريطانيا ليسوا متيقنين من مكانة الشباب فى المجتمع لأنهم واثقين من مكان بريطانيا فى العالم.

ويجرى تصوير الكبار على انهم مؤيدين للشباب أو معارضين لهم، ويبدو أنهم مترددون ولا توجد لديهم القدرة على الوصول إلى قرار ويرى ديفز وجيبسون Davies and Gibson أن المراهين هم من بين الهامشيين فى مجتمعنا. والولد أو البنت التى تخرجت من المدرسة أو لم تبلغ الحادية والعشرين أو تتزوج تعتبر لغزاً كما يعتبر الولد لغزاً أيضاً فمكانه فى النسق الكلى ليس واضحاً لأنه لم يعد طفلاً وفى الوقت ذاته لم يقبل كعضو بالغ فى المجتمع،(٢٥) وهناك الكثير من الآراء التى ترى ضرورة أن يتبوأ الشباب مكانتهم فى المجتمع، ولكنهم من الناحية العملية تجرى معاملتهم كلغز محير. وفى المجتمعات الصناعية الحديثة والتى تتعرض لتغيرات سريعة، نجد أن الشباب يواجهون نفس الموقف الذى يواجهه الكبار، فلا يدرك أحد قيمتهم ومدى الدور الذى ينبغى أن يُعطى لهم، وهنا نستطيع أن ندرك أحد الأسباب المرتبطة بعلاقة التفاهم التى نجدها فى العديد من الأماكن بين الأجداد وأحفادهم.

وبالنسبة للمجموعتين، كان الوضع أبسط فى المجتمعات الأكثر ثباتاً وقدماً فى التاريخ، وكانت الحياة المادية أكثر فقراً، ولكن لم يشك الصغار أو الكبار فى حقوقهم وواجباتهم ومكانتهم عند القيام بالخطط المختلفة. ويساعد الصراع على تأكيد شكوك الشاب. ويتم تعريف الكثير من سلوكنا إجتماعياً حتى أننا نتصرف فى العديد من المواقف وفق ما يتوقعه منا الناس فى ضوء أوضاعنا الإجتماعية ومرحلتنا العمرية.

وقد تم التعبير عن مشكلة الشباب البريطانى بعدة طرق. وفى هذا الإطار فقد أيد البعض وجهات نظر الباحثين والتى ترى أننا اعطينا الجيل الصاعد كل شئ باستثناء الايمان بالحياة، ولكن لم يجرؤ أحد على إتهام ديفيز وجيبسون بأنهم

عاطفيين، فهم يرون أن عدم قدرة الشباب على إدراك مكانهم فى المجتمع يمثل مصدراً كبيراً لقلقهم[٢٦] ونجد أن بقية آرائه واجهت معارضة أكبر. فهذا الغموض الذى يحيط بدور الشباب البريطانى لا يعتبر مجرد ظاهرة مرتبطة بعصر التغير الاجتماعى السريع ومن ثم لا يمكن تفسيره على أنه إستقلال عن المجتمع ككل، ولكن الأمر يتمثل فى أن غموض دور الشباب البريطانى يرتبط بغموض دور بريطانيا عموماً، فرؤية الشخص لكيانة الشخصى تنبع من رؤيته كجزء من الكل القومى (فسكان ويلز والأسكتلنديين مازالوا أكثر قدرة على القيام بذلك من الانجليز)، ولكن ذلك يعتبر أكثر صعوبة عندما تتغير الصورة القومية وتقلصها بوجه عام.وقد أوضح تقرير البمارل Albemarleأن ذلك يمثل خبرة الشباب فى نهاية حقبة الخمسينات.[٢٧]

وفى الوقت الحاضر نجد أن المراهقين يعيشون داخل عالم مقسم إلى كتلتين كما أنه مهدد دائماً بوقوع كارثة نووية وبالإضافة إلى ذلك فإنه على الرغم من قوة بلدهم ومكانتها الدولية الكبيرة، إلا أنها تعتبر أقل ضماناً وثباتاً الآن، ولكن هناك من يرى أن هذه الأوضاع هى السبب فى الكثير من أنشطة المراهقين الحالية.

هذه هى الصورة العامة للشباب، وإن كان يدور الكثير من الجدل والاعتراضات حولها، ومنها أن دور الحاكم ومركزه لا يمثل شيئاً محورياً فى اهتمامات المراهقين فى بريطانيا. فهم يتسمون باللامبالاة ويشغلون أنفسهم فقط بالنمو والاستمتاع بالوقت. ونحن نعتقد أن هذا مجرد رأى سطحى فلا يمكننا أن نستنتج أن الناس لا يتأثرون بالوقائع التى يعبرون عنها بالكلمات. وعلى الجانب الايجابى نرى أن الشباب فى العديد من أنحاء العالم -حيث أن لدى الشباب إحساساً بالكيان القومى يفوق ما لدينا بسبب الأحداث السياسية- وخصوصاً روسيا السوفيتية يتطلعون لعصر ذهبى -يبدو غيبياً- فى بلادهم، بينما من الشائع فى بريطانيا أن الشباب ينظرون إلى الماضى بحثاً عن عصر ذهبى لبلادهم، وقد يفترض المرء أن الدور المتقلص لبريطانيا فى العالم إنعكس على الصغار، فهم سمعوا فى دروس التاريخ عن الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس، ومن ثم فهم يدركون الآن أن الباقى هو مجرد بقايا رثة لا تساوى شيئاً. وفى الوقت ذاته

يسمعون من خلال وسائل الإعلام عن المشكلات الاقتصادية التى تواجه بلادهم والحاجة الماسة لاقتراض المال من الخارج، كما أنهم يتأثرون بالآراء السياسية التى يتداولها الكبار بخصوص الدور الذى يتعين أن تلعبة بريطانيا فى العالم وكذلك موضوع السوق الأوروبية المشتركة ومدى ضرورة وجود قوات بريطانيا شرق مدينة السويس.

ومن هنا فنحن نرى أن غموض دور المراهقين البريطانيين يرتبط بغموض الدور البريطانى بصفة عامة ... إذا لم تعط آلة الترومبيت صوتاً معيناً، فمن الذى سوف يتبعها؟

الهوامش

1- CF. Peter worsley, introducing Sociology, Penguin Books, Part II, chapter 3.

2- M.D. Shipman, Sociology of the School, longmans, 1968, P. 61.

3- Cyril Smith, Adolescence, Longmans, 1968, P. 36.

4- C F. Brian and Joan Simon (eds), Educational psychology in the U. S. S. R., Routledge and Kegan Paul 1963.

5- Cf. R. J. Goldman, Readinees For Religion, Routelge & Kegan Paul, 1965;

H. A Loukes, Teenage Religion, S. C. M.Press, 1961.

6- Half our Future (Newsom Report), Central Advisory Council of Education (England), HMSo, 1963.

7- Karl Mannhein, Ideology and Utopia, Routledge & Kegan Paul, 1954.

٨-أنظر فى جزء لاحق من هذا الكتاب لوصف أطول خاص بمعتقدات وإتجاهات طلاب اليسار الجديد.

9- Fifteen to Eighteen (Crowther Report), Central Advisory Council for Education, HMSo, 1959.

10- The youth Service in England and Wales (Albemarle Report), Ministry of Education, HMSo, 1960.

11- Op.cit.

12- Bertrand Russell, Principles of Social Reconstruction, Allen & Unwin, 1916.

13- CF. Youth and Development in Africa, Commonwealth Secretariat, 1970.

14- Ibid., P. 57.

15- UnEsco, 1965, PP. 17-19.

16- Observer collour Magazine, 6 December 1970.

17- Statistics of Education, Vol. I, 1967, and Vol. I, 1961, Quoted by P. worsley, Introducing Sociology, Penguin Books, P. 70.

18- CF. Alec clegg and Barbara Megson, children in Distress, Penguin Books.

19- The youth service in England and wales, op. Cit.

٢٠-مزيداً من المراجع لمن يرغبون فى معرفة تفاصيل هذه النقطة أنظر:

- Cyril S. Smith, "Roles, Status and youth Culture", studi di socilogia, 5;
- M. schofield, the sexual Behaviour of Young people, Longmans, 1965;
- Bryan wilson, the youth culture and the universities, faber, 1970.

21- J.B. Mays, the young Pretenders, Michael Joseph, 1965, P. 33.

22- J. Coleman, the Adolescent Society, the Free Press, New york, 1961.

٢٣-هذه الفقرة تدين بالكثير لمقالة قرأها الدكتور سيريل سميث فى مؤتمر برلين الغربية الذى تناول عمل الشباب فى إبريل عام ١٩٩٦.

24- Cyril S. Smith, Adolescence, longmans, 1968, PP. 79 – 80.

25- Bernard D. Davies and Alan Gibson, the Social Education of the Adolescent, University of London Press, 1967, P. 72.

26- Ibid., P. 73.

27- Op. Cit., P. 29.

•اقتراحات للمزيد من القراءة:-

-عن عملية التنشئة الاجتماعية ككل:-

- Davis, Kingsley, Human Society, Macmillan, 1948, chapter 8.

-الشباب فى بعض الدول الحديثة الأخرى.

-أفريقيا:

- Youth and Development in Africa, Commonwealth Secretariat, 1970.

-هونج كونج:

- Jarvie, I. C. (ed.), Hong Kong, Routledge & Kegan Paul, 1969.
- Milson, Fred, youth programmes in Hong Kong, westhill college of Education, Birmingham.
- Annual Reports of the Boys' and Girls' clubs Association of Hong Kong.

-إسرائيل

- Bentwich, Joseph, Education in Israel, Routledge & Kegan paul, 1965.
- Leisure Time and Delinquency. A Research Proposal, Ministry of Education, youth Department, State of Israel, 1961.

-جامايكا:

- Clarke, Edith, My Mother who Fathered me, Allen & Unwin, 1966.
- Milson, Fred, youth Programmes in Jamaica, westhill College of

Education, Birmingham.

- Copies of Torch, Journal of the Ministry of Education, Jamaica.
- Annual Reports of the Youth Development Agency, Jamaica.

-الولايات المتحدة الأمريكية:

- Erikson, Erik H. (ed.), youth: change and challenge, Basic Books, 1963.
- Mays, J. B., the young Pretenders, Michael Joseph, 1965, chapter 7.
- Smith, Ernest A., American youth culture: Group life in Teenage Society, the free Press, New york, 1962.

-الاتحاد السوفيتى:

- Simon, Brian and Joan (eds), Educational Psychology in the U.S.S R., Routledge & Kegan Paul, 1963.
- Bereday, George Z.F. and penner, Joan, the politics of Soviet Education, Praeger, New York, 1960.

-الشباب فى بريطانيا:

-سمات عامة:

- Mays, J.B., the young Pretenders, op. Cit.
- Milson, Fred, Youth work in the 1970s, Routledge & Kagan paul, 1970, chapter3.
- Wilson, Bryan, Youth culture and the universities, Faber, 1970.
- Youth Service Development Council, youth and Community work in the 70s (Fairbairn – Milson Report), HMSo, 1970, chapter 3.

-عن فكرة تحسن الوضع المادى للشباب البريطانى:

- Hemming, Jomes, "young people Today:' a paper read at a Council of Europe Seminar held at Leicester College of Education, 1964.

-عن الفكرة التى توضح الصعوبات التى تواجهها بريطانيا لتقديم توجيهات واضحة لشبابها:

- Davies, Bernard D. and Gibson, A., the Social Education of the Adolescent, university of london Press, 1967.

الفصل الرابع

شبــاب إنجلترا

علـى الرغـم مـن أن هـذا العنـوان غـير مرضـى تمامـاً، إلا أنـه تـم إختيـاره لوصف جيل الشباب فى هذا البلد. وأحد جوانـب الخلط الحـالى هـو أنـه ليس مـن السهل العثور على المصطلح المقبول لوصف الجماعة العمرية التى نتناولهـا الآن، فكلمة الصغار أو من هم فى سن الطفولة المتـأخرة Teenagers مرفوضـة، بينمـا تأخذ كلمة مراهقين Adolescents طابعاً إكلينيكياً. أما كلمة الشباب فتأتى لتُعرِّف الجماعات الأصغر سناً ولكن يرفضها من يبلغون السابعة عشر مـن العمر فـأكثر، وإن كانت كلمة صغير Young مازالت مقبولة هنا.

وتوضح كلمة شباب إنجلترا أننـا نفكر فـى الذيـن يماثلوننـا فـى العديد مـن الجوانب ويجرى النظر إليهم كأعضاء فى المجتمع، ولكـن تـم تمييزهم مـن خـلال القول أنهم يمثلون جماعة منفصلة. ويحاول شباب إنجلترا تحقيق العدالة من خـلال توضيح أن ما يكتب فى هذا الفصل لا يصدق على الشباب الذين يعيشون فى ويلز واسكتلندا، ففى كلا البلدين وخصوصاً فى المناطق الريفية، يبدو أن هنـاك إحساس أقوى بالكيان القومى.

ومن هنا كنا نفكر فى أكثر المصطلحات عمومية للمجتمع، وكذلـك اتجاهـات البالغين وإتجاهات الشباب تجاه أنفسهم. ويمكن أن نلتمس العذر للقارئ عندما يعتقد أننا أوضحنا أنه يوجد فـى بريطانيـا إتجـاه واحد مـن جـانب الكبـار نحـو الصغـار والمراهقين. وعلى سبيل المثال، فهنـاك فـوارق هامـة فـى نمـط الحيـاة بيـن النـاس الذيـن يعيشـون فـى منـاطق مختلفـة مـن بريطانيـا وكذلـك فـى المنـاطق الحضريـة والريفية. وهذه أمور هامة لأن الاختلافات الثقافية تنعكس فى خبرات الشباب الذين ينشأون فى هذه المناطق (فهناك أماكن تزداد فيها السلطة الوالدية أكـثر مـن أمـاكن أخرى)، ويختلف الكبار إلى حد كبير فـى طـرق تفكيرهم وتعـاملهم مـع الصغـار. وفى إطـار هذا الحكم يعملون على تركيز شخصياتهم وتفكيرهم فـى الحيـاة عمومـاً (هناك ما يغرى بالاعتقاد أحياناً أننا لا نكشـف عن ذاتنـا بشـكل كـامل مثلمـا نفعل

عندما نجيب على سؤال مثل السؤال الآتـى: "ما الذى نتصـوره أو نعتقده بالنسبة للشباب فى بريطانيا فى الوقت الحاضر!).

ويرفض الشباب أن يتم وضعهم فـى فئـات مرتبـة ترتيبـاً جامداً: فمعظمهم يصرون على أنهم لهم سمات ذاتية فريدة، وهذا هو السبب فى أن التعميمـات التـى يطلقها الكبار عن الشباب تعتبر غير مقنعة. والأمر هنا قد يعكس محاولات توجيـه الاتهام نحو جيل بأكمله. وأحد الأمثلة على ذلك هى أن الشباب لا يعيرون اهتمامـاً لأحد فى الوقت الحاضر، وهذا معناه التفكير فى صـور نمطيـة: إنـه بمثابـة الحكم على كل عضو فى الجماعة من خلال النتائج التى توصلت إليها الجماعة كلها.

وهناك وجه آخر لهذا الاتجاه وهو النظر إلى مفهوم المراهقة على أنه متميز عن وضع فرد أصغر فى إطار نمط سبق تصوره. وقـد أصبـح البـالغون يعتقـدون تدريجياً أن كل الذيـن تنطبق عليهـم كلمـة مراهـق قـد يختلفـون عـن بقيـة مجتمـع البالغين من جميع الجوانب، بينما تشير الكلمة فى الواقع وبصفة خاصة إلى جـانب معين يختلفون فيه. ونجد أن المعلمين المتمرسين وكذلك العمـال الشـباب نـادراً مـا يتأثرون بمثل هذه التعميمات وذلك لأن الجماعات العمرية الجامدة تسبب لهم الكثير من الاحباطات على الرغم من أن هنـاك الكثير مـن الفوارق بيـن العمـر التنمـوى "Developmental age عمر النمو (العمر الوحيد الأكـثر أهميـة بالنسبة للتعليـم الاجتماعى) وكذلك العمر الزمنى للمراهقين الذين يتعاملون معهم.[١]

ونحـاول مـن خـلال هـذا الفصـل أن نحلـل بـالتفصيل المجتمعــات المختلفـة وجماعات الكبار الذين يتعين على المراهقين التعامل معهم بالإضافة إلى الجماعات المختلفة من المراهقين. وعلى الرغم من ذلك، فإن الخبرة أو التجربة قد علمتنا أن المعاملة الحالية قد تتعرض للإنتقاد عندما نحـاول وضـع الأفـراد فـى فئـات جـامدة وتجاهل الأكاديميين للفـروق الفرديـة والتميز لكـل فـرد علـى ظهـر الأرض. وقـد يكون النقد صحيحاً إذا ما كان يُكتب هنا يقدم -ظاهرياً- تقريراً كـاملاً لأى شـاب. وعلـى الرغـم مـن أن الحيـاة الفرديـة تتعـرض للعديـد مــن الضغـوط والمؤثـرات المختلفـة والتـى يكـون العديـد منهـا ذو صيغـة فرديـة للغايـة مثـل العائلـة وجماعـة الأصدقاء وشلة اللعب فى الشارع وجماعة الجوار والأصدقاء[٢]، إلا أننا لا نعطـى

كل هؤلاء اهتماماً كافياً، وبدلاً من ذلك نهتم فقط بالسمات الكلية الأكثر عمومية. ويرى الكاتب أنه أياً كانت الأهمية التى نعطيها للقالب الاجتماعى للشخصية، فإن الناس ليسوا مجرد ثباتات تخلقها بيئتهم: فلهم قدرات محدودة فى تشكيل مصيرهم وبناء شخصيتهم.

ولأننا ندرك أن كل مراهق يختلف عن الآخر، فان ما يكتب هنا ليس المقصود به أن يكون اكلينيكياً، أو القول بأنه يمكن وضع البشر فى إطار معين. ويأخذ علماء الاجتماع والباحثين الاجتماعيين فى إعتبارهم قوة مشاعر الكراهية التى تتولد لدى الناس إذا فكروا لحظة أن يكونوا مجرد إحصائيين أو أن يكونوا – فى حد ذاتهم– مجرد معلومات إحصائية. وهم يتشككون فى قيمة ما يمكن الوصول إليه من خلال الحقائق التى يكتسبونها عنهم، وبالتالى فهم يتجمعون مع الآخرين الذين تنطبق عليهم نفس الخاصية وتبعاً لذلك تتضاءل كرامتهم.[٣]

ولكن الواقع أن الناس يختلفون عن بعضهم البعض، ولكنهم –فى الوقت ذاته– يتشابهون فى العديد من الجوانب الهامة، ولكن ليس معنى ذلك إنكار تمايزهم، وأكثر من ذلك، فإن إدراك سماتهم العامة يعتبر جزءاً من عملية فهمهم بشكل أفضل وبالتالى مساعدة المربين على أداء مهامهم (وهذه الفكرة هى التى تكمن وراء توسع دور الباحث الاجتماعى اكثر من دور دارس الحالة).[٤]

شباب إنجلترا– ما هى قيمتهم للمجتمع ككل؟

بلغة علم الاجتماع، فان المعيار هو الشئ المتوقع أو الاتجاه المقبول اجتماعياً. وقد لا يكون ما يتحدث عنه الناس مماثلاً لما يفكرون فيه. وفى معظم المجتمعات الإنسانية، توجد درجة من النفاق، بمعنى أن الناس يزعمون أنهم يتفقون مع المعيار عندما يفكرون بشكل خاص ويتصرفون بشكل مختلف– وهو معيار يرتبط بنظرة ينبغى علينا ألا نتردد فى التعبير عنها فى ظل وجود الغرباء.

ما هى المعايير المتعلقة بالمراهقين فى بريطانيا؟ وما هو الرأى العام المتعلق بالكيفية التى يجب أن يتصرفوا بها؟ وما مدى صحة آراء الكبار عنهم وكذلك الكيفية التى ينبغى أن يتصرف بها المجتمع ككل حيال ضبطهم وتقديم الخدمات لهم؟

لقد لاحظنا بالفعل أن هناك خلطاً وقلقاً فى هذا الصدد. وفى وقت التغير الاجتماعى السريع، نجد أن بعض المعايير القائمة والخاصة بمجتمع ما تخضع دائماً للتساؤل والتغير. ويتصور المرء منا أنه عندما كان يتحدث الكبار فى المجتمعات المبكرة الاستاتيكية الصغيرة، لم يكن بينهم اختلافات كبيرة عن الكيفية التى ينبغى معاملة الصغار بها. ويمكن قياس حالتنا اللامعيارية فى الوقت الحاضر بخصوص هذا الأمر فى عدة أماكن. وإحداها هى إذا تصورنا وجود شخص غريب بيننا ومن ثم نضطر إلى التحدث معه- وليكن مثلاً فى حفل كوكتيل أو فى رحلة بالقطار. وإذا ظهر شئ يستحق الجدل، تكون آراءنا تقريبية ولا نستطيع التنبؤ بآراء الغير لأننا نعرف أن هناك آراءً متشعبة بخصوص كل هذه الأمور. وفى ضوء كل هذه المواقف، نستنتج أن الشباب فى بريطانيا لم يكن يلقى العناية الملائمة وكان البعض يتحاشى التعامل معه. (والواحد منا يمكن أن يختبر عدم اليقين فى نقطة أخرى). ومن وقت لآخر، سوف يلخص المؤلف التقارير الرسمية وغير الرسمية التى نشرت على مدى عدد من السنوات وهى التقارير المتعلقة بتعليم الصغار، وهنا تظهر بعض التناقضات. فلا يوجد جانب رئيسى فى السلوك الانسانى أو تفسيراً للغز الحياة الإنسانية حيث لا توجد أراء متناقضة حولها فى مجتمعنا.

وبوضوح فان الشباب يتأثر بهذا الشك العام، كما أن الشباب يمثل أحد الموضوعات التى تتعدد الآراء بشأنها، ويرتبط بذلك سبب آخر يظهر حيرة الأكبر سناً ومن ثم عدم معرفة كيفية الاستفادة من الصغار.

ويسهل علينا فهم أى كائن بشرى آخر أو مجموعة من الناس عندما تكون لدينا نفس التجارب. ومع وجود مبرر جيد قد نقول: كيف نشعر، وربما يجدر بنا أن نؤكد على أنه ليس من الضرورى أن تكون التجربة مماثلة لتجربتهم، ولكنها يمكن أن تكون متقاربة. وهكذا... ولكى نستطيع أن نتحدث بشكل متعاطف مع شاب نبذته صديقته، فانه يكفى أن نعرف مشاعر الرفض وليس من الضرورى أن نخوض نفس تجربته أى أن نتعرض للنبذ من جانب امرأة عاشقة.

وتتعلق الشكوك بما مؤداه أنه ليست هناك مجالات مشتركة للخبرة بين

الأكبر سناً والأصغر سناً فى مجتمعنا والتى تسبب ما يعرف باسم الهوة الجيلية والتوتر الجيلى. وقد يشعر الكبار أن الصغار ينشأون فى عالم مختلف وهو عالم أجهزة الراديو والسفر فى الفضاء والمعايير المتغيرة وأنهم لا يستخدمون مجموعاتهم التذكارية الخاصة بالمراهقة لفهم الصغار فى الوقت الحاضر وان العبارة القائلة: "أننى أعرف كيف نشعر" أقل إقناعاً. وهذا يعززه الرأى السائد لدى العديد من الشباب والذى مؤداه أن أكبرهم سناً لا يمكن أن يفهموا الظروف الحالية وأن هناك بعض نقاط الاتصال بين مراهقتهم وبين ما كان يعرفه والديهم عندما كانوا فى نفس عمرهم.

وعلى الرغم من الحيرة –على أى حال– فنحن على وشك القول بأن هناك عنصراً أو عنصرين شائعين –متكاملين وربما متناقضين– عن كيفية بقاء الرأى العام بخصوص هذا الموضوع... وفيما يلى أربعة توقعات عن علاقة مجتمعنا بالشباب. والتعبيرات المعتدلة لأى منها لا تتطلب انفصالاً شديداً ولن تسبب اندهاش أى جماعة من الناس:–

١–إن المجتمع لديه مسئولية تجاه شبابه. والواقع أنه ليس هناك شئ جديد فى هذا المعيار، فقد كان هناك إيمان قوى لدى البريطانيين لفترة طويلة بضرورة دعم الصغار وتشجيعهم فى القرن الثامن عشر، حيث نجد أن الرواد التعليميين مثل حنا مور Hannah More واليزابيث فراى E.Fry قد إعتمدوا على هذه الحقيقة– ولكن هذه الفكرة إزدادت فى القرن العشرين من خلال اتجاهين:–

الأول: هو الاستعداد للوم المجتمع بسبب متاعب الفرد بدلاً من إرجاع المشكلة إلى نقص جهد الفرد. ومن الشائع فى الوقت الحاضر أن نتصور الناس على أنهم ضحايا وليسوا مخطئين... و **الثانى:** هو النزعة المتزايدة نحو المساواة والتى تقنعنا بأن إمتيازات الحياة يجب ألا تكون حكراً على الأقلية ولكن يجب أن يشترك فيها الجميع.

والشباب يعتبر غير متمرس الآن، ولذلك يمكن أن يصبح مستقبلاً لتلك التوقعات المليئة بالأمل. كما أن العديد من أولياء الأمور تدفعهم الرغبة فى أن يوفروا لأبنائهم بداية ـــ فى الحياة مقارنة بما كانت موجودة لديهم. ومن ناحية

أخرى نجد أن الناس الذين ينتقدون العادات ونظرة الجيل الصاعد يُصدمون عندما يسمعون عن الشباب الذين يعانون بسبب انتمائهم لبيئات إجتماعية فقيرة مثل بعض الشباب الذين يعيشون بلا هدف في معظم مدننا[٥] أو الذين يكونون ضحايا لإهمال العائلة[٦] أو الذين لا يستطيعون الاستفادة بالفرص التعليمية لأنه لا توجد معرفة كافية أو تشجيع من الطبقة الاجتماعية التي ينتمون إليها.[٧] وأحد العناصر التي تبين طريقة تفكير الشعب البريطاني تجاه شبابهم تظهر من خلال مسئولية المجتمع تجاههم.

٢- إن الشباب في حاجة إلى تنشئة اجتماعية: فالمجتمعات الإنسانية لديها دافع نحو حفظ الذات مثلها في ذلك مثل الأفراد، كما أن الضغوط الظاهرة والكامنة تجري ممارستها على القادمين الجدد سواء ولدوا في المجتمع أم هاجروا إليه لكي يتوافقوا مع النظام الموجود- على الأقل في الأمور التي تعتبر هامة- والإبقاء على كيان المجتمع. ولدى المجتمعات العديد من الحلفاء في عملية التنشئة الاجتماعية- الوالدين والمدرسة مثلاً- ولكن أكثر الحلفاء فائدة هو الفرد ذاته والذي قد يغرس قيم مجتمعه في ذاته وأن يستخدم للدفاع عنها كحقيقة نهائية. وطبقا لما قاله بيتر برجر Peter Berger في تقرير الوضع الانساني أنه يجب علينا أن نهتم بالإنسان في المجتمع والمجتمع في الإنسان.[٨]

وإذا أنصتنا بعناية لأنفسنا وللآخرين الذين يتحدثون عن الشباب، فمن الممكن أن نلتقط جوانب كامنة لتوقعات التنشئة الاجتماعية، ونحن لا نرغب في أن يمثلوا التمزقات الثقافية الكبرى أي الانفصال عما ورثناه من الماضي وما هو أكثر إثارة هم أولئك الذين يعتبرون أنفسهم أكثر تقدما أو أكثر خبرة في الأمور الجيلية وأنهم بمثابة طليعة في هذه الأمور وسوف يكشفون توقعاتنا عن تنشئة الصغار. والرجل الذي يتناول موضوعاً يتعلق بالعالم الجديد، ذلك العالم الذي يسكنه الشباب ويتضمن عمليات صناعية جديدة وتغيرات تكنولوجية وسيادة نظام الحكم القائم على مبدأ الثواب والعقاب ونمو عملية التحضر، هذا الرجل سيوضح أنه مهتم بمجال ما وأنه لا يتوقع أن يتحدى القادمون الجدد النظام القديم القائم. ويختلف الناس في مدى تمسكهم بهذا المعيار للتنشئة الاجتماعية -وهم يرون ضرورة

تطبيقه فى مجالات مختلفة- ولكن بصفة عامة يكون التوقع شائعاً بالكيفية التى نتصورها بخصوص شباب بريطانيا.

٣- إن الشباب يتسمون بالثورية: وهذا قد يبدو متناقضاً من الناحية الظاهرية على الأقل فى ضوء الجزء الأخير ولكنه ليس المجال الوحيد الذى توجد لدى الأمة فى ظله توقعات متناقضة.

وفى الواقع نجد أن هناك درجة معقولة من التسامح الاجتماعى بالنسبة للفكرة التى مؤداها أن الشباب مختلف، ولكن فى ضوء الاعتبارات التى تم وضعها فى الفقرة الأخيرة، يصعب الوصول إلى نتائج ذات قيمة. وتوضح نتائج مسجروف F. Musgrove أن هذا ليس غريباً وأن أفضل الطرق لمنع الشباب من (تقويض) المجتمع هو إنهاء إحباطاتهم وإعطائهم قوة عندما يتبنون وجهات نظر محافظة. وهناك مؤشرات من عدة مجتمعات متشابهة على أن الشباب يقدمون حافزاً نحو التجريب والتغير الاجتماعى وسوف يحدث ذلك عندما يحُرمون من القوة وليس إعطائهم إياها.[٩]

وأكثر التعليقات شيوعاً التى أثيرت عند مناقشة قضية تمرد الشباب هى أنه من الضرورى أن يكتسب الصغار حوافزهم من خلال تمردهم ضد الكبار. وليس من الضرورى أن يتكون المستمعين من خبراء تربية محترفين ومن ثم سوف يستجيبون بديهياً للتعليقات والقصص التى تفسر هذا الموضوع. وأحد الأمثلة على ذلك هى تعليق فرويد القائل بأن الصبى لا يصبح رجلاً حتى يموت أبيه.

ونحن كعامة الناس فى بريطانيا نهتم بالتوقعات الثورية لشبابنا، وقد نبالغ فى وصف هذا الأمر بشكل يتخطى ما تحتويه الحقائق وكما أوضح كثير من الكتاب الذين سبق ذكرهم مثل مسجروف[١٠] أنه ليس هناك منظور فورى لأى تمرد من جانب الشباب ضد ظروفهم إلى جانب العادات والاتجاهات السائدة وكذلك نظم مجتمعنا، ولم يعطوا مثل هذا التأييد مثلما يفعلون فى الوقت الحاضر لنظم الزواج، وربما أيضاً لم يكونوا راضين عن النظام الاقتصادى والوظائف التى يتيحها لهم.

٤-إن الشباب يستمتعون بأوقاتهم: وأخيراً فان هناك توقعاً ينطوى على اللذة

والمتعة. فالناس يقبلون الفكرة التى مؤداها أنه يجب أن تكون لدى الشباب أوقاتاً سعيدة: إستمتع بحياتك: إنك تمر بمرحلة الشباب مرة واحدة فى حياتك. فالحصول على المزيد من المال للإنفاق والمعيشة فى مجتمع إستهلاكى ملئ بالابتكارات الفنية الجديدة الخاصة بالترفيه وفى وقت ما يكون لكل الطبقات الاجتماعية حقوقاً متساوية فى الاستمتاع، فما الذى يعتبر أكثر حتمية من هذا التوقع؟ ونجوم (البوب) يعتبرون أبطالاً بالنسبة لمن هم فى مرحلة منتصف العمر أيضاً.

وهناك عدة عوامل يمكن ذكرها بالنسبة لهذا المعيار وهو يحتوى على عدة عناصر بديلة بعدة طرق وإحداها هى أن الشباب يتمتعون بأوقات سعيدة لم يسبق لكبار السن أن إستمتعوا بها خلال أوقات فقرهم. وهناك كيفية أخرى وهى أن الأفراد الأكبر سناً قد يكتسبون إثارة بديلة من المشاركة فى إمتاع الشباب وإلى حد ما الشرب من ينبوع الشباب وقد أوضح ماتزا Matza أن هناك نوعاً من التحالف السرى بين الميول الانحرافية لبعض جماعات الصغار والميول الانحرافية للعديد من البالغين فى المجتمعات الحديثة. ونجد أن شيوع روايات الجريمة فى الكتب وعلى الشاشة والتعاطف العام مع المجرمين الذين ينجحون فى ارتكاب الجرائم مثل سارق قطار البريد، كل ذلك يوضح أنه قد يكون هناك شئ غامض فى الرؤية.

كيف ترى الجماعات المختلفة من البالغين شباب إنجلترا؟

ربما لا توجد لدى الشخص البالغ أربعة عناصر - حسبما وصفناها - متوازنة. أو بتعبير آخر ليس هناك شخص كبير سوى بمعنى أنه يمثل فى اتجاهه نفس نسبة هذه العناصر كما توجد فى المجتمع ككل. وفى ذلك كتب ديفيز وجيبسون Davies and Gibson تقريراً ممتعاً عن طرق استجابة الأكبر سناً للمراهقين فى بريطانيا إذا لم يكونوا متأكدين من مدى فائدتهم.[11] ما نصه:-

"إن الشخص البالغ (عند مواجهته للشاب) يجد نفسه فى حالة غموض ويتلقى إشارات متعارضة عن الاتجاه الذى سيلتزم به. والشخص الكبير يماثل الطفل الرضيع أو الكلب الذى تواجهه بعض الإنطباعات وهو يستجيب تبعاً لذلك. وقد

يستطيع القيام بعدة أشياء، وقد يضع ذيله بين رجليه أو يدير وجهه لوسادة العربة وبالتالى يتجنب المسألة. أو قد يحاول إرضاء الجانب الروحى الغامض عن طريق إقرار رغبة الشباب وتأييد كل فعل وكل إتجاه لديه. وبالتبادل قد يحاول جعل الصورة المزعجة مألوفة ومن ثم يعرف كيف يتعامل معها......".

وقد يضاف إلى ذلك أن كل واحد منا يحاول تجربة الحلول المختلفة فى أوقات مختلفة إعتماداً على أمزجتنا أو حتى وقت اليوم.

ولكن الاتجاه السائد بالنسبة للشباب من جانب أحد الكبار يبرز لنا من خلال عدة أسباب متشابكة ذات العلاقة بالشخصية والخبرات والظروف الاجتماعية. وقد يبدو -حسبما أوضحنا- أنه لا يوجد شخص فى أى مكان يخبرنا الكثير عن نفسه وبالتالى فانهم- كأصحاب فلسفات شخصية واتجاهات وقيم ولهم أحفاد- لا يخبروننا عن أنفسهم مثلما يفعلون عندما يتحدثون عن الشباب: وتعتبر تعليقاتهم هنا بمثابة مرآة تعكس مخاوفهم ونضجهم معاً. وقد أوضح إيزنك Eysenck أن سماتنا الشخصية توجه إختياراتنا السياسية: وما إذا كنا واقعيين أم راديكاليين، فان ذلك يؤثر على الأمر الخاص باختيار الحزب وتأييدنا له. وهذا التحليل -بلا شك- له معنى هام فى مناقشتنا الحالية. وفى محاولة لفهم المراهقين... فان الكبار فى الوقت الحاضر يجدون ما يقنعهم بإبراز خبرتهم بخصوص الوقائع الحالية. وينتمى الناس إلى الجماعات الاجتماعية التى تعمل على بلورة آرائهم بخصوص هذا الأمر. وأحد المتحمسين للقضاء على الضوضاء، قد يسمع فقط صوت محرك دراجاتهم البخارية عندما يفكر فى الشباب. والمؤيد القوى لأى نوع من التراث قد يجد نفسه لا يفكر كثيراً فى الجيل الأصغر عندما لا يهتمون بالتراث.

ما هى بعض الطرق العامة التى يفكر بها الكبار تجاه الشباب فى بريطانيا؟

من الأفضل أن نقول أن معظم الناس يتبنون اتجاهات مسئولية، ولكننا من ناحية أخرى نعتقد أن اتجاهات البالغين نحو الشباب تأخذ عدة طرق وهى:

١- البعض يؤكد على اغتراب الشباب عن مجتمعهم (والاغتراب معناه شعور	-البعض يؤكد أن الشباب يشعرون بالاغتراب بدرجة مبالغ فيها.

الإنسان أنه غريب وهو يعيش فى وطنه).	
٢- البعض يلومون الشباب وينظرون إليهم على أنهم مخطئون وأنهم سبب المتاعب التى يتعرضون لها.	-البعض يلوم المجتمع -وليس الشباب- وأنه المسئول عن مشكلات الشباب، ويؤكدون على أن أى مجتمع يحصل على الشباب الذين يستحقهم، كما أن الشباب بمثابة ضحايا.
٣- البعض يريدون من بريطانيا أن تمارس ضبطاً أكبر على شبابها. ويعتبر بريان ويلسون Bryan wilson من الذين كتبوا فى تلك النقطة.	-البعض يريدون من بريطانيا أن تمنح مزيداً من الحرية والمكانة للشباب.

ولكن من الممكن أن يكون هناك تقريراً مفصلاً بخصوص هذه المسألة، ومن خلال ترقبنا للمرحلة التالية فى الحوار وعرض الآراء تزداد قناعتنا بأن أكثر الاتجاهات فائدة والتى يتبناها الشباب هى التوقع والاحترام ورغبتهم فى المشاركة. وما يهمنا الآن هو أساليب تناول الكبار للصغار، ولكن ما هو غير مجدى هو تلك الأشكال المتطرفة لتلك العلاقة، وتتمثل تلك الأساليب فى الأتى:

١-أن المجتمع لديه مسئولية تجاه شبابه. ومنها:

أ-الرحمة أو الشفقة: pity وهذا رد فعل شائع ويأخذ شكل الحكم على أن إهمال الوالدين هو المتسبب فى حدوث أى مشكلات خاصة بالأحداث. وبالطبع ومثلما هو الحال فى جميع الحالات، فان هناك درجة من الصدق فى النظرة، ولكننا خلال هذا الجزء نفكر فى الذين يسمحون لجانب واحد من جوانب خبرة المراهقة أن يملاء تصورهم الكلى.

ب-الدعاية أو الوصاية (السيطرة) Patronage:

ويمكن تلخيص هذه النظرة بأنها رؤية لحركة التعليم والمساعدة على سيرها فى اتجاه واحد فقط -إلى أسفل البناء العمرى.

ج-الأسلوب الأبوى Paternalism:

وفى هذا فنحن نريد أن نمارس الدعاية، ولكننا لا نريد الاستماع إلى أفكارهم، فنحن نعتقد أننا نعرف ما يصلح لهم:فالنزعة الأبوية تسلطية بشكل ملموس.

د-التساهل أو التسامح Indulgence:

وهو شيء ملموس يمكن رؤيته وملاحظته بين الوالدين الذين يفهمون جيداً وظيفة الحب الذى يوجد لديهم تجاه أبنائهم ولكنهم لا يدركون أن لديهم وظيفة الصدق. وبمعنى آخر فمن الممكن أن يعطوهم أمن العاطفة الثابتة ولكنهم لا يشجعون التنظيم الذاتى الذى يمكن الأبناء من مواجهة مهام حياتهم.

هـ- الخدمة Service:

وبوضوح فإننا هنا لا نفكر فى الدفاع الذى يكمن وراء قبول المسئولية التعليمية بالمعنى الواسع للكلمة بالنسبة للأعضاء الأصغر فى المجتمع. ونحن نفكر فى ذلك من خلال أشكاله المبالغ فيها عندما نرى الشباب على أنهم أكثر الفئات استحقاقاً للخدمة، فهناك الأباء الذين يضحون بأنفسهم من أجل أبنائهم ولا يستمتعون بحياة خاصة بمعزل عن أبنائهم وهناك بعض العمال الشباب الذين طوروا حاجة سيكولوجية ملحة تتعلق بخدمة الشباب.

وتتعرض الآراء الخمسة السابقة لنقد كبير وذلك لأنها تنسب للشباب الكثير من الآراء السلبية.

١-أن السباب فى حاجة إلى تنشئة اجتماعية: ويتمثل ذلك فى الآتى:

أ- الغرس المذهبى Indoctrination:

فالشخص البالغ فى معظم الحالات لديه التزام بنسق القيمة والذى قد يكون دينياً أو سياسياً أو نشاطاً مثل الملاكمة أو تسلق الجبال. والسمة العالمية هى أنه يقدم خبرته الخاصة للصغير. وهو يفترض أن ما كان يعتبر تحديدياً له سوف

يعتبر تحديدياً للآخرين أيضاً "فالملاكمة سوف تصنع رجلاً منه لأنها صنعت رجلاً مني" وفي أسوأ الحالات فان المتحمس يقسم السلالة البشرية إلى اثنين أولئك الذين يدعمون إلتزامه وأولئك الذين لا يدعمونه.

ب- التعبئة والتنظيم Recruitment:

وهذا هو الجانب التنظيمي للنظرة السابقة: إنها محاولة لجمع الأعضاء الأحداث ضمن الحركات التي تعبر عن الالتزام الإيديولوجي مثل -الكنيسة والحزب السياسي والهواية والإصلاح أو بناء المصلحة الخاصة. والعديد من الحركات التقليدية في مراجعاتها تبرز وعيها بالحقيقة التي مؤداها أنهم لا يستطيعون البقاء بدون تأييد من الجيل الجديد.

ج- الإدانة Condemnation:

فهناك تعبيرات تضم كل أعضاء الجماعة العمرية الواحدة، وتحكم على سلوكهم بأنه غير مرضي وغير قويم.

د- الخوف Fear:

وهذا هو المدخل الأخير، وهو ينظر إلى الشباب على أنهم أعداء وبمثابة كباش فداء -ولديهم بالطبع خصائص كبش الفداء- وهم معروفين بطرز ملابسهم وطريقة تصفيف شعورهم ويميلون إلى التجمع معاً. وسبب رؤية الشباب أساساً في ضوء التهديد، فانه تنشأ تبعاً لذلك متطلبات الضبط الاجتماعي.

ويتمثل التكوين السائد غير المرضي لهذه الاتجاهات الأربع في أنها تقلل من قيمة درجة التغير في بلدنا، فهم يميلون بدرجة كبيرة إلى توقع قبول القادمين الجدد للقضايا غير المعرضة للنقد.

٢-أن كل الشباب سيكونون ثوريين: ومن أمثلة ذلك:

أ- التحرر Emancipation:

وهو تفسير يشيع بين خبراء التربية وعلماء الاجتماع وان كان لا يعتبر سائداً بينهم وتقوم ركيزته الأساسية على أن الكبار مخطئون عندما يفترضون أن لديهم الخبرة الكافية لتوجيه الشباب وأنهم يستغلون مراكزهم في السلطة لتقييد

تلقائية الشباب، وهم يتبنون تقاليداً لم تعد تلائم العصر الجديد وهم ينكرون معرفة مكانة الكبار وحتى المراهقة المعاصرة.

ب- التقليد Imitation:

حيث يتم تصوير القادمين الجدد على أنهم واضعين للاتجاه وأنهم الذين يتزعمون طرازاً جديداً للمعيشة كما يقوم أصحاب الشجاعة والمبادرة بتقليدهم. ولم تعد ظاهرة مراهقة الكبار مجهولة الآن.

ج- التعبئة والحشد لقيادة ثورة سياسية واجتماعية Appointment to lead a Social Political revolution:

وهذا هو الاتجاه أو المدخل الأخير الذى يسير وفقاً لمسارات سياسية وإيجابية نشطة. وبعض البالغين يعملون على تغذية التوقعات التى مؤداها أنه سوف تبرز سمه جديدة لحياه المجتمع تقوم على المثالية والشباب النشط، وتتمثل هذه السمة فى روح السخرية والنزعة المادية وعدم الإخلاص، وهى كلها أمور تدمر الروح الإنسانية.

وتكمن هنا مغالطة وراء هذه التفسيرات الثلاث والتى تبالغ فى بيان قدرة وإستعداد الشباب على إحداث تغير راديكالى: فالشباب بشكل عام أكثر تحفظاً فى نظرتهم مقارنة بالمؤيدين. وقد قيل مثلاً أن مهمة إقناع الغالبية الممثلة من شباب إنجلترا للتفاعل مع المغامرة والمثالية الأكبر فى الحياة ... هذه المهمة تعتبر أكبر من مشكلة إقناع الأقلية المغتربة بأن تكون أقل تدميراً وعداءً للمجتمع. وقد لا تتفق النظرة المتفائلة التى سبق التعبير عنها مع الواقع القائل بأن المثالية الثورية للشباب تعكس راديكالية الذين يتحملون القليل من المسئولية الاجتماعية.

٣-إن الشباب يستمتعون بحياتهم: ومن مظاهر ذلك:

أ- الحسد Envy:

فبعض الكبار فى بريطانيا يعتقدون بأن الشباب هناك يتصف بالغيرة لأنهم - أى الشباب- يرتبطون بأشياء فقدها مثل الطاقة والحرية والفرص الكثيرة والجمال كما أن الأحوال العامة فى الحياة أفضل بالنسبة للجيل الجديد.

ب- مصدر الاستمتاع والترفيه:

"إننى أحب أن أرى الشباب يستمتعون بحياتهم" ومعنى ذلك إننى استمتع بحياتى من خلال استمتاعهم، وهذه السمة تسيطر على طريقة تفكير بعض الكبار عند تعاملهم مع الصغار. وحسبما رأينا فان "ماتزا" يعتقد أن هناك تفاهماً ضمنياً بين المنحرفين الأحداث والتعاطف مع الانحراف لدى السكان ككل.(١٢)

ومثل الفئات الأخرى، فان هاتين الجماعتين تتصفان بعدم الاكتمال: فسماتهم متشابكة ومتداخلة: فهم يصفون الخصائص العامة لجماعات الكبار وليس السمات الفريدة لشخص واحد بالغ ولكن هذه الخصائص تمثل محاولة لزيادة الأدلة الموجودة لدينا الآن.

كيف يرى شباب إنجلترا نفسه؟

وهنا نهتم باكتشاف كيفية تعرف شباب إنجلترا على ذاتهم واندماجهم مع مجتمعهم من خلال سلوكهم وليس من خلال وعيهم الذاتى ويعتبر ذلك أول قضية يتم طرحها. ولا يمكن القول بأن الشباب يدرك أنه فى مرحلة الشباب باستمرار. ومثل جماعات الأقلية والجماعات الهامشية الأخرى فى بريطانيا -مثل المهاجرين الوافدين- فان الإنسان يظن أنهم يرغبون فى نوعين من الارتباط أحدهما عندما يختلطون بالآخرين من جنسهم، وفى هذه الحالة، فأن أعضاء نفس الجماعة العمرية يماثلون بعضهم البعض، والارتباط الآخر هو عندما لا يتميزون عن بقية أعضاء المجتمع. وهناك الكثير من التعارض بينهم عندما تتم الكتابة عن المراهقين مثلاً عندما يقال عنهم أنهم كما لو كانوا سلالة مختلفة وفى عام ١٩٦٠ جاء فى تقرير البيمارل Albemarle ما معناه: "ليس من المستغرب إذن أن الشباب فى الوقت الحاضر لديهم وعى بذاتهم بشكل كبير، وهم يعرفون أن الآخرين يتحدثون عنهم كثيراً،(١٣) وهم يشعرون أن هناك خطأ عندما يتعرف عليهم كبار السن من خلال أعمارهم".

ومن ناحية أخرى، فمن الحقيقى ولأسباب مختلفة غير تلك المتعلقة بالمصلحة العامة، أن هناك إدراكاً متزايداً من جانب الشباب على أنه مختلف عن

الآخرين وذلك لصغر سن الشباب، وهذا الأمر يعكس وجود المسافة الجبلية وقد بحثنا بالفعل الأسباب التى وردت فى المناقشات عن قوة الإتفاق لدى المراهقين ونمو ثقافة "البوب" Pop culture والسمات العامة للتغير الاجتماعى السريع. وهناك العديد من المجالات الهامة التى يشعر الشباب خلالها أن توجيه الكبار وأحكامهم لم تعد ملائمة.

وهذا يؤدى بالطبع إلى تناقض رئيسى بالنسبة لموضوع التوحد الذاتى للشباب بالمجتمع ككل: ما هو مدى عمق الشعور بالاغتراب؟ وفى ذلك فقد ساعد البحث الواعى على تعديل الآراء المتطرفة التى توضح أن هناك رفضاً خطيراً وشائعاً من جانب الشباب لقيم مجتمعهم.(١٤) وقد قام كل من ليت E.M. Let وإيبيل E. Eppel بالعديد من الدراسات: وفى ختام دراستهما عن الاتجاهات الأخلاقية لدى الشباب العامل كتبا الآتى: "أن هناك دليلاً على التغير فى بعض جوانب قوانينهم الأخلاقية ومشاعرهم، ولكن ذلك التغير يتضمن تحولاً فى الاتجاه والتركيز وإعادة تقييم الجزاءات بالنسبة للسلوك الأخلاقى بدلاً من تبنى مجموعة جديدة من المبادىء أو استحسان الأشكال المختلفة للسلوك". ويوضح نفس هذا الاقتباس أننا على العكس من ذلك نقلل من أهمية رفض الشباب لمعايير المجتمع الذى يعيشون فيه. ومن الأشياء الشائعة أن أى انحراف اجتماعى يقتصر على أقلية من الطلاب والشباب. وما تتجاهله هذه النظرة هو الاحتمال القائل بأن هذه الأقلية قد تمثل إلى حد ما قمة باردة فى انشقاق المراهقين ... وسوف نعود إلى هذه النقطة تفصيلياً فيما بعد.

وإذا كنا نرغب فى أن نكوّن بعض الفئات الخاصة بهذا الموضوع، فسوف نأخذ فكرة الاغتراب كمبدأ رئيسى لتقسيم تلك الفئات، وهكذا فنحن نقترح الفئات التالية:

أ- الممتثلين The conformists

ب- المجرمين The experimenters

ج-المنعزلين (الغير خاضعين لتنشئة صحيحة) The desocialized

وهذا يعتبر تمييز موجز، كما أنه يميز بين نوعين من الشباب الذين لا يتوافقون مع الأمور كما يجدونها. فقد يتم تسمية المجربين بالرافضين إجتماعياً لأنهم يريدون تغيير المجتمع. ومن ناحية أخرى، فان الذين لم تتم تنشئتهم اجتماعياً هم المرفوضون اجتماعياً أو المحرومون. وعلى الرغم من هذه المزايا، فان الصورة ككل تنقصها التفاصيل، وكنتيجة لذلك فهى تضم نفس فئة الصغار الذين تتباين اتجاهاتهم ... وفيما يلى ملخص لبناء قدمه ج. مايز J.B.Mays.(١٥)

-**المجموعة الأولى:** وهى تشمل الشباب المتشبعون بالكراهية تجاه الظروف البيئية المحيطة بهم.

-**المجموعة الثانية:** وهى تشمل الصغار والمحبطون اجتماعياً والفاشلون ولكنهم لا يستسلمون لإحباطهم وانهيار قيمتهم بالعداء الدائم والعدوان ضد القطاعات الملتزمة بالقانون فى المجتمع.

-**المجموعة الثالثة:** وهى تشمل الشباب الأكثر التزاماً من الناحية الأخلاقية بغض النظر عن أساس الطبقة الاجتماعية، إنهم الشباب الغاضب فى العصر الحديث.

-**المجموعة الرابعة:** وهذا يعتبر قطاعا منحرفا من فئة الشباب الذين يرفضون كل مظاهر العالم المعاصر.

-**المجموعة الخامسة:** وهم يمثلون الشباب من الجنسين الذين يعيشون فى المجتمع الغنى وينتمون أصلاً للطبقة العاملة أو الوسطى الأدنى ولكنهم ينظرون للعالم من حولهم بثقة كبيرة.

-**المجموعة السادسة:** وهى مكونة من أفراد الطبقة الوسطى والجماعات المنظمة المنتمية للمدارس العامة والذين تكيفوا جيداً مع أصولهم التى ينتمون إليها، وهؤلاء لديهم القدرة على التفاهم والتعايش مع أوساط العمل والحياة التجارية.

-وتحت وطأة الانتقاد أضاف البروفيسور "مايز".

-مجموعة سابعة: وتشمل الذين لديهم قدرات أقل وينتمون لطبقات أدنى، ومع

ذلك فهم يتكيفون مع ظروفهم فى الحياة ويقبلون مكانتهم الدنيا وهى القاعدة البروليتارية العريضة والتى ليس لديها الدوافع للتمرد.

ويقدم ميشيل كارتر Michael carter بناءً مهماً للعمال الشباب فى ضوء أنواع مختلفة من البيوت والخلفيات أو الأسس الاجتماعية التى ينحدرون منها كالآتى:(١٦)

١-نمط العائلة الطامحة والتى يمثل البيت محور نشاطها: فالاستقلال والاحترام يمثلان عنصران رئيسيان فى هذه العائلات. فهناك رغبة فى الحفاظ على المعايير وإعطاء فرصة جيدة فى الحياة حيث يهتم الوالدان بسير أبنائهم الدراسى وتشجيع أبنائهم للانضمام إلى الكنائس وتنظيمات الشباب، وهناك قسمان نوعيان يحترمان الأشكال المختلفة للسلطة ويهتمان بالمظاهر..

٢-نمط الطبقة العاملة الصلبة: وهى تتميز عن النمط الأول باهتمام أقل بالمظاهر والاستقرار وقبول الحياة على حالتها الراهنة، وهم لا يتوقعون الكثير من الحياة ويتقبلون مباهجهم وأفراحهم برزانة مثل أحزانهم.

وفى هذا النمط نجد أن الأبناء يستطيعون الاعتماد على والديهم فى تشجيعهم العام ولكنهم لا يتوقعون أن بإمكان والديهم توجيههم نحو عالم العمل.

٣-النمط غير المتميز للبيت وأصول العائلة، وفيه يعطى القليل من الاحترام للمعايير الرسمية وقيم المجتمع، كما يعيش الوالدين للحاضر وينفقون المال بسرعة بمجرد أن يحصلوا عليه، وينكرون قيم المدرسة ولا يجدون ارتباطا بينهم وبينها، ولا يشجعون أبناءهم على الانضمام للتنظيمات الشبابية الرسمية التى يرونها مليئة بالمغلوبين والمقهورين. والحياة من وجهة نظرهم هى مسألة حظ، ولكنك فى المقابل لن تحصل على الحظ السعيد إذا لم تكن مستعداً لاستغلال الفرص عندما تسنح لك. ومن هذه البيوت يأتى العديد من الصغار المحرومين والذين يكونون أكثر استعداداً للبعد عن الأماكن التى لا يوجد فيها فرص الترقيات، وهم يعادون المجتمع من خلال أنماط سلوكهم اليومى.

ومقولاتنا المقدمة هنا مبينه على تقسيم رئيسى بين مجموعتين الأولى هم

عن الحياة والمجتمع الذى يعيشون فيه، والثانية هم الساخطون على المجتمع ويطلق عليهم اسم المنشقون dissenters وهذه المجموعة بدورها تنقسم إلى مجموعتين فرعيتين: الأولى وتشمل الساخطين على المجتمع ويريدون تغييره بشكل ثورى. والثانية ويمثلها الساخطون على أوضاعهم الشخصية من خلال نظرتهم إلى الأمور. وقبل الخوض فى تفاصيل هذه الموضوعات لدينا تعليقان هامان. ولكننا لا نزعم أن أياً من هذه الفئات يصف نمطا معيناً من المراهقة. وعلاوة على ذلك فهم لا يمثلون أقساماً مغلقة تماماً أو يتضمنون تقسيمات محددة تتضمن ممارسات اجتماعية معينة: فيمكن تفسير أى سلوك بإحدى تلك الطرق والوسائل اعتماداً على نمط حياة الفرد ونيته الخاصة. وهكذا فان إدمان العقاقير يمكن أن يكون شكلاً من أشكال الهروب أو النزعة الثورية، وبالتالى فان تلك الفئات تميل إلى التداخل مع بعضها البعض، ونلاحظ هنا أنه يوجد حادثة واحدة فى قصة الشباب العالمى عندما تم الكشف عن وجود اتجاهين متعارضين وسادة الاعتقاد بإمكانية تحقيق الانسجام بينهما.

وفى ربيع عام ١٩٦٧ وخلال مسيرة سان فرانسيسكو للاحتجاج ضد حرب فيتنام تم القيام بمحاولة لتوحيد الراديكاليين السياسيين المهتمين بتغيير العالم مع الهيبز hippies المتهمين بالاستمتاع بالحياة بدرجة أكبر. وقد استمتع الهيبز بالموكب أكثر من استمتاعهم بالأحاديث. وعندما اتهمهم الراديكاليون بتخريب هذه المناسبة التى يجب أن يسودها الوقار بسبب سلوكهم المستهتر، كانت إجابة الهيبز هى:

"حسناً، لماذا ذلك؟ دع فيتنام تمنحك يوماً صاخباً مرحاً"(١٧) وهذا التعليق يوضح أن قائمة الأنماط التى سيرد ذكرها توحى بالاعتقاد بأنه لا يمكن المساواة بين المنبوذين اجتماعيا والمحرومين. وحسبما رأينا فى المجموعة السابعة التى ذكرها مايز، فان الصغار الذين فى حكم المراقب، محرومون ولكن سخطهم هذا ليس ذى قيمة، وعلى الرغم من أن فئتهم تعتبر سيئة إلا أنهم سعداء بذلك. بينما نجد أن فئة المنبوذين إجتماعياً تعتبر قاصرة على من يدركون شعورهم بالحرمان ويعارضونه ويتفاعلون معهم بطرق مميزة. وهناك على الأقل تصور واحد إلى

جانب ملاحظ متعاطف مع المراهقين أخبر بعض الباحثين المهتمين بهذا المجال، أن هناك مبالغة بخصوص إحساس المراهقين بالفشل والنبذ والفشل التعليمي.(١٨)

ويسود الاعتقاد بأن نسقنا التعليمي يختار الأقلية المتميزة ويترك الغالبية العظمى من الناس وهم مفعمون بأحاسيس الفشل والنبذ والسخط. وقد أظهرت الاختبارات السيكولوجية التي تم تطبيقها على كيفية رؤية المراهقين لأنفسهم ومجتمعهم، أظهرت وجود تعارضات وصراعات بين طلاب مدارس اللغات على الرغم من توقع وجود تلك الصراعات بين هذه الفئة المميزة. كما أن المنبوذين في المدارس الحديثة كان يساورهم شك أقل كما كانوا يربطون بين أنفسهم وعالم الكبار.

نمط شباب إنجلترا:

١-المؤيدون والقانعون والمتمثلون the "assenters", the "conten", the :conformists

إن غالبية الشباب يندرجون تحت هذه الفئة، وقد تكون - بينها-جماعات منشقة وذات اتجاهات متمردة، ولكنهم - ككل- عموماً يسايرون الأمور والأحداث من حولهم، وفي نفس الوقت يحققون التوقعات الثورية للكبار في مجتمعهم. وحتى بعد مرحلة محتملة من الانحراف، فان معظم الشباب يتأهبون للزواج والخروج للعمل والمحافظة على القانون من خلال أنماط سلوكهم المعتدلة، وأي شخص يشك في ذلك يمكن أن يبدأ حواراً خاصاً بالقضايا المعاصرة لجماعات الشباب ويرون مدى صحة آرائهم الخاصة بهذا الموضوع. وقد قيل أن احترام الغالبية يعتبر مخيفاً طبقاً لما يقوله تاوني Tawney في حكمته المأثورة القائلة بأن الواجب الأول للشباب ليس هو تجنب الأخطاء ولكنه طرح المبادرات وتحمل المسئولية ووضع التقاليد الجديدة وليس على القائم منها فقط.

وتعتبر الأنماط التالية من الشباب هم المؤيدون للوضع القائم:

أ-المتميزون الذين يكتفون بقبول امتيازاتهم: وهم نراهم راضين عن قدرهم في الحياة، فقد جاءوا من بيوت ذات ثراء نسبي وكانت الفرص التعليمية متوفرة

لديهم كما كانوا يحاطون بالحب والرعاية والتشجيع من جانب ذويهم. وهم فى عصرنا التكنولوجى الحالى يجب أن يحققوا النجاح باعتمادهم على أنفسهم، ولكن كل جانب من الجوانب البيئية الاجتماعية الخاصة بهم تبنى ثقتهم فى النجاح. ويتمثل مسار حياتهم العادى فى المرور من خلال المدرسة العامة والجامعات العريقة ثم الالتحاق بإحدى المهن، كما أنه لا يقلقهم ظلم الحياة حيث تعطى لهم الكثير فى حين تحرم الآخرين.

ب- **المتمثلون غير المفكرين:** وهم موجودون فى كل الطبقات الاجتماعية وليسوا مقتصرين على المتميزين، ولا يبدو أنهم ساخطين على أى جانب من جوانب مجتمعهم أو مكانتهم فيه ومرجع ذلك عالمهم الخاص المليء بالموسيقى أو أفكارهم الخاصة، ولكن يبدو أحيانا أن الشباب فى هذه الفئة يفتقرون إلى المبادرة الفكرية للتساؤل عما يعُطى لهم.

ج- **الطقوسيون:** وهو لقب يصف الشباب الذين ينتقدون العديد من سمات مجتمعهم ومكانتهم فيه،(١٩) وقد يشتركون بالفعل فى المناقشات وتتضح لهم مساوىء الحياة، ولكن اتجاهاتهم لا تتأثر بذلك. وبمعنى أخر، فهم "يوافقون على عمل النسق" أى كيفية بناء المجتمع وعمله ومن ثم استقروا وقاموا بتسوية خلافاتهم من أجل حياة هادئة. واعتماداً على نظرتنا العامة، قد نتهمهم بضعف الإيمان بالمعنى الذى يقصده سارتر بهذا المصطلح فهم يشبهون أحد القضاة الذى لا يؤمن بعقوبة الإعدام ومع ذلك مازال يحكم على القاتل بها. وهم يقولون أنهم لا يستطيعون مساعدة أنفسهم أو يقولون أن معظم الأفراد لديهم تأثير ضئيل بحيث لا يمكنهم التأثير على مجريات الأمور الحالية.

د- **المكافحون The strivers:**

ونحن نفكر فى هؤلاء الصغار -من الطبقة العاملة أو بيوت الطبقة الوسطى- الذين يرتقون السلم الاجتماعى من خلال جهودهم المستميتة فى التعليم سواء بنظام اليوم الكامل أو نصف اليوم. ولأنهم منشقون، بمعنى أنهم يحاولون تغيير أوضاعهم، فقد نندهش عندما نجدهم يندرجون تحت عنوان "الممتثلون" ويرجع ذلك لأن إتجاههم السائد هو قبول الحياة كما يجدونها وهم يتذمرون عندما

يجدون أن الوظائف ونظام التربية المرتبط بها لا تتسق مع أصولهم التى اعتمدت على المدارس العامة. وفى الواقع نجد أن فرص المجتمع القائم على نظام المكافأة تلائمهم.

هـ- **أنصار الاستمتاع واللذة:** ويشعر آخرون بالرضا لأن مجتمعاً حديثاً مثل مجتمعنا يوفر لهم بعض الفرص للمتعة والإثارة بدرجة كبيرة. وتتميز هذه المجموعة عن المجموعة السابقة والتى ترى أن المتعة تتحقق لهم من خلال الهروب من مهام الحياة الملحة والهامة. والتمييز بينهما هنا هو تمييز نظرى فقط. ومن الأمور الشائعة الآن أن الشباب يستخدمون المشروبات الروحية من أجل تحقيق المتعة بدرجة كبيرة، كما أن بعض الشباب يستخدمون العقاقير كوسائل للهروب إلى عالم الوهم.

١-**المجربون:- The experimenters** :- وتشمل هذه الفئة العامة الشباب الذين يكرهون مجتمعهم ويرفضون مكاناتهم فيه ولكنهم يستجيبون لسخطهم بطريقة إيجابية من خلال دعم الأنساق الجديدة للاجتماع الإنسانى أو الأنماط الفردية للحياة. وبالطبع، فان هذا الاتجاه يتطلب درجة معينة من الثقة وهذا هو السبب فى وجود تلك الثقة بين الطلاب الذين يساعد إختيارهم للتعليم الأعلى لتدعيم ثقتهم بأنفسهم

وهناك سمات عامة أخرى للمجربين، فهذه الفئة تضم العديد من المبعوثين مثل شى جيفارا Che Guevara، وملوكها الفلاسفة مثل ماركوس Marcuse أو عشاق البوب مثل مايك جاجر Mick Jagger، ويميل أصحاب هذه الفئة إلى اليسار السياسى، ويعتمد هذا الأمر على مدى وجود منظومة الاتصال الدولية، فأغانى الاحتجاج الشبابية تنشأ فى العديد من الدول، كما أن القادة من الشباب المجربين يتحركون من بلد لأخر.

وهناك فئتان فرعيتان للمجربين، الأولى تتكون من الذين يكرسون جهودهم لتغيير مجتمعاتهم، والثانية هم الذين يكافحون من أجل أنفسهم وكذلك الآخرين من الاتباع الجدد، ولديهم نمط جديد من الحياة يقوم على الاحتجاج ضد المفاهيم البيروقراطية للسلوك وتبنى نظرة خاصة بهم لكيفية الاستمتاع بالحياة.

وتتباين الفئـات التاليـة فـى مـدى التزامهم بـالثورة فمـن ناحيـة نجد البعـض تتنابهم الهواجس بخصوص برنامجهم ورؤية الأمور فقط من خلال منظور الثـورة وإخضاع كل الاعتبارات الأخرى لخدمة قضايا الثورة ... وعلى العكس من ذلـك، فهناك البعض الآخر يرغبون فـى لعب المباريـات علـى الرغـم مـن إقرارهـم أنهـا مجرد مباريات. فقد تدفعهم توقعات الأقران إلى الموافقة على الآراء الثوريــة التـى يؤمن بها معاصروهم ولكنهم ليسوا ملتزمين بها بشكل كامل. وربما نجد أن فلسـفة هذه الحركة تجتذب غالبية شباب هـذا الجيل، وبالتـأكيد، يوجـد العديـد مـن الاتبـاع ضمن هذا المعسكر والذين يقسمون إلى الفئات الآتية:

أ-**الثوريون السياسيون** : ولهم عدة أشكال، وتبرز بينهم سعة أو سمتان عامتـان، فهى حركة أقلية بيـن الطـلاب[٢٠] الذيـن يمثلـون غالبيـة أنصارهـا، وإن كـانت فلسفتها تؤثر علـى جمهـور عريـض مـن الشـباب، ومـن ناحيـة أخـرى نجـد أن تاريخها يعكس العديد من المشاجرات الداخلية بين أعضائها: وهناك العديد مـن الأدلـة علـى أن تاريخهـا يـبرهن علـى المقولـة القائلـة بـأن الثـورات لا تـدوم طويلاً،[٢١] وقد اجتذبت هذه الحركة تعاطفاً ماركسياً ودافعت عن الرأى القـائل بأن الرأسمالية والمادية يدمران الروح البشرية: حيث يـرى العديـد مـن هـؤلاء الثوريين أن الماركسية قد حلت محل المسيحية كإطار أخلاقى مرجعى، وتتسـع الهوة الجيلية عند هذه النقطة. ومن غير المعتاد أن نجـد الكبـار الذيـن يـأخذون فى اعتبـارهم درجـة إغتراب هـؤلاء الشـباب عـن مجتمعهـم أو أدراك منطـق وجودهم ووضعهم فى المجتمع. ومن المحتمل أنهم يعتقدون أن الحكومات أشد خطراً من المجرمين وأن قوة صندوق الاقـتراع هـى مجـرد وهـم خـادع. وأن العديد من أشكال الضبط الاجتمـاعى غـير ذى قيمـة، وأنـه لا يمكـن أن تكـون هنـاك حريـة إنسـانية حتـى يتم الإطاحـة بالطبقـات الحاكمـة، كمـا أن إنقطـاع الاتصالات يرجع إلـى عدم المرونـة الكافيـة التـى يعـبر بهـا المتطرفـون عـن آرائهم، وتقبل الفلسفة الخاصة بهم دون مناقشة ومن يعترض عليها يصبح فـى نظرهم خائناً. وهكذا تصبـح هـذه الفلسـفة مسـاوية للنظـرة التشـاؤمية الخاصـة برؤية المسيحية للخطيئة الأولى، وأى شخص يعترضهـا يحـارب ضـد الحقيقـة

ولكنه فى الواقع يفسر الحقائق من خلال معارضة آرائهم، لأن هذا هو ما يتنبأ به هذا المذهب.

وهناك سمات عامة لهم، وفيما يلى محاولة لتقديم بناء للثورين السياسيين من خلال المعدلات الكبيرة للانحراف:

أ- **الفرديون The individualists**: وهم لا يشكلون جماعة متناسقة ومن الصعب معرفة صورتهم الحقيقية، فالفوضويون مستعدون لاستخدام العنف وهم يريدون تدمير المجتمع الحالى ولكن ليس من الواضح بالضبط مقصدهم.

ب- **الماركسيون المتشددون**: وهم لا يتحاشون العنف.

ج- **اليسار الجديد**: وهم يتميزون برفضهم للشيوعية السوفيتية والتى لا يعتبرونها بمثابة ديمقراطية للعمال.

د- **المتظاهرون**: وهذا اللقب يصف الذين يفتقدون إلى الروابط الحزبية القوية ولكنهم فى الوقت ذاته مستعدون لتنظيم مسيرات لتأييد بعض القضايا الخاصة.

هـ- **المحتجون المنادون بحقوق الطلاب**: وهم متحمسون للطلاب وخصوصاً قضايا مشاركتهم ومكانتهم أكثر من القضايا العامة المتعلقة بالسلالة والسلام والحرب والظلم الاجتماعى، وإن كانوا يستخدمون هذه القضايا لدعم قضيتهم.

و- **أنصار الحزب الجديد**: وهم يرغبون فى خلق أحزاب جديدة أو تغيير أحد الأحزاب القديمة إنطلاقاً من معرفة كل ما هو جديد. ويعتبر الليبراليون الشبان أحد أمثلة هذا الاتجاه.

ز- **التقليديون**: وهم يناصرون أحد الأحزاب التقليدية على أساس أنه يقدم فرصاً للتغيير.

ح- **أنصار التفرقة**: وهم يقبلون بعض الأمور فى مجتمعهم وإن كانوا يرغبون فى تغيير بعض الأمور الأخرى بصورة أعمق ولكن باستخدام الأساليب الدستورية ودون اللجوء إلى العنف، وهم يهتمون بمساعدة المواطنين على المعرفة وكسب حقوقهم ومنحهم المزيد من تلك الحقوق وهم يقرون بحاجتهم إلى الخدمة الشخصية والإجراء السياسى.

أ- الثوريون ذوى النزعة الشخصية The personal revolutionaries
والمقصود بهم هم الذين يبحثون عن أسلوب جديد للحياة ولكن ليس لكل فئات المجتمع، وإنما لهم ولأصدقائهم وأقاربهم، ويعتبرهم كبار السن أشخاصاً فاشلين وبمثابة مستفيدين من مزايا ثقافتهم دون تحمل المسئوليات الملقاة على عاتقهم. ويوجد ضمن هذه الفئة ثلاث جماعات فرعية. **الأولى** وتدعو إلى الاستمتاع hedonistic فهم يؤمنون بالاستمتاع بوقت طيب وباقى الوقت يستمتعون بالرعاية الملائمة، **والفئة الأخرى** يؤمنون بمبدأ الصحبة والرفقة أو التبعية كما هو الحال فى بعض الكوميونات وفيها تبذل العديد من المحاولات لتطوير أشكال جديدة للعلاقات الاجتماعية ... **وهناك شعبة فوضوية** تحتج ضد مبدأ ضرورة تدخل المجتمع فى حرية أفراده بأى شكل من الأشكال.

١- المحرومون وغير المنشئين والمرفوضون اجتماعياً: The deprived, desocialized, socially- rejected

ما الذى يحدث للشباب فى بريطانيا والذين يشعرون بأن المجتمع والكبار أصحاب القرار يخذلونهم، ومن ثم شعورهم بأنهم مواطنون من الدرجة الثانية؟ ويرى كثير من الباحثين أنه توجد فئة كبيرة من الشباب البريطانى يشعرون بأن المجتمع قد خذلهم ويعاملهم بشكل غير عادل مقارنة بالفئات الأخرى، كما أن المجتمع يجعلهم يشعرون بأنهم أقل مكانة من زملائهم فى كل مرحلة من مراحل نموهم ومن ثم أعطاهم مكانة قريبة من قاع المجتمع (J.B. Mays)[٢٢] ويقتصر النجاح على معظم المراهقين الصغار طالما أنهم يلتزمون بمعايير المدارس الثانوية الحديثة، كما أن التعليم المناسب فى المناطق المزدحمة اكثر تكاليفاً من المتوسط (Bryan Wilson)،[٢٣] ويبدو لنا كما لو كان أقل تكاليفاً عن المتوسط وبالتالى فهو غير مناسب، إنه بمثابة وقت التغيير (Newsom Report)[٢٤]

وطريقة إستجابة الشاب للشعور الداخلى بالحرمان يعتمد على عدد من العوامل بما فى ذلك تكوينه الشخصى ومنزله وعائلته ونوعية جيرانه ونوعية المدرسة التى يلتحق بها، والصداقات التى يكونها والمواجهة المحتملة مع الكبار. ويتم التعرف على المجموعات التالية المندرجة ضمن المنبوذين إجتماعياً، من

خلال أنماط إستجاباتهم السائدة والتى تتمثل فى الآتى:-

أ-**المربون**: وهم جماعة صغيرة لديهم قدرة كبيرة على ممارسة الرياضة والترفيه ولديهم القدرة على الصعود بسرعة للقمة ومن ثم يصبحون موضع حسد وأعجاب أقرانهم.

ب-**المربون الذاتيون The Self – Educators**: مقارنة بالمجموعة السابقة، لديهم قدرات متوسطة، ولكنهم يستطيعون التغلب على ظروفهم القاسية بالكثير من الجهود الجادة وهذا يمكنهم من مواجهة منافسيهم، فهم رجال عصاميون يعتمدون جيداً على أنفسهم.

ج-**الساخطون والناقمون The disgruntled**:

وهم يتميزون بالرغبة فى الانضمام إلى الممارسات المضادة للمجتمع بصورة قد تؤدى إلى إرتكاب الجرائم الخطيرة والتدمير، والسبب وراء ذلك هو حقدهم على المجتمع.

د-**الجانحون أو المنحرفون The delinquents**:- ويعتبر الإنحراف أحد المصطلحات الأكثر تعقيداً كلما حاول الإنسان بحثها، ولكن يرتبط بهذا المصطلح سمتان رئيسيتان تتكرران إحداها مفادها أن الانحراف يحدث بدرجة أكبر بين قطاعات الشباب غير المهرة والذين لا يكافئهم المجتمع القائم على التمييز، ولذلك يحاولون إثبات ذاتهم والحصول على مكانتهم المناسبة من خلال أنماط السلوك المنحرف. والسمة الأخرى للانحراف هى ارتباطه بالإحساس بالحزن. ويعتبر التخلى عنه جزء من دوافعهم الرئيسية

هـ- **السفلحون والمخربون: The hooligans and vandals**: هم يشتركون مع الجماعة السابقة فى عدة خصائص، لكنهم يتميزون عنها فى أنهم لا يحققون مكاسبهم الشخصية من خلال سلوكهم المنحرف: إنه تدمير لذاتهم وليس مجرد سرقة، وقد نجد انهم يشعرون أكثر بالحقد ومن ثم يستجيبون له بشدة.

و- أعضاء جماعات الأقران مثل ملائكة الجحيم **Skinheads**: وهم لا يندرجون ضمن الفئات ج، د، هـ، لأن إتجاهاتهم قد تتضمن عناصر طبيعية منحرفة ومضادة للمجتمع، ومع ذلك لا ينطبق ذلك على كل أعضاء هذه الجماعات.

ز- الهاربون من الواقع The escapists:

وهم يستخدمون نوعاً من العقاقير للهروب من الواقع غير الملائم لهم، وبالتالى ينغمسون فى عالم الترفيه والعقاقير كوسيلة للإنسحاب إلى عالم الوهم (ومنذ عشر سنوات تقريباً، كان للأحداث السياسية الدولية المرتبطة بالأزمة الكويتية أثر فى تهديد هذه الجماعة، حيث شعروا بأنهم مهددون، ولكنهم سرعان ما عادوا إلى أحلامهم بعد إنتهاء تلك الأزمة).

أ-ذوى الميول الخاصة The privatists:

وهم يختلفون فقط عن الجماعة فى أن العالم الذى يجتذبهم ملئ بالكثير من التحديات المستمرة للتميز والإنجاز، وهم لا يفكرون فقط فى الوسائل التعليمية المتحمسة مثل الروايات والفنون والألعاب الرياضية ولكنهم يعتبرونها ضرورة إجبارية للشباب لأنها تحقق لهم الإحساس بأهمية الكيان (من الصعب تمييزهم عن أنصار اللذة).

ب-المنجرفون مع التيار The drifters:

وهؤلاء تكون استجاباتهم لحرمانهم سلبية، ويكونون رهناً لظروفهم الخاصة، ويبدو أنه ليس لديهم الطاقة اللازمة لارتكاب الأخطاء، ويوجد فى كل مدينة القليل من تلك الحالات الخطيرة.

ج-الشركاء المخادعون Shilly – shallyers:

وهم يتميزون عن الجماعة السابقة فى أنهم أكثر نشاطاً، ولديهم القدرة على الاستمتاع بدرجة أكبر وخصوصاً بثقافة البوب، ولكن ظروفهم وأوضاعهم متغيرة دائماً فى كل يوم، كما أن استجاباتهم غير متناسقة، ومن ثم يواجهون الكثير من الصعوبات عند تثبيت صورتهم الذاتية التى تعكس مهام الحياة الخاصة بمرحلة المراهقة.

د-المتمردون الدينيون أو المرتدون عن تعاليم الكهنة: The "Can –Copes

وها هي أكبر مجموعةٍ من المنبوذين إجتماعياً – وهم الذين يدركون أنهم كانوا محرومين مقارنة بالعديد من الشباب البريطاني، وهم ليسوا مجرد تلاميذاً مُجدِّين ولكنهم يتغلبون على مصاعبهم إلى حد ما ويسعون إلى تحقيق أهدافهم في الحياة، وتتم تنشئتهم لكي يصبحوا مواطنين صالحين وعمالاً وأولياء أمور على الرغم من الفترة المحتملة لإنحراف الأحداث.

وقد دفعنا هذا التحليل للوضع الإجتماعي لشباب إنجلترا إلى الوصول لبداية الفصل الأخير الذى نأمل أن نصل فيه لتفسير تفصيلي لوجهة النظر الأساسية التي نرمي إليها من وراء كل هذه الدراسات الحالية، وكذلك تقديم بعض الإقتراحات العملية لأنماط من العلاقات يملؤها الأمل بين الشباب من ناحية، وكبار السن والمجتمع ككل من ناحية أخرى.

وحلقة الوصل بين هذا الفصل والفصل التالي هو قائمة البيانات الموجزة التي تحاول تخلل التعريفات التي سيرد ذكرها للفصل التالي، ومن ثم الوصول إلى طريقة مثلى لمناقشة العلاقات التي يجب أن يشجعها المجتمع عند تعامله مع الشباب ... وتتضمن هذه البيانات النقاط التالية:

١-**الاحترام والتوقع:** فهم بمثابة المجتمع وينتمون إليه (قارن الحادثة التي وقعت في حياة أوزبورن لوثر Osborne's Luther عندما أدرك أن إبنه لا ينتمي إليه ولكنه ينتمون إلى المجتمع بدرجة كبيرة.

٢-ادعوهم لكي يكونوا شركاء نشيطين – ليسوا نائمين– ومشاركين في مختلف الأنشطة لاجتماعية. وهم موجودون لكي يعرفون الأهداف القومية ويشاركون من أجلهم. وأفضل شئ يذكره المجتمع لشبابه هنا هو: "تعالوا وساعدونا".

٣-"يجب على الكبار ألا يحكموا سيطرتهم على الشباب أو يتساهلون معهم بدرجة كبيرة، ويمكنهم تحدى الشباب من خلال دعوتهم إلى التفوق والتميز ويعبرون عن ذلك من خلال سلوكهم، كما يجب أن يستفيدوا من الماضي وفي الوقت ذاته لا يكونون عبيداً له.

٤-يجب على الكبار أن يتعلموا كيـف يدعـون الشباب عن طيب خـاطر دون أن يتزمروا من جراء ذلك.

٥-يجب أن يعى الكبار كل ما يقولونه ويأخذونه مـأخذ الجد، ويحـاولون إكتشـاف الأهداف العامة التى يمكن أن تجعلنا بمثابة مجتمع أكثر تحضراً، ولكنهم يجـب ألا يترددوا فى التعبير عن آرائهم فى الوقت المناسب.

الهوامش

1- Bernard D. Davies and Alan Gibson, the Social Education of the Adolescent, university of London Press, 1967, PP. 50, 52.

٢-من يرغب فى متابعة هذا الخطأ الفكرى، عليه أن يقرأ كتاب

C. M. Fleming, Adolescence: its social psychology, Routledge & kegan Paul, 1963.

٣-على العكس من ذلك قارن بين المناهج وكتابات أحد الباحثين وهو F. Zweig والذى يحترم مبحوثيه ويستمع إليهم ويحاول أن يكون صورة كاملة عنهم والمثال الجيد على ذلك هو كتاب هينمان Heineman بعنوان البحث عن الصحبة The quest For Fellowship.

4- C. F. Community work and Social Change. A report on training, Gulbenkian Foundation, Longmans, 1968.

5- Rootless in Cities, N. C. S. S., 1967.

6- CF. A clegg & B. Megson, Children in Distress, Penguin Books.

7- B. Jackson & D. Marsden, Education and the working class, Penguin Books.

8- CF. Peter Berger, Invitation to Sociology, Penguin Books.

9- F. Musgrove, Youth and the Social order, Routledge & Kegan Paul, 1964, P.3.

10-I bid., P. 19.

11-Op. Cit., P. 72.

12-David Matza

13-Ministry of Education, the youth Service in England – wales (Albemarle

Report), HMSo, 1960,Paragraph 121.

14- E. M. and M. Eppel, Adolescents and Morality, Routedge & Kegan Paul, 1966, P. 213.

وبالنسبة لنفس هذه النقطة بخصوص الأخلاقيات الجنسية أنظر:

– CF. M. Schofield, the Sexual Behaviour of Young People, Longmans, 1965.

وبخصوص العلاقات بين الكبار والمراهقين: أنظر: CF. Musgrove, op. Cit.

15- Bulman, M. Craft & F. Milson (eds), youth Service and interprofessional Studies, Pergamon Press, 1970. Chapter 1, "young people in Contemporary British Society", J. B. Mays.

16- CF. Michael Carter, Into work, Penguin Books, PP. 40 FF.

17- Reported in Bryan wilson's the Youth Culture and the universities, Faber, 1970, P. 201.

18- F. Musgrove, op. Cit., P.3.

19- R.k. Merton لقد استعير هذا العنوان من خلال وصف ميرتون لخمسة أنماط شخصية فردية تنشأ فى مجتمع يقدم أهدافاً مقبولة إجتماعيا للجميع، ولكنه وسائل مقبولة إجتماعياً لتحقيق تلك الأهداف

– أنظر: R. K. Merten, Social theory and Social Structure.

٢٠–على الرغم من أن حركات الطلاب تعكس نتائجاً غير مقصودة لطبيعة وتوسع التعليم الأعلى، فإن احتجاج الطلاب يعتبر إنعكاساً لصراعات القيم التى تتولد بشكل متعمد أو بدون قصد بسبب تعليمهم، ولدى الطلاب الآن الوقت الكافى والميل الفكرى للاهتمام بسياسة. بلدهم ويقبول أكثر تحديداً، فإن لدى الطلاب القليل من المسئوليات العائلية والمالية. وهم أقل ميلاً للمخاطرة بمعاداة مصالح مجتمعهم مقارنة بالجماعات الاجتماعية الأخرى. أنظر Peter Worsley (ed.), Introducing Sociology, Penguin Books, P. 176.

٢١–هناك إضافات بخصوص هذه النقطة بخصوص تاريخ المتاعب فى مدرسة لندن للإقتصاد، أوضحها

كولين كروش Colin Crouch فى ثورة الطلاب Student Revolt, Bodley Head, 1970, Part 1 ومن خلال هذا التقرير يمكن التماس العذر لأى إنسان إذا إستنتج أنه من الصعوبة بمكان معارضة أى إستراتيجية حكيمة للسلطات لأن هذه الحركة تحمل فى طياتها عوامل فنائها.

22- Op. Cit., P. 7.

23- Op. Cit., P. 28

24- Half our Future (Newon Report), Central Advisory Council For Education (England), HMSo, 1963.

إقتراحات للمزيد من القراءة:-

- دراسات عامة عن الوضع الاجتماعى فى بريطانيا:-

- Eppel, E. M. & E., Adolescents and Morality, Routledge & Kegan Paul, 1966.
- Gorer, G., "Teenage Morals., Symposium Published by Education, 1961.
- Klein, J., Samples From English Culture, Routledge & Kegan Paul, 1965.
- Musgrove, F., Youth and the Social order, Routledge & Kegan Paul, 1964.
- Schofield, M., the Sexual Behaviour of young people, longmans, 1965.
- Smith, Cyril S., Adolescence, Longmans, 1968.
- Willmott, P. Adolescent Boys in East London, Routedge & Kegan Paul, 1966.
- Bryan Wilson, "The Social content of the Youth Problem", thirteenth charles Russell Lecture, 1966.

•إتجاهات الكبار نحو الشباب البريطانى:-

- Musgrove, F., op. Cit., chapters 2, 3, 5.

- Report of the Committee on the age of Majority (latey Roport), HMSo, 1967.
- Wilson, Bryan, the youth Culture and the universities, Faber, 1970.

•الجماعات الاجتماعية المختلفة للشباب البريطاني:-

- Anderson, R. & Blackburn R. (eds), Towards Socialism, collins, 1965.
- Beckett, Dale, "Should we legalize pot?", New Society, 18 May 1967.
- Bland, Mary, Rozor Edge – the Study of a youth club, Gollancz, 1967.
- Carter, M. P., Into Work, Penguin Books.
- Crouch, Colin, the Student Revolt, Bodley Head, 1970.
- Fyvel, T. R., the Insecure offenders, Penguin Books.
- Goetschius, G., & Tash, J., Working with unattached youth, Routledge & Kegan Paul, 1967.
- Harms, Ernest (ed.), Drug Addiction in youth, Pergamon Press, 1965.
- Hudson, Jan, Hell's Angels, New English Library, 1967.

-(وإذا كانت كل هذه الكتب تخص أمريكا، فلا توجد كتب مماثلة عن بريطانيا).

- Jephcot, pearl, Some young people, Allen & unwin, 1954.
- Jones, Howard, Crime in a changing Society, Penguin Books.
- Jordan, Brenda & Leech, Kenneth, Druge For young people, Pergamon Press, 1968.
- Mays, J. B., Education and the Urban child, Liverpool University Press, 1962.
- Morse, Mary, the Unattached, Penguin Books.

- Musgrove, F., op. Cit., chapter 6.
- N. A. Y. C., Industrial Youth Project, 1968.
- Partridge, John, Life in a Secondary Modern School, Penguin Books.
- Salisbury, Harrison, the Shook. Up Generation, Michael Joseph, 1959.
- West, D. J., the young offenders, Penguin Books.
- Wilson, Bryan, op, cit., chapters 2, 8, 13.
- Woolfe R., "young People and trade unions", youth Review, No.6, June 1966.
- Young C., Educating the Intelligent, Penguin Books.



الفصل الخامس

التعليم من أجل الديمقراطية

من الأفضل أن نبدأ بتعريف مصطلحاتنا، وإن كان ذلك يتضمن تكراراً لنقطة أو إثنتين تم ذكرهما فى الفصول السابقة.

فالديمقراطية هى إحدى الكلمات الأخرى التى جالت بذهن الشاعر أودن W.H.Auden عندما كتب يقول: "إن كل الكلمات مثل السلام والحب وكذلك كل الحديث المؤكد والمعقول قد أصبح محتقراً وأصبح مجرد ضجيجاً آلياً سريعاً".

ويتم إستخدام الديمقراطية لوصف وتبرير الجوانب المختلفة والمتعارضة من أنساق الحكومات على جانب الستار الحديدى (سابقاً)*. ويتم استخدام مشتقات كلمة الديمقراطية بمعانى هزلية ساخرة فى أنماط الحديث اليومى. واعتقد أن ذلك هو الثمن الذى ندفعه من أجل الديمقراطية، فنحن لا نستطيع أن نكون ديمقراطيين تماماً.

ولا نستطيع أن نقول ببساطة أن البلد الديمقراطى هو البلد الذى يتم فيه إنتخاب الممثلين السياسيين عن طريق الإقتراع السرى أو الذى يستطيع فيه الناخب أن يختار مرشحاً من أكثر من حزب، وهذا الوصف قد يساعدنا فى وصف الدولة ذات النظم السياسية المتعارضة، والواقع أن الجهاز الديمقراطى لا يضمن تطبيق العملية الديمقراطية فى أى مكان.

ونحن هنا نختار إستخدام هذه الكلمة لوصف التنظيم السياسى لبلد ما بطريقة ترضى أدنى المتطلبات وهى أنه يمكن مناقشة الفلسفات السياسية الأساسية للحكومة فى الوقت الحاضر، كما يمكن نقدها من خلال المناقشات المفتوحة للنظرة الكلية للقوى الحاكمة، ويتعين علينا أن نضعف التعريف من خلال القول بأن هذه الحرية قد تشكل تهديداً للحياة والمؤسسات والممتلكات، وبالطبع فان العديد من القضايا

---

*يشير المؤلف إلى الاتحاد السوفيتى قبل إنهياره

المثارة الآن فى الديمقراطيات الغربية تواجه معضلة تتعلق بما إذا كانوا سيسمحون باستخدام جهاز ديمقراطى من أجل تدمير الحلم الديمقراطى. وعلى الرغم من هذه المواصفات، فان النظرة الحالية تتمثل فى أن هناك ما يكفى ليشكل تعريفاً: فمهما كان جوهر انتقادات الثوريين اليساريين، فان للديمقراطية فى بريطانيا معنى خاص بها لا يوجد فى جمهورية المانيا الديمقراطية (المانيا الشرقية)* أو فى تشيكوسلوفاكيا.* وهكذا نكون قد تناولنا أدنى متطلبات التعريف، وعلى المستوى الأكثر ليبرالية، فهو يعنى بالنسبة لنا مجتمعاً تُتاح فيه كل فرص نشر القوة والسلطة بين الناس. وهى تعنى تطبيق ما أطلق عليه "إتزيونى" Etzioni اسم: المجتمع النشط[1] كمصطلح يعنى به الجماعة القومية. ولا تقتصر الديمقراطية بالنسبة لنا -فى هذه المناقشة- على صندوق الإقتراع ولا نظام تعدد الأحزاب، ولا مجرد قدرة الناخبين على تغيير حكامهم السياسيين ورفض سياساتهم، ولكنها تعنى أن مجتمعنا يجب أن يبرز المجالات التى يمكن للمواطنين من خلالها أن يشتركوا بشكل ديمقراطى فى صنع القرار.

وهذه هى الفكرة الجوهرية التى تكمن وراء كل الحديث الجيد فى السنوات الأخيرة عن المشاركة ونمو المجتمع.[2] ويعتبر كثير من الناس أن هذا الأسلوب فى الفكر يعبر عن الأفكار المتفائلة فارغة المضمون، وهم يوضحون أن معظم الناس فى بريطانيا لا يريدون المشاركة ويشيرون إلى الاستجابة الضعيفة التى يعبرون عنها عندما تسنح أمامهم فرصة التصويت على بعض القضايا الخاصة مثل مسألة مانشستر والتى تتعلق بما إذا كانت المؤسسات الكبرى يجب أن تقوم بإدارة مسابقات لعب اليانصيب لدعم ميزانية الأموال العامة. ويمكن الرد على ذلك الاتهام بأن الناس قد لا يحصلون على فرص المشاركة لأن التجربة الخاصة بذلك تعتبر مجرد وهم خادع وذلك مثلما صدقت النبوءات العنصرية للعبيد الملونين فى الجنوب الخاصة بهم عن طريق إساءة استخدام حريتهم بعد التحرر. وعلاوة على

* بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ضمت ألمانيا الشرقية الألمانيا الموجودة.

* وانقسمت تشيكوسلوفاكيا إلىدولتين: جمهورية الشيك وسلوفينيا.

ذلك فانه يتضح أن أنصار تنمية المجتمع يتحدثون عن الفرص المقدمة الذين يريدون المشاركة.

ولا نرمى هنا إلى مناقشة الآراء المضادة لتنمية المجتمع، فصدق هذه القضية يعتبر مجرد وهم. فالناس عموماً ميالون إلى دعم القرارات التى شاركوا فى صنعها وبالتالى فان المسئولية الفردية بخصوص ما يحدث تزداد فى الفترات الحرجة لنمو السكان وزيادة التحضر. ولم تعد العديد من الأبنية البيروقراطية القديمة للسلطة فى هذا البلد ملائمة بين أوساط المتعلمين. والمجتمع المشارك هو أكثر إستجابة للتغيرات الإجتماعية الضرورية مما يجعله أكثر قابلية للتغير الاجتماعى الضرورى. ومن ناحية أخرى، نجد أن نمو المجتمع حسبما سبق تعريفه، يبدو ملحاً الآن لتطوير وتحديث العملية الديمقراطية وإشباع حاجات العديد من الناس فى الشعور بأنهم ينتمون لمجتمع ما فى فترة معينة وذلك عندما تقسم الجماعات الإجتماعية الطبيعية. وعلاوة على ذلك، فانه يجب على المخططين الذين تؤثر مشروعاتهم على حياة مئات الألوف من الناس، يجب أن يدركوا الحاجات الكلية للبشر بما فى ذلك حاجة العديد إلى الإحساس بالمجتمع: وهناك أوقات معينة يتعين علينا أن نطلب من الناس تعريف هذه الحاجات ذاتها.

وتستهدف هذه الرحلة القصيرة فى مجالات المجتمع النشط الإعداد للتركيز على موضوع شباب إنجلترا فى زمن التغير السريع. وأحد أهداف بريطانيا بخصوص شبابها هى تعليمهم من أجل الديمقراطية بالمعنيين اللذين سبق إستخدامهما، مع عدم نسيان ضرورة تقديم الفرص المختلفة لمشاركة المجتمع مسئوليته والمشاركة فى صنع القرار.

إن فشل الديمقراطيات الغربية يضعف قدرتها على غرس المسئولية الاجتماعية فى نفوس الشباب وهذا يمثل خسارة كبيرة للعديد من الشباب لأن هذا الوضع يجعل من الصعب بالنسبة لهم أن يحققوا مكانتهم الخاصة بهم. ويوضح النظام السوفيتى أنه لكى نجعل المدرسة تتكامل مع البناء الاقتصادى والسياسى ومن ثم إعطاء الشباب دوراً منتجاً، فلابد من التخطيط المركزى للاقتصاد.

والتساؤل عن أن إمكانية تحقيق الدول الديمقراطية لهذا الهدف يعتبر مثاراً للجدل[٣]..

وفى الأجزاء التالية من هذا الفصل، سوف نتناول العلاقة بين الشباب والمجتمع والتى قد تساعد على تحسين نوعية الحياة ككل لنا فى بريطانيا، وأن نوظف أنماط الصراع الموجودة فى سبيل التقدم الاجتماعى دون أن نحاول إنهاء ذلك الصراع بين الأجيال. ومن الخطأ الاعتقاد بأن هناك حلاً لقضية الصراع الجيلى أو أنه عن طريق وضع بعض المعايير نستطيع الوصول إلى مجتمع ناضج. وأياً كانت الأخطاء الخاصة بالوضع الاجتماعى للشباب البريطانى، فإن سبب تلك الأخطاء يتمثل فى اتجاهات جيلى الصغار والكبار نحو بعضهما البعض، كما أن تلك الاتجاهات المتغيرة تعتبر عملية طويلة ومعقدة.

وتتركز الدراسة الحالية حول أن المجتمعات الحديثة فى إطار تعاملها مع الشباب يجب أن تولى عنايتها من أجل مساعدة الشباب بالدرجة الأولى، ولكننا تفتقر فى الواقع إلى ذلك، ولذلك سوف نركز على ذلك الجانب ولندع التجارب هى التى تثبت صحة آرائنا. فلنقم مثلاً بتصفح الصحف المختلفة فى أحد الأسابيع أو تحليل برامج التليفزيون خلال تلك الفترة، ونرى ما تعكسه حول اتجاهات الكبار أو المجتمع عموماً نحو الشباب، وسوف نصل إلى نتيجة مفادها أن الشباب "يتصفون بالجمال والجاذبية" أو أنهم "مرعبين ومخيفين"، وأحياناً يصفونهم على أنهم بحاجة إلى الحرية والرعاية ونادراً ما يتم تناولهم على أنهم شركاء فى إدارة أمور الدولة، أو أنهم جزء من المجتمع ومن ثم التساؤل حول مدى أهميتهم فى زمن التغير السريع الذى نعيشه.

والأخذ بمبدأ "دعه يعمل Laissez- Faire" ليس جيداً تماماً، حيث يمكن أن يؤدى إلى السير بدون هدف ويولد مشاعر الإحساس بالنقص والعداء.

وهناك العديد من الأسباب وراء عدم وجود هذا النوع من الإتصال بين الأجيال. ومنها أن المناقشات فى حد ذاتها تتضمن الإنصات -من جانب الصغار- والتحدث من جانب الكبار، وأحياناً نرى مواقف كوميدية على شاشة التليفزيون

عندما يتحدث شخصان مع بعضهما البعض، ولكن كل منهما يتحدث فـى موضـوع خاص ولذلك يتابع كل منهما حديثه دون أن يكون له علاقة بـالآخر، ويصـدق هذا المثل على العديد من المناقشات بين الكبار والصغار فى كثير من المنـاطق، حيث لا يصغى أى منهما لحديث الآخر، وهناك العديد مـن العوامل التى قد تمنـع ذلك النقاش ومن أمثلة ذلك أن الشاب أحياناً يضطر إلى مواجهة المجتمع باعتباره جزء من تنظيم رأسمالى له خطة محكمة، وفى هـذه الحالـة، فـان الكبـار الذيـن يشـغلون مواقع السلطة لا يدركون تماماً ما يجب عليهم أن يفعلوه تجـاه الشـباب. وفـى عـام ١٩٦٨ ، قامت لجنة إختيار التعليم المنبثقة عن مجلس العمـوم بزيـارة الجامعـات لدراسة الأسباب الحقيقية لتمرد الطلاب، وقد إعتـبر الطـلاب الراديكـاليون أن ذلك يعتبر تدخلاً فى شئونهم الخاصة، فى حيـن تـم اسـتقبال اللجنـة إسـتقبالاً حـافلاً فـى أماكن أخرى. ونجد أن الكبار قد لا يستمعون لوجهة نظر الشباب ومن أسباب ذلك مذاهبهم الخاصة وغضبهم بسبب عدم عودة الشباب للقيم الحقيقة، وكذلـك نظرتهم إلى التغير باعتباره بمثابة تهديد لهم وليس مجرد تحدى وقد لا يدركـون أن الزمـن قد تغير وأنه من الصعوبة بمكان التقيد بمنهج معين واحد[٤] فى جميع الأحـوال، أو أنهم قد يفقدون الثقة فـى قدرتهـم علـى توجيـه وتحدى الشـباب باسـتخدام خـبراتهم المناسبة.[٥]

إن قضية إستماع الجيلين –الصغار والكبار– لبعضها البعـض تتطلـب تخلـى الشـباب عمـا يعتـبروه افتراضـاتهم الصحيحـة التـى تتمثـل فـى رغبتهـم فـى التعلـم واكتساب الثقة، ولكن ذلك يتطلب الكثير المشـاركة فـى مهـام ومتطلبـات المجتمـع ككـل. والذيـن تجمعهـم المصـالح المشـتركة أو الأنشـطة أو الأهـداف الاجتماعيـة يسقطون من إعتبارهم أهميـة الفـروق العمريـة بينهـم. ويصـدق هـذا أساسـاً عندمـا تكون المصلحة المشـتركة ثقافيـة بمعنـى أنهـا نشـاط ذو إنجـاز واضـح مثـل إنتـاج مسرحية أو إقامة حفلـة موسـيقية، أو عندمـا يكـون الهـدف المشـترك أخلاقيـاً كـأن يكون قتالاً ونضالاً من أجل الحـق وتحقيـق العدالـة وهنـا تتضـح الوحـدة ومظـاهر الاتصال بين الأجيال. ولذلك فعندما ينصت الكبار والصغار لبعضهم البعض، فمـن الممكن أن يحققـوا أغراضـاً وبرامجـاً أخلاقيـة مشـتركة، وإذا حققـوا هـذه البر...

والمشاريع المشتركة، فمن الممكن أن ينصتوا لبعضهم البعض.

ماذا يعنى كل ذلك بالنسبة للمجتمعات الحديثة وبخاصة السلطات الموجودة:

ذكر أليك ديكسون Alec Dickson ذات يوم أن المجتمعات الحديثة تتساءل دوماً عن كيفية تمكن الشباب من إدراك أهميتهم، ويثور الخلاف حول أهمية هذه القضية، وما هى أهميتهم بالضبط، ولقد كان العديد من الفلاسفة فى العصور الماضية يرون أنه كان يتم إستخدام العبيد فى مجال الإقتصاد، كما يتبين من خلال العديد من البحوث أن الذين يتحدثون عن أهمية الشباب، يرون أن ذلك يتمثل فى دعم الأنظمة الحالية.

وفى المجتمعات الحديثة يجب دعم الأجهزة التعليمية والعمليات التى لا تغرس بعض المذاهب فى الشباب والتى توضح خطورة التحرر وأثره فى حدوث الاحباط والتدمير مقارنة بالذين يخضعون للقيود، وهذه الأجهزة توضح أنه لا يوجد هناك مجال كبير للاختيار، ولكن الشباب قد يحتاجون للمزيد من الدعم والحرية فى حالات أخرى، وهى أجهزة تهتم بنوعية الإتصال بين الأجيال. وباختصار يجب إعطاء مزيد من الدعم للقوى التعليمية الخاصة بالمجتمع للشباب وتدعوهم إلى المشاركة فى رسم مصير البلاد والذى لن يتحدد جيداً بدون مشاركتهم.

ومن السهل أن نصف الأهداف حسبما رأيناها وهى كالآتى: ضرورة تدريس وتعليم المسئولية الاجتماعية دون اللجوء إلى غرس مذهبى والتخلى عن الضبط الاجتماعى غير الضرورى. وفى ضوء هذه المعادلة السابقة التى وضعناها يمكن جعل+ S مساوية لـ+R ، -I من خلال معرفتنا السوسيولوجية الأفضل ومهاراتنا الهندسية الاجتماعية واهتمامنا الإنسانى.

ما الذى يعنيه ذلك بالنسبة للكبار:

إن وجهة النظر التى عبرنا عنها سلفاً بخصوص اتجاهات الكبار الصحيحة

نحو الشباب مبنية إلى حد ما على العديد من المناقشات والتى عبر الشباب من خلالها عن خيبة أملهم بسبب إتجاهات الكبار نحوهم، وهم يعتقدون غالباً فى أنهم يتعرضون للسيطرة حيث قالت مجموعة من المراهقات لمشرف تعليمى يعمل فى مجلس توجيه الزواج: "إن والدينا لا يناقشون معنا الأمور الهامة" وكانت شكواهن دائماً أن آباءهن يعاملنهن كما لو كن أطفالا. وخلال شكواهن، لم تكن هذه الشكاوى تتناول قلة الحرية الممنوحة لهن، وإنما يرون معاملتهن كأعضاء وشركاء فى المجتمع بكل ما يتضمنه ذلك من احترام وعطف... وهنا ماذا يقول الوالد أو المعلم الذى يتمتع باحترام الذات مثلاً؟ لكن الخطر يكمن فى الولاء الظاهرى فقط للفكرة. وكما هو الوضع فى أحوال أخرى، فلا يتمثل الخطر فى الإنكار وإنما التزييف والتقليد الزائف الخادع. ويشبه العديد من الكبار فى هذا الأمر، القادة المتسلطين خلال المناقشات والذين يحاولون بوعى أن يتعاملوا مع المناهج غير الموجهة، وهم يسمحون بالمناقشات الحرة للجماعة، وفى نهاية الجلسة يذكرون الأتى: "لقد إنتهت اللعبة الآن، وسوف أخبرك بحقيقة هذا الأمر، ولذلك فان العديد منا يشاركون فى هذه الأفكار، فقد نحاول تطبيق الممارسة ولكن لا توجد لدينا النية على ذلك ولا تتوقع إحترام الآخرين". وتعتبر الفكرة التى مؤداها أن البالغين يجب أن يحكموا علاقاتهم مع الشباب من خلال بعض الأفكار المسبقة، تعتبر فكرة مزعجة يؤدى تطبيقها العلمى إلى تدمير العلاقات الطبيعية التلقائية التى يجب أن تميز تلك العلاقة، ولكن إنعدام مدخل الإحترام والترقب بشكل كامل هو الذى يميز العديد من العلاقات فى وجود الهوة الجيلية. ومن الممكن أن تكون هذه هى العلاقة الدقيقة للعديد من المواجهات الطبيعية.

ما الذى يعينه هذا بالنسبة للشباب:

لا يبدو لدى العديد من الشباب شعوراً قوياً بأن لديهم واجب تجاه المجتمع، ويعتبر ذلك أسلوباً أخر للقول بأنهم ليس لديهم مشاعر بالالتزام تجاه الناس ككل الذين يعيشون فى نفس البلد (وهذا لا يناقض رأينا السابق القائل بأن الرغبة فى الخدمة قد تكون واضحة) ومن أسباب ذلك أنهم تلقوا نظاما تعليمياً ركز على الاهتمام بالطفل ولكنه فشل فى الارتباط بالمجتمع وبالتالى فشل فى تعليم الأطفال

أنهم يدينون بشئ للمجتمع الذى رعاهم، والعديد منهم لم يقتنع بأن المجتمع هو سبب مشكلاتهم الراهنة. (هل جيلنا هو الذى وجد كبش فداء ليس فى جماعة عرقية أو إجتماعية ولكن فى المجتمع ذاته؟) وتوجد الأمثلة الهامة لهذه الآثار بين الشباب الذين خُدعوا بخصوص قضايا إستغلال المجتمع لأعضائه الذين يبحثون فقط عن حقوقهم وحقوق أقرانهم دون النظر إلى واجباتهم تجاه المجتمع الذى يعيشون فيه. ومن الأدلة غير المباشرة لذلك هو الفوضويون الذين يقومون بالمظاهرات لتدمير المجتمع وعندما يصاب أحدهم من جراء إحدى المشاجرات، نجدهم يتذمرون بسبب تأخر وصول سيارة الإسعاف لمدة ثلاث دقائق، ويتجاهلون أن المجتمع هو الذى يوفر هذه السيارة على الرغم من احتقارهم له.

وغالباً ما يجد الواحد منا أن الشباب مرتبك ومن ثم يحكم عليهم -بشكل شخصى- بأن إتجاهاتهم نحو المجتمع خاطئة. وقد شارك الكاتب ذات مرة فى منحة دراسية خاصة بالجامعة. وقد أوضح العديد من المتحدثين أن العرفان بالجميل كان مفقوداً بين البلد والطالب لأنه كان بمثابة تعاقد بسيط: فالبلد كان فى حاجة إلى متعلمين كما أن الطلاب فى حاجة إلى تعليم ولم يستحسنوا القضية التى مؤداها أن التعاقد مثل الزواج ليس من الضرورى أن يستبعد العرفان بالجميل.

وعندما يسود هذا الإتجاه، من الممكن أن نوجه اللوم حيث لا تكفى الأراء التى تركز على الواجبات والحقوق تجاه المجتمع. وتركز الكتب الحديثة الخاصة بالتعليم الاجتماعى للشباب على التنمية الفردية وواجبات المجتمع تجاه الشباب، وليس المقصود بذلك الوصول إلى آراء تؤيد زيادة أعداد الشباب الممتثل، فيمكن الترحيب بهم بصفتهم أجهزة للتغيير وليس التدمير. ويجب أن يعوا جيداً ماذا ينتقدون ولابد لذلك أن يكون لديهم بعض الافكار والخبرات بخصوص مجال رعاية المجتمع فى الوقت الحاضر وإذا لم يشاركوا شخصياً فى ذلك سوف تتعرض الخدمات الاجتماعية لنقد شديد. ومن سمات مجتمعنا أنه يؤيد ويقيد فى ذات الوقت، فهو -من ناحية- يقدم بعض المعونات للمحرومين، ويعتمد زيادة نطاق هذه المعونات من المدى الطويل على مدى مشاركة المواطنين فى المجتمع.

هل تتمثل الإجابة فى خدمة الشباب لمجتمعهم؟

لم يلاحظ الناس زيادة معدلات خدمات الشباب التطوعية من أجل مجتمعهم فى العقد الماضى(٦)، وتعكس التنظيمات المختلفة التوسع الذى حدث فى هذا المجال، فهناك جماعات الكبار المهتمين بتقديم الخدمات عبر البحار مثل خدمات التطوع الدولية والخدمات التطوعية عبر البحار. وهناك جماعات قومية أحدث تهتم بتقديم الخدمات فى بريطانيا مثل الخدمة التطوعية فى المجتمع والقوة المتطوعة الشابة. وهناك أشكال محلية لنفس هذه الحركات مثل المتطوعين الشباب فى منطقة ميرسيسايد Mersey Side مثل youth action فى شيفلد Sheffield، ومجموعة خدمة بريستول Bristol`s Service وقوة العمل Task Force فى أحياء لندن الثمانية ومجموعة شباب، مانشستر ومجموعة خدمة المجتمع ومجموعة المتطوعين الشبان فى برمنجهام.

ويمكن للمنظمين أن يسجلوا إستجابات الشباب، ويبدو أن هناك المزيد من المتطوعين مقارنة بالوظائف المتاحة التى تحتاج للممارسة. وعندما زادت خدمات وأنشطة جماعات الخدمة التطوعية الدولية على جانبى بحر المانش للعمل على الشواطئ التى يهددها الـ Torrey Canyon، لم تكن هناك سلطة عامة لقبول أنشطة متطوعيها. وقامت هذه الجمعيات بتعبئة إحدى عشر ألفاً من شبابها فى لندن لخدمة كبار السن.

وبصرف النظر عن زيادة عدد أعضاء هذه الجمعيات، فهناك سمات عظيمة لتطورات هذه الحركة، ومنها أنها لم تعد مجرد نشاط للذين تركوا المدرسة ليملؤا به فراغهم، وتتضمن المناهج الدراسية لكثير من التلاميذ الكبار فى المدارس، دروساً فى الخدمات التطوعية، وقد أصبحت هذه الدروس جزءاً هاماً من تدريب الطلاب المبتدئين فى مجال البوليس. والحقيقة القائلة بأن خدمة المجتمع أصبحت جزءاً متكاملاً من النظام التعليمى تؤيد ما ذهب إليه الكاتب فى هذا الكتاب، وإن كانت المشاركة النشطة هنا تعتبر بمثابة إختيار حر.

ولا يمكن للواحد منا أن يتجاهل وظائف الشباب المتعددة، كما لا يمكن أن

يتجاهل مدى قوة وأصالة أدائهم ومن أمثلة ذلك حسبما ذكر أليك ديكسون A.Dickson أن مجموعة من الفتيات دخلن البيوت الآسيوية لتعليم محادثة اللغة الإنجليزية للنساء الباكستانيات فى هودرذفيلد Hudders Field، وقد ذكر نفس المصدر أيضاً قصة المعلم وتلاميذ مدرسة لانكشاير الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٤، ١٥ عاماً، وتبين كيف أنهم إستطاعوا مواجهة مشكلة المسنين الذين يعيشون بمفردهم والذين قد يمرضون ولا يمكنهم طلب المساعدة... وبعد عدة أسابيع من التدريب إستطاعوا شراء ساعة خاصة يمكنها إعطاء إشارة بعد مرور وقت معين، ولكنهم تساءلوا عن كيفية إصدار تلك الإشارات عندما لا يكون هناك مبرر لها. وأخيراً توصلوا إلى كيفية ذلك عن طريق جذب ذراع المغسلة، فحينئذٍ يصل ذراع توصيل الوقت إلى نقطة الصفر.

وعلاوة على ذلك فهناك تساهل خاص بالطبيعة العاطفية للأحاديث التى يقوم بها المتحمسون، فقد أتاحت الخدمة التطوعية العديد من الفرص للشباب للمشاركة بالإضافة إلى التجارب الهامة التى تعدهم لأدوار الكبار فى المجتمع مستقبلاً. ويتساءل جيمس جريج James Grigg قائلاً: "هل هناك شئ يعتبر ذا قيمة بالنسبة لرجل بوليس مبتدئ أكثر من تدريبه على القيام بمهام بين الأحداث المنحرفين أو أى وسط آخر يواجه من خلاله مشكلات المجتمع الحديث؟ ". ومن خلال دراسة أجريت على خمسين فتاة من مدرسة شيفلد الثانوية قمن بتقديم التغذية للمرضى المعاقين فى أحد أجنحة الإقامة الطويلة، ذكر التعليق الأتى: "إن ما كان يعتبر بمثابة عملية تجريف أصبح الآن عملاً لإشاعة الحب والوئام، ويشعر نصف الفتيات المائة أن مدينتهم بحاجة ماسة إليهم".

ويوجد دليل كبير على أن الشباب يستجيبون بشكل مادى للمطالبة بالمساعدة من مجتمعهم، وسوف نؤكد هذه القضية فى موضع آخر.(٧)

وقد قدم كنيدى فكرة "كتائب الشباب للسلام" youth peace corps وذلك خلال حملة -وكان ذلك فى منتصف شهر أكتوبر- لأحد المستمعين من طلاب جامعة ميتشجان وكانت النتيجة غير متوقعة. وبعد مرور عدة أيام، قام وفد

ميتشجان بتوجيه التحية إلى كنيدى فى توليدو Toledo مقروناً بالتماس وقع علية مائه من المتطوعين.

ولكن هناك بعض نواحى النقص فى هذه العملية، ولذلك يجب على المتحمسين والمدافعين عن العمل التطوعى الذى يمكن أن يقوم به الشباب أن يتقبلوا النقد الموجه إليهم،(٨) ويتمثل أوجه النقد فى الآتى:

أ-أنه بمثابة شكل من أشكال العمل الرخيص فى كثير من الأحيان وهو بديل للخدمات الشخصية الاجتماعية المهنية التى تعجز الدولة عن تقديمه.

ب-أنها تمثل وجهة نظر الطبقة الوسطى لأنها تشجع خدمات المتميزين لغير المتميزين.

ج-أنها تمثل الأسلوب الأبدى الذى فى ضوئه يقرر الكبار ما ينبغى على الشباب الالتزام به.

د-أنه لا يشجع الشباب على التفكير فى مجتمعهم ويتساءلون عما يجب تغييره فيه، وأنه يفترض منهم قبول المجتمع على ما هو عليه وتقديم الخدمات الشخصية بدلا من الاشتراك فى الإجراءات السياسية الضرورية.

ومن الإنصاف أن نقول أن الآباء المؤسسين لهذه الحركات يدركون جيداً هذه الانتقادات وهم يرون أن الخدمات التطوعية بمثابة إنتقال من دولة الرفاهية إلى مجتمع المشاركة. ومن المعروف بالطبع أن التنظيمات لا تعكس الأهداف المذكورة لقادتهم، ولكن تم إنتقاد خدمات الشباب التطوعية لأن تأثيرها كان فقط على المستوى المحلى، وقد ثبت أنها حالة الذين يختارون الوظائف للشباب وليس من الأفضل رؤية هؤلاء الشباب يفعلون شيئاً لشخص ما بدون مقابل ولا يهم ما يفعلونه هنا. وقد يعكس هذا الأمر وضعاً أبوياً ومثالاً معاصراً لنا على تحقيق الإنجازات فى الطبقة الوسطى. ولم يُطلب من الشباب أن يكون لهم دور فى تعريف المجتمع وأهدافه وحاجاته وكذلك تحديد الخدمات الشخصية والإجراءات السياسية من وجهة نظرهم.

وعلى الرغم من كل هذه الجهود المحلية، إلا أنها لم تلب مطلبنا السابق الخاص بالحوار الأخلاقى بين الكبار والشباب وإكتشاف المهام الأخلاقية المقبولة بشكل متبادل. وإذا إستمرت هذه الحركات فى تحقيق أهداف الممارسات المحلية، فان الخدمة التطوعية تحمل فى ثناياها إقبال الشباب على تحمل المزيد من المسئوليات تجاه المجتمع أكثر من الآخرين، وبالتالى سوف يتم تقديم الدعم المالى لها بسبب ذلك. ولكن هل سيكون هذا البرنامج المدعم جيداً للخدمة التطوعية كافياً فى حد ذاته لتعليم كيفية تحمل المسئولية تجاه المجتمع والمشاركة فى بناء الجيل الجديد؟ نحن لا نعتقد ذلك. ومن الممكن أن يواجه الشباب بالعديد من الاتجاهات المضادة لذلك وذلك لأن قضايا المشاركة فى المجتمع لم تطرح عليهم فى مراحلهم التعليمية المختلفة فى المدرسة أو فى المنزل. ... ولذلك دعنا نعود إلى قضية أخرى نعتقد أنها تواجه هذه الاتجاهات المضادة وهى:

هل يتمثل الحل فى الخدمة القومية الإجبارية للمجتمع؟.

لقد توصل أحد العمداء[٩] مؤخراً من خلال أحد المسوح التى قام بها إلى أن الغالبية العظمى من الناس فى بريطانيا يؤيدون عودة الخدمة الوطنية. وقد شملت أسئلته عشرين ألفا من عامة الناس تتراوح أعمارهم ما بين ١٦ و٧٠ عاماً، وقد أوضحت النتائج أن ٨٤٪ منهم يرحبون بإدخال نظام التجنيد الإلزامى للخدمة العسكرية وخدمة المجتمع وقد أوضح العميد بأن الذين يؤيدون ذلك القرار ينتمون للجماعة العمرية من سن ثلاثين فأكثر. ويؤيد أنصار هذا الحل لمشكلة الشباب التجنيد الإلزامى لخدمة المجتمع وليس الخدمة العسكرية، ومرجع ذلك أنه على الرغم من المصاعب الحالية التى تواجهها السلطات العسكرية فى تجنيد وتعبئة القوات، فهى لا ترى فى أن الحل فى ظل الظروف الراهنة يكون من خلال العودة للخدمة الوطنية.

ويكمن رفض هذه الاقتراحات الآن فى أنها لم تعد صالحة من الناحية السياسية، وليس بإمكان أى حزب سياسى يبحث عن القوة أن يدخل هذه الاقتراحات فى برنامجه ولو لفترة محدودة من الوقت، وذلك رغبة منه فى اجتذاب

تأييد أكبر عدد من الشباب ويبدو أن هؤلاء الأنصار يدركون الجهاز الإدارى المعقد والمكلف الذى يتطلبه ذلك البرنامج.

وبالإضافة إلى فكرة مدى ملاءمة الصلاحية السياسية للخدمة الوطنية لخدمة المجتمع، فان هناك اعتراضات أخرى أهمها آثار القهر والإجبار والإلزام. ومعظم المتحمسين لهذا الحال يؤيدون قضيتهم من خلال ذكر نجاح برامج الخدمة التطوعية للشباب فى بريطانيا خلال العقد الماضى، وهم لا يقدرون أن الشباب قد اختاروا ذلك بمحض إرادتهم. وسوف تفقد هذه الحركة قوتها إذا تم استبدال ذلك بالقهر، ومن خلال تجريبنا يجب أن نعرف أن معظمنا لديه الحماس والطاقة لتنفيذ المهام التى اخترنا المشاركة فيها.

ولكل هذه الأسباب، يبدو من الأفضل البحث عن دعم أكثر للبرامج التطوعية وتحسن نوعية الخدمة على المستوى المحلى بالطرق التى ذكرناها آنفاً ومن الأدلة التى تثبت ذلك أن الشباب قد يرغبون فى المشاركة فى الخدمة التطوعية لمجتمعهم اكثر مما يمكن أن تؤديه الإدارة الحالية. وقد أوضح إقتراع للرأى قامت به صحيفة الديلى ميل منذ بضع سنوات أن ٧٤٪ من الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٦،٢٠ عاماً، شعروا أنهم لم يؤدوا أية خدمات كافية للمجتمع.

وهنا نكرر ما سبق أن ذكرناه، من أن حركات الخدمة ليست كافية فى حد ذاتها للربط بين حاجة بريطانيا لمشاركة الشباب فى المجتمع وحاجة العديد من الشباب لكى يكونوا أكثر فاعلية فى مجتمعهم فيجب أن يكون التركيز والفرص المتاحة فى الاتصالات التعليمية الأخرى. وقد حاولت الورقة التى قدمها أسقف نوريتش Norwich لمجلس اللوردات منذ بضعة سنوات أن تتضمن النقاط التالية: يناشد هذا المجلس حكومة جلالة الملكة أن تطرح برنامجاً تطوعياً للشباب لخدمة مجتمعهم وذلك من خلال مناهج دراستهم مع الأخذ فى الاعتبار رغباتهم فى ذلك.

هل يمكن أن تكون للمجتمع الجمعى أهداف مشتركة؟

إذا لم تصبح هذه العبارة مجالاً للمناورات السياسية، فإننا نؤيد المجتمع الذى يتيح لشبابه فرص المسئولية والحرية. ونقرر هنا أهمية هاتين الحقيقيتين لكل من

المجتمع والشباب على السواء. فالمجتمع يحتاج إلى مشاركة الشباب والشباب يحتاج إلى المجتمع لتحقيق إحساسه بأهميته وكيانه. وإذا لم يتمتع الشباب بالحرية فانه سوف يتعرض للإذلال، كما أن المجتمع الحديث وخصوصاً في زمن التغير الاجتماعي السريع يحتاج لمواطنين أحرار وخصوصاً في مرحلة الشباب.[١٠]

ولكن قبل تناول التطبيق العملي لهذه الأفكار في مجالات معينة للجهود التعليمية، قد نواجه العديد من الاعتراضات على هذا المدخل. ونحن في بحثنا لاكتشاف الأهداف الاجتماعية العامة والمهام الأخلاقية للناس من جميع الأعمار في بريطانيا، نجد أنفسنا في مواجهة الخطر القائل بأننا في بلدنا حالياً أصبحنا في وضع الانحراف المعياري ومن مظاهر ذلك أن القيم القديمة التي تآلف عليها الناس لم تعد مقبولة الآن على نطاق واسع. وقد يفسر البعض هذا الأمر الآن بسبب أن بريطانيا الآن لم تعد بلدا مسيحيا، فعندما كانت مسيحية كان يسودها مبدأ الوحدة والضبط الاجتماعي ولم يحل محلها الآن شيء.

ومن مظاهر ذلك الآن هو الدور المتقلص للكنائس، وقلة عدد الحاضرين للطقوس الكنسية ومن ثم فان القوى الدينية لم تعد تمارس تأثيراتها على حياه الناس بعكس القوة التي كانت تمارسها في الماضي. واصبح القليل من الناس يوجهون اهتمامهم للأفكار والأفعال الدينية ويترتب على كل ذلك أن مجال الدين اصبح في أضيق نطاق الآن[١١]... وعلاوة على كل ذلك فان بعض الكتاب يرون أن كل إيديولوجياتنا الآن تمثل تآمراً كما يسود الاعتقاد بأنه لا يوجد تفسير لأية قضايا جوهرية يمكن فرضها على كل شخص وأن الناس يسعون إلى تحقيق مصالحهم الخاصة بطريقة أو بأخرى.

والجماعات البشرية مثل الدول، تتحدد أشكال التعاون بينهما من خلال إحدى الأنماط الآتية:

أ-**الإيمان العام**: فهناك ارتباط مباشر بين تعاون الأعضاء وغرس مجموعة من القيم فيهم. فأعضاء أحد الأديرة أو أعضاء أمة صغيرة يناضلون معاً من أجل الحرية القومية، وهناك أعضاء مجموعة أخرى تناضل من أجل الإصلاح

السياسى، وأعضاء الكنيسة يميلون للبحث عن أهداف عامة بدرجة أكبر من غير هؤلاء الأعضاء.(١٢)

ب-**التهديد المشترك:** فالجماعات البشرية على اختلاف أحجامها لديها مشاعر قوية للإحساس بكيانها وأنشطتها عندما تشعر بتهديد قوى خارجية، وقد فهم الديكتاتوريون المحدثون هذه القضية جيداً واستخدموا معرفتهم لدعم روح الوحدة الوطنية. وفى المدن المحاصرة يتم نسيان العديد من المشاجرات والجماعات الحزبية، ومازالت روح دنكرك Dumkirk spirit تعيش فى ذاكرتنا: إنه وقت أزيلت فيه الحواجز الطبقية.

ج-**القائد الكاريزمى الملهم:** قد تتوحد الجماعات البشرية الكبيرة فى أغراضها ونظرتها من خلال تبعيتها لقائد يحظى بالإعجاب والحب والطاعة من جانب المجتمع. فقد يعبر أحد الرجال عن آمال الأمة ويهدئ من روعها، ويحوى التاريخ عدة أمثلة توضح ذلك.

ولكن لم يتم تحقيق أيٍ من هذه المتطلبات فى المجتمع البريطانى المعاصر. وفيما يتعلق بالعنصر الأول فنحن لا ندرك أسلوب الحياة البريطانى المتميز والذى تدعمه مجموعة من المعتقدات، وقد يتعين علينا أن نسافر إلى الخارج قبل أن نجد أنفسنا معجبين بالفضائل مثل الاعتدال والتسامح وفيما يتعلق بالعنصر الثانى قد تواجهنا العديد من المخاطر الخارجية ولكنها لا تشكل جزءاً من وعينا اليومى. وفيما يتعلق بالعنصر الثالث، لم يكن هناك قائد بريطانى منذ عهد ونستون تشرشل وعلى مدى أكثر من ربع قرن مضى. وفى الواقع أن التحدى الذى يواجه الديمقراطية المتطورة يتمثل فى اكتشاف أهداف المجتمع والمهام الأخلاقية التى لا تعززها الأساطير الدينية أو التفرد القومى الذى كان يبدو ضرورياً فيما مضى. ويجب أن تعمل الديمقراطية فى مجال المهن الصعبة المتعلقة بتعريف الأهداف البشرية بدون إيديولوجيا، ويمكن القول بأن العديد من المناقشات التى تدور حول الصواب والخطأ تختلط فيها الأمور عندما ترتبط هذه المناقشات بالإيديولوجيات: حيث تتوارى الحقائق ويصبح الصراع رمزياً. ومازال الإنسان يلتقى بالروس والأمريكان والذين لا يستحسنون سلوك أى منهم.

ولكن دعنا نتناول مثالاً شائعاً فى الحياة البريطانية الآن ... ومن المؤسف – حسبما أعتقد– أن كل التعليم الأخلاقى الذى يواصله البعض فى بريطانيا الآن يرتبط بالمعتقدات والافتراضات الدينية.[١٣] وأياً كانت المزايا المتعلقة بالربط الحتمى بين الدين والأخلاق، فنحن من الناحية العملية لا يمكن أن نستمر فى هذه الرابطة دائماً وفى كل مكان. وفى ظروفنا الحالية نجد أنفسنا مجبرين على تقديم تعليم أخلاقى بعيداً عن التأثيرات الدينية لأن هذا الغلاف الدينى غير مقبول الآن للعديد من الناس. ولكن المؤسسات الدينية فى بريطانيا مازالت قوية. وقد وجُدت هذه المؤسسات ليتبين أن الأخلاق والدين يجب أن يرتبطا ويسيرا معاً ولا يكونا فى متناول الناس الذين يبحثون عن غايات إنسانية ولكن بفروض وجزاءات مختلفة. وليس من الضرورى أن يؤدى الشذوذ عن المعيار إلى خلط ونسبية أخلاقية وان كان يعتبر فى الوقت ذاته محكاً قاسياً لنضجنا. وقد أوضحنا من خلال بعض الأمثلة ما نقصده بأن مجتمعنا يشعر بوحدته من خلال المشاركة فى تحقيق الأهداف والمهام الأخلاقية دون اللجوء إلى الركائز المذهبية وان كان ذلك له أثر كبير بالنسبة للشباب الذى يتمتع الآن بقسط كبير من الحرية والمسئولية .. ويمكن توضيح هذه الصورة فى بعض العبارات مثل: "إن التسامح دائماً أفضل من التعصب، وأن المجتمعات الحديثة تصبح أكثر تحضراً عندما تهتم بالضعفاء كما أن الكثير من الناس الآن أقوياء" ولكن ذلك لا يعتبر بمثابة تدريب مفيد بقدر ما يعتبر اختباراً لسوالين معاصرين يمكن أن يعتبرا كمادة للحوار الأخلاقى بين الأجيال الآن.

والسؤال الأول المطروح هنا هو التحدى لبناء المجتمع البريطانى والذى تتمتع فيه السلالات المختلفة بتكافؤ الفرص والتسامح المتبادل والتنوع الثقافى. والدوافع الرئيسية لهذه النظرة المتفائلة للعديد من الناس مازالت دينية.

وهو امتداد إلى المجتمع الصناعى الحديث من خلال الدافع التبشيرى الدينى، فقد مات المسيح من أجل البشر جميعاً، وأنا أتفق مع ذلك الرأى، ولكننى أستطيع أن أعمم ذلك الافتراض على الذين لا يشاركوننا هذا الرأى بمن فيهم الشباب. ماذا نفعل إذن؟ يجب علينا أن نكتشف الأسس الأخرى للسلوك المتحضر، تلك الأسس

التى من الممكن أن تكون أساساً للمناقشة. فيمكننا مثلاً أن نناقش هذه الفكرة فى ضوء الحقوق الإنسانية: فلكل شخص الحق فى حياته، وأن يعيشها كما يجب. ويمكننا مناقشة القضية التى مؤداها أننا إذا قللنا من قيمة أى إنسان، فإننا نقلل فى الوقت ذاته من قيمة أنفسنا. ومعظم الشباب يهتمون بهذه الأنواع من المحاورات ويشعرون بأنه عندما يحاورهم الكبار دون أن يحاولوا بسط هيمنتهم عليهم، فإنهم سيكونون فى موضع الاهتمام فى النهاية، ولكن المناقشات الأخلاقية لا تنتهى بكشف نوايا مثالية: فهم مستمرون فى إدراك صعوبات هذه القضايا والاعتراضات المثارة حولها.

وعندما يبدأ الكبار فى إجراء مناقشات من هذا النوع، من الممكن أن يصلوا لمجموعة من الأفكار التقليدية بخصوص الصواب والخطأ والتى تعتبر بمثابة بقايا لعالم انتهى. ولكن الواقع أننا ككل نعيش فى عالمنا وتواجهنا معضلات أخلاقية بعضها ذو شكل جديد ولكن كلها جديدة فى شدتها وبعدها. ويتعرض بقاء السلالة البشرية للتهديد من ثلاث اتجاهات: تدمير الإنسان لبيئته الفيزيقية، والانفجار السكانى، وقرب التوصل لصناعة القنبلة الهيدروجينية. إلى أى مدى يجب السماح للتكنولوجيا بالاستمرار والتزايد؟ ومتى يجب توقف القيم الإنسانية؟ الواقع أننا كشباب وكبار على السواء فى قارب واحد، وعلى الرغم من صعوبة حل هذه المشكلات الكبيرة، فإن بعضنا يمكنه التوصل إلى حلول لها. وإذا لم يمكننا التأثير على كل تلك الإجراءات، فإننا من الممكن أن نعتمد على مساعدات بعضنا البعض.

وهناك نوع مختلف من الحوار الأخلاقى يمكن أن يبرز عبر الأجيال وقد ثبت صدق رأينا المتعلق بمحاولة فهم وظائف الأعراف والعادات التى ورثناها من الماضى وحتى عندما نتساءل عن مدى ملاءمة هذه الأعراف بنظم حياتنا الحالية. فالمعايير عموماً لابد أن تكون لها وظائف مفيدة للجماعات والأفراد على السواء، وليس معنى ذلك أنها تقتصر على خدمة مصالح قطاع واحد من المجتمع لأن ذلك لا يفسر سبب قبول الأغلبية له. ومن أمثلة ذلك معيار السلوك الجنسى الذى مازال يتوقع من الناس أن يخلصوا لمواثيق الزواج وهذا المعيار يعمل على مواجهة أى نشاط جنسى خارج نطاق الزواج، وقد يتجاهل الكثيرون فى مجتمعنا هذا المعيار

خلال حياتهم الخاصة. ويثور التساؤل حول مدى ثبات هذا المعيار مستقبلاً، ويتفق الجميع على أن ذلك المعيار لم ينمو بشكل عارض فى العديد من المجتمعات الإنسانية، وذلك لأن لجنة الإشراف على الأبرشية أصدرت قانوناً بعد ظهر يوم أحد. وربما وجد الناس -من الجنسين- أن هذا الموضوع أقل خطورة ويحمل الأمل فى سعادة أكثر إذا تم تطبيقه بطريقة صحيحة. وفى هذه الحالة يجب تربية الأبناء وأن يجد الناس فى ظله الكثير من الدعم الوجدانى، ويعتبر كل ذلك هاماً للمجتمعات والأفراد. وقبل أن نتخلص من أى معيار تقليدى للسلوك، يجب أن نبحث عن المنافع التى نجنيها من جراء ذلك وعن حاجتنا لذلك فى الوقت الحاضر، وإذا كان الأمر كذلك كيف يمكن تحقيق ذلك.(١٤) ولكن ينكر كثير من الشباب من خلال مناقشاتهم تقدير قيمة هذه المعايير التى جاءت من الماضى.(١٥)

وقد ركز الجزء الأخير على ضرورة استخدام المناقشات التى تدور حول المشكلات الأخلاقية المعاصرة فى دعم العلاقات بين الكبار والصغار وبين الشباب وباقى أفراد المجتمع. وقد ثبت أن العديد من المشكلات معقدة وليست قابلة للحل بشكل كامل، ولا يوجد هنا مؤشر لعلاج كل العلل والأمراض: ونحن نكرر هنا أنه لا يوجد شئ يمكن أن يحقق مجتمعاً ناضجاً. وأحياناً يوجد منهج متكامل يمكن أن يحقق ما تصورناه فى مناقشاتنا، وإذا لم يتحقق ذلك فنحن نركز مرة أخرى على أهمية العلاقات الجيلية.

وعندما نبحث مجالات معينة نحاول من خلالها التطبيق العملى لفكرتنا الرئيسية، فنحن نؤكد هنا أن ما نقدمه ليس برنامجاً مخططاً وملائماً لكل المواقف التى يلتقى فيها الكبار والشباب. ونحن نحتاج إلى إختبار كافة الإحتمالات فى المواقف المختلفة، مثلاً ما مدى ملاءمة تقديم الكبار العون نيابة عن مجتمعهم للشباب؟ وتتوقف إمكانية تنفيذ هذه الفكرة على عدة عوامل ومنها خبرات وتجارب الشباب مع الكبار فى الطبقات الأخرى، ويدل ذلك على وجود العديد من القيود التى تؤثر على توقعات الشباب ومن ثم نظرتهم للأكبر سناً.

وفى عام ١٩٦٨، احتل الطلبة المتمردون فى كلية هورنسى Hornsey

College للفنون فى شمال لندن، الكلية وبدأوا عملية إعادة بناء راديكالى لتعلم الفنون وأقاموا ما أطلقوا عليه إسم "كميون الـ كروش إند Crouch End Commune. ونحن لا ندافع بالضرورة عما قاموا به، والمهم أن نرى نتيجة ذلك، فقد إتضح أن لتلك التجربة نتائج كبير بالنسبة للتعليم الفنى مقارنة بنتائجها السياسية، وهكذا فقد تضمن تقريرهم الآتى: "أمكن تداول الكثير من الآراء والأفكار فى الحلقات الدراسية "السيمينار" التى كان لا يزيد عدد أفرادها عن ٢٠ فرداً". فقد شعر كل عضو أنه أسهم فى حلقات النقاش ومن ثم شعر بمسئولية تجاه كل ما أثير. وقد إستمرت هذه المناقشات حتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالى.(١٦) ونحن نرى أن التجربة التعليمية كانت هى محور المناقشات بين الكبار والشباب ولكنها لم تؤت ثمارها فى ضوء احتدام المناقشات والمواجهات بينهم. وقد علقت إحدى الصحف على ذلك قائلة(١٧): "لا يمكن لمجموعة من المعتوهين هنا فى هارنجاى Haringey أو فى ميدان جروزفينور Grosvenor أو باريس أو برلين أو المكسيك أن تطيح بنظام قائم. ومن خلال التأمل فى وجوه هؤلاء الطلاب نستطيع أن نستخلص الدروس وإن كان النفاد إلى عقولهم يستغرق بعض الوقت. وقد يكرهون إضطرارهم إلى الإمتثال لنظام يحتم عليهم دراسة وإتباع البرامج المعدة لمرحلة كسب العيش وتلقى الإختبارات اللازمة لهذا الصدد، ومع إقرارهم بأنهم يعدون أنفسهم من خلال كل ذلك، إلا أنه ليس كافياً لتغيير النظام. فالنظام ملكنا وفى أيدينا، ونحن مثل عامة الناس نعمل من أجل كسب قوتنا من الساعة التاسعة صباحاً وحتى الخامسة مساءً ونعمل طوال أيام الأسبوع من الاثنين وحتى الجمعة فنحن نمثل النظام. ولكننا لسنا ضحاياه أو عبيداً له. فنحن نمثله، هل يعتقد العمال الشباب الذين يكسبون يومياً بنسين ونصف أنهم يستطيعون قلب الأوضاع رأساً على عقب؟

والمثال السلبى الثانى يعود بنا إلى الوراء عشر سنوات فى أثناء أزمة كوبا. ففى هذا الوقت قامت إحدى السيدات المنظمات بزيارة أحد اندية الشباب فى ميدلاندس. وعندما دخلت من الباب سمعت الشباب يتناقشون حول ذلك الموقف بطريقة ملؤها الخوف، فقد ذكر أحدهم الأتى: "إن ذلك الموقف يعنى الدمار وعندما

وصلت هذه السيدة لمكتب القائد علقت على ما سمعته وتساءلت عما إذا كان الأعضاء استطاعوا مناقشة هذا الموضوع في تلك الليلة لأنه كان هاماً لهم. وكان الرد: "من المستحيل فأنا خائف، سوف نناقش هذا الموضوع في ليالي الجمعة (كان اليوم حينها هو يوم الأربعاء). ومن الأمور التي كانت تبعث على الأمل أنه كان يوجد في ميدلاندس في قطاع القوى العاملة مركز شباب ينظم حلقات دراسية كل يوم أحد لمناقشة الأمور العامة التي تخص أعضاءه وقد حضر ثمانون عضواً في إحدى تلك الاجتماعات.

والمثال الأخر الإيجابي له طبيعة أكثر عمومية، ومن خلاله نحصل على بعض الأمثلة لعمل الشباب المنفصل بمعنى أن مجال عمل الشباب العامل هو في الشارع وليس في المباني، ومحاولة عقد إتصالات مع الشباب الذي لا يرغب في الإنضمام للتنظيمات الشبابية. وهناك تقريران[١٨] يوضحان الغرض من هذه اللقاءات الشبابية التي تعتمد على نوعياتهم في نفس الوقت الذي يبحثون فيه عن العديد من القيم الهامة الأخرى.

المدارس:- ما هو الدور الذي كان من الممكن أن تقوم به المدارس في نمط التعليم الإجتماعي الذي يمثل بؤرة إهتمامنا؟ هل يختلف هذا الدور عن الدور الذي تلعبه الآن؟

وتختلف الآراء حول هذا الموضوع، ويتمسك كل طرف بوجهة نظره ويعكس الرأي التالي سمات أحد تلك المناقشات.

هل أصبحت فلسفتنا التعليمية أكثر تركيزاً على الأطفال؟ (ينكر العديد من أصحاب النظريات أنها أصبحت مجالاً للتطبيق ومازلنا نراها تسلطية وتركز على الضبط الإجتماعي) هل نواجه الآن خطر خلق أمة تسودها الفردية؟ ألا يجب علينا تعويض هذا التوازن عن طريق التركيز على مسئولية المجتمع؟ وعلى الرغم من تخفيض سن التصويت إلى الثامنة عشر، إلا أن القليل يشجعون إيجاد شكل من أشكال التعليم السياسي في المدارس، ومن أمثلة هؤلاء البروفيسور برنارد كريك B. Crick الأستاذ السابق بجامعة شيفلد والأستاذ الحالي بكلية بيركبك بلندن.

ألا يوجد ميل لتقييد عملية التنشئة الإجتماعية فى المدارس وقصرها على مجرد التنشئة الإجتماعية التى تخص على قبول الأوضاع على ما هى عليه ومن ثم تساهم فى إيجاد ممثلين بدلاً من الثوريين وأفراد يتكيفون مع ظروف الحياة المستقرة ولكن ليس فى عصر التغير الإجتماعى السريع. إن العديد من الكتب التى تتناول موضوع التعليم ترى أن المدارس أصبحت الآن مجرد شريك سلبى فى مجتمع تقليدى وليس كشريك نشيط فى ظل مرحلة التغير الضرورية.(١٩)

ويعتبر عدد كبير من المعلمين أن آمالنا غير واقعية فهو يعنى الصراع من أجل الاحتفاظ بالضبط الإجتماعى مع الطبقات الكبرى والمعدات غير الملائمة وربما فى مبنى من مبانى القرن التاسع عشر، ويقوّض هذا الصراع كل المجالات التى تتيح تحقيق هذه الأحلام. ويُحسن بالذين لا يتعرضون لهذه الضغوط اليومية التعاطف مع تلك الآراء. ومع ذلك فإننا نرى المدارس فى هذه الظروف معرضة لضغوط الجوار غير المفيدة، وفى الوقت ذاته تحتفظ ببناء قوة الكبار الضرورية للضبط. فقد كانت تدرك أن التعليم يتضمن دعوة للمشاركة النشطة فى المجتمع.

الكنائس:- يحدونا أمل كبير فى تحقيق الصداقة الأخلاقية، وتمدنا الكنائس بذخيرة ضخمة من التعليم الإجتماعى للشباب الذى لم يتم تقييمه إلى الآن. وعلاوة على ذلك فالكنائس تتمتع بعدة مزايا فى العملية التعليمية، فهى تشمل العديد من الموضوعات – الفروع- المحلية والعلاقات الدولية، كما أنها تربط كل الجماعات العمرية ولا تفصل بين المراهقين وبقية أعضاء المجتمع.

وعلى الرغم من تلك المزايا، فنحن نرى العديد من أوجه الضعف لديهم، فهم أحياناً يهتمون بعملية غرس المذاهب وتلقين الصغار دون إعطائهم وقتاً لاستيعابها، كما أنهم أحياناً يبحثون عن مؤيدين لهم. وهذا الاهتمام قد لا يجعلهم يدركون مدى تأثير الضغوط السياسية والإجتماعية على الفرد، وإن كان يجعلهم أكثر اهتماماً بالشباب ورعايتهم. وعلى أى حال، فإن هذه الإجتماعات المحلية لا تقدم فرصاً مقبولة لنوع المواجهات بين الشباب والكبار. ومن ناحية أخرى، تهتم بعض الكنائس المحلية المنظمة بنوع العمل والعلاقة بين الأطفال والشباب، وبالمثل

فمن النادر أن نجدهم يفسرون مشاركة المجتمع كدليل على الطاعة المسيحية.[٢٠]

المؤسسات السياسية:- وفيها لا يتضح المحتوى الأخلاقي في تلك المناقشات، وإن كانت كل الجماعات تدرك أن هناك أسباباً أخلاقية لآرائهم، وعلى أى حال يتبين من البحث أن هذه الآراء تستخدم لدعم قضايا لم تُحسم بعد. ويعكس علم السياسة أموراً أكثر خطورة من المسائل الأخلاقية ولكن السياسين يفسرونها ويقصرونها على موضوعات تتعلق بالقوة والمكانة والشخصية، وهذا يفسر سبب عدم إيمان الشباب بأبنيتنا السياسة الحالية، والقليل من رجال السياسة يحترمون آراء الشباب ولكنهم لا يشغلون وظائف هامة، كما يتقبلون الأفكار الجديدة للشباب المنتمى للأحزاب السياسية بحذر شديد.

ونحن نخطئ إذا حاولنا تطبيق مبدأنا على التنظيمات السياسية، وقد أوضحت تكتيكات الحملة الانتخابية ليوجين مكارثى Eugene Mccarthy فى الولايات المتحدة منذ بضع سنوات أن المدخل قد حقق إستجابات هامة، وأن تأخير هذه التجربة طويلاً من الممكن أن تدفع المزيد من الشباب إلى الأفعال الثورية المتطرفة أو التجمد السياسى.

الإعلام الجماهيرى:- وهنا تظهر عدة مغالطات، فالصحافة الحرة تماماً تعتبر مجرد أسطورة ويحدد هذا المقال الأفكار المتداولة واسعة الإنتشار وتأثيرها الحاسم فى الناس وخاصة عند عرضها على شاشات التليفزيون. كما يقدم القانون قيوداً أخرى مثل الرافضين للمعايير المقبولة للمجتمع. وعلى سبيل المثال، كان من غير المحتمل قبل التشريع الحديث أن يعلن برنامج تليفزيونى تأييده للتفرقة العنصرية أو الإعلان عن وجودها.

وإذا لم يكن الإعلام محايداً فى القضايا الرئيسية، لن يكون هناك دعم للعلاقات البناءة بين الأجيال، وقد كانت هناك بعض البرامج التى أدت إلى تفاقم الصراع بين الشباب ومجتمعهم بدلاً من مساعدتنا فى التغلب عليها بشكل كبير. فيجرى تعليم الشباب لكى يكونوا ناضجين ومسئولين وأعضاء مميزين لمجتمعهم، ليس من خلال الإتصال بالأشكال المنظمة للتعليم ولكن من خلال الاتصال بالكبار.

ومعظم الكبار يدخلون فى علاقات مع الشباب فى عدة أماكن بما فى ذلك البيت والعمل. ولأننا نهتم هنا أساساً بالتغيرات فى إتجاهات البالغين، فلن نقتصر فى إهتمامنا على خبراء التعليم المتخصصين وعلماء الاجتماع. كما أن الجهاز الديمقراطى لا يضمن العملية الديمقراطية: فنحن نحتاج إلى المزيد من البالغين الذين يعاملون الشباب كشركاء نشطين فى إطار برنامج لم يحُدد بشكل كامل.

ولذلك فان القارئ مدعو للإلتقاء بالشباب المعروفين له والذين تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة عشر والخامسة والعشرين. وقد نجد أبناءنا أو سعاة مكاتبنا أو عمالاً من الأحداث فى أماكن عملنا، وقد يكونون فى مرحلة الشباب ولذلك ينبغى علينا أن نعلمهم، وقد نفكر فى الشباب الذين يوزعون الصحف كل صباح والذين نقابلهم يومياً بعضاً من الوقت.

كيف نعاملهم؟ هل بصفتهم أعداءً أم الغازاً أم غرباء؟ كيف نتصرف تجاههم. وهناك عدة جوانب لعلاقاتنا: قد تكون الاختبار أو التوجيه أو التشاجر أو العقاب. ولكننا لابد أن نتساءل عن مدى وجود العناصر الأربعة الآتية:-

١-**السماح أو الإذن:** هل نريد أن نسيطر عليهم كثيراً؟ هل نقيّم علاقاتنا بهم فى ضوء تنفيذهم لأوامرنا؟ هل نشعر أن أبناءنا يمثلون شعباً قائماً بذاته وأننا نحاول معرفته وسبر أغواره؟

٢-**الدعم:** فقلة خبرات الشباب تجعلهم أكثر تعرضاً للخطر فى بعض المجالات، ومن ثم يحتاجون لمساعداتنا ولكنهم لا يستطيعون التعبير عن طلباتهم من خلال الكلمات.

٣- **مشاركتنا فى البرامج العامة:** حيث توجد العديد من الأشياء نقوم بها معاً، وان كان كل منا يختص بالقيام ببعض الممارسات الخاصة.

٤- الشركاء ذووا الأفكار الخاصة فيما يجب القيام به وكيفية ذلك.

الهوامش

1- A. Etzioni, The Active Society , The Free Press, New York, 1968.

2- CF. Bibliography at the end of this chapter for books on the subject of community development.

3- Kingsley Davis, Human Society, Macmillan, 1948,P.230.

4- Fifteen to Eighteen (The Crowther Report), Central Advisory Council For Education (England), HMSO,1959.

5- Kenneth Keniston,"Social change and Youth in America" in youth: change and challenge, Basic Books, 1963.

٦-من بين بعض الأفكار القليلة نسبياً سنجد الأتى:

- Observer Colour Supplement,6 November1966,'The young volunteers'.
- Guardian 2 May 1967,"Crusaders without a cause", Alec Dickson.
- C F. New Society 8 May 1969, P.716

-وذلك يتناول مناقشة وظائف المتطوعين الصغار ومؤسستهم.

7- Arthur M. Schlesinger, Jr., A Thousand Days. John F. Kennedy in the white House, Andre Deutsch, 1965, P. 527.

8- Bernard D. Davies is one of the most articulate Critics, CF. New Society 24 August 1967, PP. 258-9.

"An attempt to tame the young". For another, unsigned Criticism of the Young Volunteers Force Foundation cF. New Society 23 November 1968.

-وهذا البرنامج الجديد قد يعمل على تعبئة القليل من الصغار لدعم قضية

الطبقة الوسطى ولكنها لن تفعل شيئاً لمساعدة الشباب فى تغيير صورة عمله كخادم للأحداث التى تخص الأقلية وتعزيز هذا السلوك.

- ported in Mobilization of youth: Voluntary Service or Conscription?, report of a Seminar Held at the Royal united Service Institution 28 January 1970, Published by the Royal united Service Institution, Whitehall.
- J. Bronowski and Bruce Mazlish, the Western Intellectual Tradition, Penguin Books
- Bryon Wilson, Religion in Secular Society, Penguin Books, PP.24.S.
- CF. Margaret Phillips, Small Social Groups in England, Methuen 1965, Chapter 11.

-ربما قد يكون من الملائم أن أعرض وجهة نظرى هنا: فإننى عضو فى إحدى الكنائس وآخذ فى إعتبارى الأمل المسيحى، ولكن ذلك يعتبر أمراً خاصاً، وقد تخطيت النقطة التى يمكن عنها من خلال الأجهزة الدستورية أن نفرض التفسير المسيحى. وهو مدخل غير مفيد عندما نركز على مدى وجود التعليم الأخلاقى فى الإطار الدينى أم عدم وجوده. واعتقد أن ذلك لا يتعارض مع قبول التعاليم المسيحية، وعلينا أن نميز جيداً الفرق بين النزعة الدنيوية التى لا تحبذ الاعتماد على الله والنزعة العلمانية التى تنكر فكرة الله كلية وربما تكون تلك الفكرة خطيرة (ولكن ذلك موضوع شائك ومتشعب لا يتسع المقام لمناقشتها).

-لمناقشة هذه النقطة الخاصة بالأخلاقيات المسيحية، يذكر جون روبنسون John A. T. Robinson فى كتابه الحرية المسيحية فى مجتمع متسامح Christian Freedom in a Permissive Society طبعة S.C.M عام ١٩٧٠ ، ص٣٢ ان الإنسان الذى يعرف أنه لا يمكن أن ينتقد معنى الـ Sabbath، لابد أن يتحمل النقد الموجه له.

-من أجل مزايدا من التفاصيل حول هذه النقطة أنظر:

- Community Work and Social Change, Gulbenkian Foundation Report, Longmans, 1968, PP.4-5, الغرض من دراسة المجتمع فى سياقه الأكبر.
- C. Wright Mills, the sociological Imagination, Penguin Books, Chapter, 1.
- Students and Staff of Hornsey College of Art, "the Hornsey Affairr", P.38.
- Ibid., P.207.
- Mary Morse, the unattached, Penguin Books.
- G. Goetschius and J. Tash, Working with unattached youth, Routledge & Kegan Paul, 1967.

-يعتبر هذا عيباً فى وجود كتاب ممتاز عن الموضوع الـذى قدمـه شـيمان عن علم اجتماع مدرسة لو نجمعان عام ١٩٦٨.

-تناولت هذه المسائل بصورة مطلوبة فى كتاب الشباب، الكنيسة وتنمية المجتمع. Church, youth and community develo pment، والذى صدر عن دارتشيستر هاوس Chester House للنشر، عام ١٩٧٠ .

-اقتراحات للمزيد من القراءة:

-الديمقراطية وتنمية المجتمع:

- Batten, T.R., Non –directive Approaches in Group and community work, university press, 1967.
- Butler, D. E., the study of political Behaviour, Hutchinson, 1966.
- Collier, K. G., the Social Purpose of Education. Personal and Social values in Education, Routledge & Kegan Paul, 1959.
- Fromm, Erich, the Fear of Freedom, Routledge & Kegam Paul, 1942.

- Gulbenkian Foundation, Community Work and Social change, Longmans, 1968.
- Murray, Ross and Lappin, B. W., Community organization: Theory, Principles and Practice, Harper & Row, 1967.
- Leaper, R. A. B., Community work, N.C.S.S.
- Musgrove, P. W., Society and Education in England Since 1800, Methuen, 1968.
- Ottaway, A. K. C., Education and Society: An Introduction to the Sociology of Education, Routledge & Kegan Paul. 1953.

-التعليم من أجل الديمقراطية:

- Batten, T, R., the Human Factor in Community Work, oxford university Press, 1965.
- Borer, M. C., Citizenship, Museum Press, 1962.
- Central Advisory Council For Education (England),(NewSam Report) Half our Future (NewSam Report), HMSO, 1963.
- Gillette, Arthur, One Million Volunteers, Penguin Books.
- Judd, Frank, "Community Service: no deadening hand", Guardian, 4 October 1966.
- Schools Council, Society and the Young School Leaver, Working Paper No. 11. 1969.
- Vaizey, John, Education for Tomorrow, Penguin Books.
- Youth Service Development Council, Youth and Community Work in the 70s (Fairbairn – Milson Report), HMSO 1970.

الفهـــرس

	الموضـــوع	صفحة
	تقديم	٥ - ٣٤
	المقدمة	٣٥-٣٩
الفصل الأول	الشباب في المجتمع	٤١-٥٤
الفصل الثانى	الشباب فى مرحلة التغير الاجتماعى السريع	٥٥-٨٨
الفصل الثالث	الشباب فى عدة دول	٨٩-١٢٠
الفصل الرابع	شباب إنجلترا	١٢١-١٥٣
الفصل الخامس	التعليم من أجل الديمقراطية............	١٥٥-١٨١

رقم الإيداع ١٣٨٦١/٢٠٠٠

الترقيم الدولـــى .I. S. B. N

977 – 5036 – 42 – 9

دار الهدى للمطبوعات

ش ٨٠٠١ خلف طريق جمال عبد الناصر أرض المعلمين

أمام مؤسسة عبد الرازق - ميامى - الاسكندرية

☎ ٥٥٧٤٧٧٢



هذا الكتاب

تناوا تعريف الشباب وأهمية دراستهم وخصائصهم السيكولوچية وثقافة الشباب ومشكلاتهم، والشباب فى نماذج من المجتمعات البدائية والمعاصرة، وثورات الشباب تعبيراً عن تمردهم على الواقع وقضية صراع الأجيال، والعلاقة بين ثقافة المجتمع وشخصيات شبابه.

تناول قضية التغير الإجتماعى وما أفرزته من تحولات كبيرة إنعكست على جيل الشباب والرؤى المستقبلية لأوضاع شباب العالم.

تناول بإسهاب الشباب البريطانى وأنواع الجماعات الشباك.

تناول أوضاع الشباب فى عدة دول سواء فى المجتمعات الصناعية المتقدمة أو العالم النامى فى أفريقيا أو آسيا وأمريكا اللاتينية.

تناول قضية التعليم وعلاقتها بالديمقراطية ودور التعليم فى صقل عقول الشباب.

والكتاب فى مجمله إضافة حقيقية إلى المكتبة العربية فى إطار تناول مرحلة الشباب سواء من النواحى الفسيولوچية أو النفسية أو الإجتماعية أو الإنثروبولوچية.

دار الهدى للمطبوعات
ش عمرو بن العاص - خلف طريق جمال عبد الناصر
ميامى - إسكندرية - ت : ٥٥٧٤٦٦٢